
أشهر الجواسيس
أشهر القصص الحقيقيّة
للجاسوسيّة العالميّة
محمد المشرف خليفة
مكتبة مدبولي
القاهرة

الطبعة الثانية
١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

الناشــر
مكتبة مدبولى
ميدان طلعت حرب بالقاهرة - ج م ع
تليفون ٧٥٦٤٢١

أشهر الجواسيس

أشهر القصص الحقيقية للجاسوسية العالمية

محمد المشرف خليفة

مكتبة مدبولي
القاهرة

● أشهر الجواسيس ●

أشهر القصص الحقيقية للجاسوسية العالمية

محمد المشرف خليفة

ان التعريف بعمل الاستخبارات وتخطيطاتها والاساليب التي تتخذها ليس من باب العلم بالشيء وانما المراد به ان نضع في يد القارىء العسكري سلاحا أخر يعينه على مكافحة المخابرات المعادية والحيلولة بينها وبين تحقيق اهدافها

وهذا الكتاب محاولة لمنع هذا بطرح أساليب الاستخبارات في هيئة بحث ومن خلال اشهر قصص الجاسوسية العالمية الحقيقية لمن يريد ان يستخلص العبر ويعتبر

المقدمة

●● قبل أن يقوم الامبراطور الروماني يوليوس قيصر بغزو انجلترا بث «عيونه» فيها ، وكانوا من رجال القبائل .

وحين قام قيصر بحملته الأولى عام ٥٥ قبل الميلاد أخذ معه بعض حلفائه من قبائل الغال «السلتيين» وتركهم في انجلترا ليزودوه بالاخبار والمعلومات .

وكان البريطانيون القدامى أنفسهم من أصل غالي وقد استقروا وبعض القبائل التي كانت مولعة بالحرب في جنوب انجلترا .

وكانت أول معلومات تلقاها قيصر عن بريطانيا من تاجر يوناني - جوال - وبعدها استخدم جواسيسه ليأتوه بالأنباء . وقد وقع قيصر ضحية لعادة قديمة ارتبطت بالجاسوسية فقد كان جواسيسه لا يبلغونه من الأنباء الا ما يعلمون أنه يسر لسماعه ولهذا خشوا أن يبلغوه أخبار مقاومة البريطانيين لحكمه . وحين جاء ببعض قواته وجد المقاومة أعنف مما كان يتوقع فعاد الى الغال ثم عاود الكرة في الصيف الثاني بقوات أكبر وتقدم غازيا الى أن وصل وادي التيمس ثم انسحب مرة أخرى تاركا خلفه بعض الرومان ومجموعة من التجار الأجانب ومن هؤلاء تعلم البريطانيون عناصر ثقافة وحضارة روما ومنهم أيضا ظل قيصر ومن جاء بعده من القياصرة يتلقون أخبار انجلترا وأسرارها - وعلى ضوء هذه المعلومات أقام

في انجلترا الرومان الذين جاءوا اليها عام ٤٣ بعد الميلاد

كذلك الغزاة الذين اعقبوا الرومان من الساكسون وغيرهم سبقهم بالمثل الى الغزو جواسيسهم ومع انتشار الديانة الجديدة (المسيحية) فان بعض هذه القبائل الوثنية المحبة للحرب والعنف لم تتقبل تعاليم المسيح المسالمة الداعية للتسامح ولكن اعجبتهم قصة ارسال موسى (عليه السلام) الى الكنعانيين ١٢ رجلا من رجاله كعيون - يرصدون له الاخبار يراقبون الارض والناس الذين يسكنونها . أأقوياء هم ام ضعفاء . أقلة هم ام كثرة . ومساكنهم . اهي من الخيام ام الحجارة وكان على هؤلاء أن يعودوا بهذه المعلومات وببعض عينات من الفواكه التي تنتجها أرض كنعان

في هذا العصر كانت الجاسوسية مهنة اضافية لا يتفرغ لها أحد وانما يزاولها بعضهم مع التجارة وخلافها

ألفريد الأعظم :

كان ألفريد الأعظم يعمل بنفسه جاسوسا فحين غزا الدنماركيون نصف انجلترا وحين كانت قواته تتجمع في «أثلني» دخل بنفسه متنكرا الى معسكر الدنماركيين في هيئة ممثل كوميدي يقول النكات ويلقي الاشعار وهي مهنة كانت تسمح لصاحبها بدخول أي معسكر يشاء وبالتجسس عليهم عرف نقاط ضعفهم كركونهم للدعة وطلب الملذات واستطاع أن يغير على أطرافهم حتى تمكن منهم وقضى عليهم

وقد عرف هذا النوع من التجسس الشخصي الى جانب

الفريد ملوك وقادة آخرون مثل فريدريك الأعظم .

وفي انجلترا ، أصبح التجسس بحكم العادة من أعمال الملوك أو عملائهم لهذا كان الملك هو الذي يستخدم العملاء ويعينهم ضمن رجال البلاط (الحاشية) .

وكان لوليام المنتصر العديد من العملاء في انجلترا قبل غزوها ولهذا قام بالغزو حين عرف بغياب هارولد ليقاتل الغزاة في الشمال . ولم يجد وليام جهدا في تجنيد الجواسيس فالولاء للوطن كان في مهده في تلك الايام وكان هناك رجال في انجلترا لم يكونوا يحبون هارولد وكانوا يعتقدون بأنه ورث العرش دون وجه حق .

تجنيد القساوسة كجواسيس

بما أن القساوسة كانوا يشكلون الطبقة المتعلمة في بريطانيا في ذلك الوقت فان أكثر الجواسيس كانوا من القساوسة يجندهم الملوك لهذه الغاية .

ولم يكن الملوك يتورعون عن تجنيد النبلاء أو الاصدقاء يتجسسون لحسابهم ، فقد عمل السير توماس تبرفيل جاسوسا لفيليب الرابع ملك فرنسا رغم أنه كان من حاشية ادوارد الأول ملك بريطانيا وعند القبض عليه متلبسا بالجرم دفع لمعتقليه مالا ووهبهم قطعة أرض فاطلقوا سراحه وحين عاد الى انجلترا مفتخرا بهروبه من فرنسا عينه الملك ادوارد - ١ - عضوا في مجلسه فما كان منه الا أن بدأ يتجسس من جديد لصالح ملك فرنسا وشاء حظه العاثر أن تقع بعض تقاريره في يد الملك ادوارد الأول ولقى عقابا يليق به .

جواسيس رسميون بأجر

أول من جعـل الجـاسـوسية مهنة مدفوعة الأجر مع التفرغ للتجسس وحسب هو الملك ادوارد الثالث - ولم تكن الأجور كبيرة ففي احدى المرات ارسل أحد جواسيسه الى أسبانيا للمفاوضة بشأن تسليم أحد «الخونة» الفارين من بريطانيا وفشل العميل في المهمة بعد أن قضى في اسبانيا عاما كاملا وكان مجموع ماأنفقه ٤٤ جنيها استرلينيا و٧ شلنـات و٨ بنسات . وكان العميل الذي يتعرض لمخاطر جسيمـة أثنـاء اداء عمله يمنـح عشرة شلنات في اليوم (نصف جنيـه استرليني) . وقد استخدم رتشارد الثاني الكهنة والقساوسة عملاء له . أما هنري الرابع فقد كان كثير الشك لا يثق في أحد ولهذا كان يقوم باختيار العملاء شخصيا وكان عملاؤه في الخارج من السفراء او من رجال حاشيته المقربين

جاسوس الملك :

ان التقـارير الملكية لا تذكر تفاصيل كثيرة عن وسائل العملاء في التجسس فمثلا نجد أن المدعو توماس بيرتون وصفته الرسمية «جاسوس الملك» قد كشف للملك هنري الخـامس عن أنشـطة معـارضيه ولكن ليست هناك أية اشـارة لما فعله أو كيفية ذلك وكأنهم كانوا لا يحتفظون بتفـاصيـل أعمـال التجسس باعتبار ان الخدمة السرية مفروض فيها ان تكون «سرية» حتى في تقارير وسجلات المملكة

وكانت تدفع المكافآت لكل من يكتشف مؤامرة ضد الملك أو يبلغ ضد متـآمر وكثير من العملاء وصائدي المكافآت

كانوا يقدمون معلومات ملفقة وكاذبة عن بعض الاشخاص لمجرد قبض الثمن . وكانت النتيجة أن سياف الملك وبخاصة أيام «حرب الورود» كان يعمل ليل نهار في رقاب العباد .

ومن الغريب أن فكرة التجسس لمعرفة الاسرار العسكرية للعدو (الاستخبارات) لم يكن معترفا بها وكانت محصورة في معرفة تحركات جيش العدو فحسب .

ونشط التجسس قبيل معركة بوسويرث فقد كان عملاء ريتشارد الثالث يراقبون هنري ريتشموند في فرنسا وقد كادوا أن ينجحوا أكثر من مرة في خطفه وكان لهنري بالمثل عملاء في انجلترا .

وحين تولى رتشموند الحكم في بريطانيا باسم هنري الثامن بدأ في تنظيم الخدمة السرية الملكية كتنظيم حكومي أكثر منه مؤسسة ملكية وجعل تعيين العملاء من سلطة الحكومة وان كان الهدف الأول من تعيينهم حماية الملك .

ظهور «الاشاعة» كسلاح :

في عهد هنري الثامن بدأ التبادل الدبلوماسي أمرا معترفا به «دوليا» وكان السفير الذي سيلحق في العادة ببلاط الملك الاجنبي يعتبر عميلا من الدرجة الأولى . وله بهذه الصفة احترامه وكان معظم العملاء حتى ذلك الوقت من القساوسة والرهبان - ودخل الى المهنة «الكتبة» اذ أن التجسس لم يعد في معظمه شفهيا فقد أصبحت للتقارير «المكتوبة» نفس الأهمية . ولأول مرة أصبح الملك

يدير جهازا للجاسوسية في غير وقت الحرب ، وان ظل الهدف الأساسي حماية الملك

وفي ظل حكم الملك هنري الثامن ابلغه العملاء عن مؤامرة تدبر ضده من قبل المدعو بيركن واربيك وجماعته فطلب من عملائه أن يشتركوا فيها لينقلوا له تفاصيلها وتحركات المتآمرين ثم أطلق سلاحا جديدا استخدم لأول مرة (وإن كان اليوم من أقوى عناصر الحرب النفسية) الا وهو الاشاعة - أطلق اشاعة عن المتآمرين وقلل من أهميتهم وأهمية بيركن الذي كان يعامل في فيينا معاملة «الدوق» . واستطاع هنري أن يقلل من شأن «الدوق» حتى لا يجد تشجيعا من الخارج ونجح في ذلك وانتهى الامر بعد قصة طويلة الى اعتقال الدوق المزعوم وشنقه .

الملك أم البابا :

إهتم هنري الثامن بالتجسس بعد طلاقه من كاترين وادعائه رئاسة الكنيسة الانجليزية وبالتالي مطالبته الشعب بالولاء له وليس لبابا الفاتيكان وبما أن ترك المذهب الديني أمر صعب فقد جعل له عملاء يراقبون الناس ويخطرونه بكل من بقي على ايمانه ويرى البابا أعظم من الملك .

وقد أدى كل هذا وماتبعه من اجراءات الى تقسيم الناس الى مجموعتين دينيتين : كاثوليك ولاؤهم للبابا وبروتستانت ولاؤهم للملك (رئيس الكنيسة الانجليزية) وطبيعي أن بعض اتباع المذهبين كانوا يضعون ايمانهم فوق وطنيتهم .

ادخال نظام الشفرة :

حين تولت ماري الملك عينت أسقف ونشستر مستشارا أولا لها ومديرا للخدمة السرية للدولة .. وظل الهدف الأساسي للخدمة السرية حتى ذلك التاريخ حماية الملكة والكشف عن أية مخططات أو مؤامرات تحاك ضد الملكية .. ثم تطور التجسس بعد ذلك ليصبح ظاهرة معترفا بها في السياسة الخارجية والعسكرية . وكان أول من أسس الخدمة السرية الانجليزية المنظمة بهذا المفهوم السير «فرانسيس والسنغهام» لتصبح فيما بعد الخدمة السرية البريطانية وأدخل السير فرانسيس نظما مبسطة لاستخدام الشفرة على نهج يوليوس قيصر في استخدام الحروف الابجدية غير ان مثل هذه الشفرات يسهل فك رموزها ومن ثم أدخل نظام «جدول الذبذبات» FREQUENCY TABLE .

يوناني فلا يقرأ :

في عصر الارمادا اخترع الفرنسي بليزدو - فيجني شفرة جديدة ظلت تستخدم مع ادخال بعض التعديلات عليها لفترة امتدت الى ثلاثمائة عام .. وبدأ منذ هذا العصر التجديد والتعقيد في الشفرات وتحولت الى طلاسم يكاد ينطبق عليها قول طه حسين : «يوناني فلا يقرأ» .

وبدأ استخدام الرموز CODES في تقارير السفراء الدبلوماسية حيث كان السفير لا يشير الى الاشخاص باسمائهم الحقيقية وانما برموز خاصة ومع الرموز استخدمت القواميس والكتب وأصبح ذكر الرمز ٣٧ - ١١ - ٣ مثلا يعني انظر صفحة ٣٧ من كتاب (كذا) السطر

رقم ١١ الكلمة رقم ٣ . وكان كل سفير يحتفظ بالكتاب المتفق عليه أو قاموس مع كتاب للرموز - وبدأت مع اقتناء هذه الكتب محاولات العملاء لسرقتها من السفراء المعنيين لفك طلاسم مايبعثون به لدولهم من رسائل .

استراتيجية أم تكتيكية :

غلب الطابع السياسي على الخدمة السرية البريطانية في بدايتها مع اهتمام بالجوانب العسكرية ولكن مع مطلع القرن التاسع عشر استخدمت كل من القوات البرية والبحرية وفيما بعد الجوية أجهزة خاصة بها شبه مستقلة ويمكن القول إن الخدمة السرية في حد ذاتها استراتيجية بينما الاستخبارات العسكرية تكتيكية وكمثال فان الخدمة السرية تسعى لاكتشاف ما اذا كانت ألمانيا تعد لهجوم ومتى وأين .. بينما تنحصر مهمة الاستخبارات في هذه الحالة على معرفة حجم وتسليح هذه القوات المهاجمة .

كان الاسم الأول للخدمة السرية هو خدمة المخابرات السرية وكانت تخضع لوزارة الخارجية . وفيما بعد توسعت أجهزة الاستخبارات العسكرية واعطيت لاقسامها المتعددة أسماء عسكرية م.أ. ١ ، ٢ ، ٣ .. الخ M.I. 1,2,3 etc. وكانت هذه الاقسام التكتيكية تغطي بلادا او مناطق جغرافية محددة وتغطي الفرع التابعة لهذه الأقسام الأسلحة والتدريب والنقل والامداد والتموين .. الخ ويعتبر من أهم هذه الفروع الفرع الخاص بتقييم المعلومات التي تصل الى الفرع من العملاء .

الحظ العاثر :

كانت الاتصالات بطيئة وسرعة وصول المعلومات يرتبط بسرعة الخيول التي تحملها ثم استحدث نظام «الحمام الزاجل» ليحمل الرسائل ، وقد جرت محاولة تعليق كاميرات صغيرة تحت أجنحته لتصور تلقائيا وكانت الحمائم تعود ولكن عند التحميض لا تظهر ملامح ما التقطته الكاميرا عن قوات العدو . وحاول البريطانيون استخدام السكان المحليين باطلاق رسائل يحملها الحمام الزاجل لتقع في أيدي السكان المحليين خلف خطوط العدو مع رجاء لمن تقع في يده الرسائل أن يرد على ماجاء بالرسائل المحمولة من أسئلة حول حجم القوات الألمانية وأماكن تواجدها وكان الحظ والطقس يلعبان دورا مهما فحين تهب الرياح في الاتجاه المناسب تقع الرسائل في أيدي فلاحين فرنسيين أو بلجيك فيكتبون المطلوب ويعود الحمام الزاجل بالرسائل الى أصحابها ولكن الحظ قد يشاء أحيانا وقوع هذه الرسائل في أيدي الالمان أنفسهم وكان الحمام الزاجل نفسه يصاب بحظ عاثر وذلك حين تقل المؤن إذ يتحول الى طعام للجنود .

وكانت الاستخبارات العسكرية تركز في البداية على الاستطلاع وكان مدير الاستخبارات يستطيع أن يخطر مسئوليه بتحرك الاسطول الاسباني (الارمادا) لغزو بريطانيا - مثلا - ويمدهم بمعلومات عن حجم الاسطول وتعداد سفنه الحربية وقد يرى عملاؤه الأرمادا في حالة ابحار تجاه سواحل بريطانيا ولبطء الاتصالات فقد تصل الارمادا قبل وصول المعلومات .

تغييرات القرن الـ ١٩ :

التغييرات الكبيرة التي شهدها القرن التاسع عشر لم تنحصر في التسلح فحسب وانما شملت وبصورة واضحة وسائل المواصلات وسبل الاتصالات من سكك حديدية وسفن بخارية وكوابل غواصات وهواتف وبرقيات مما زاد من سرعة الحرب والتجسس . وفي قرننا هذا (الـ ٢٠) زدنا عليهم الطائرة واللاسلكي ثم المذياع .

أهداف التجسس :

أول أهداف التجسس معرفة وضع قوات العدو قبل المعركة وقد كان جنود المشاة يلعنون حب استطلاع قائدهم وذلك حين يطلب منهم مهاجمة احدى وحدات العدو لمجرد أخذ أسير لاستجوابه إذ كثيرا ما كانوا يدفعون ثمنا لهذا الأسير حياة عدد من رجالهم ثم يرفض الأسير الكلام .. وغاية ما كانوا يتوصلون اليه معلومات يستقونها مما في جيب الأسير من أوراق . ويحدث أن يدفع القائد حياة ٦ من رجاله في مثل هذه المهمة ليكتشف من خلال استجوابه للأسير أن الفرقة ١٥ قد استبدلت بالفرقة ٤٦ وكانت تلك تضحية كبيرة في مقابل معلومة غير مهمة

الصحف كمصدر للاستخبارات :

اثناء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) استفادت الاستخبارات البريطانية من الصحف وذلك بالاشتراك في كل الصحف المحلية الالمانية بلا استثناء عن

طريق وكالة صحفية في سويسرا وكانت الاستخبارات تستخلص احيانا معلومات هامة عنها - ومن أمثلة ذلك ما حدث في مارس عام ١٩١٨ فقد اسقطت القوات البريطانية احدى الطائرات الألمانية التي كانت تحلق خلف خطوطها ومن الأوراق التي وجدت في جيب الطيار القتيل عرفت الاستخبارات إسمه والقاعدة التي كان يحلق منها وبعد اسابيع نشرت إحدى الصحف المحلية خطابا موجها من الجنرال فون هوتير صديق عائلة الطيار يعزيهم فيها على الطيار الراحل الذي قتل وهو يخدم تحت قيادته ومن هذه المعلومة عرفت الاستخبارات البريطانية أن الجنرال المذكور قد نقل من الجبهة الروسية الى الغرب . وبتحليل هذه المعلومة البسيطة اكتشفوا أشياء هامة . فالجنرال المذكور لم ينقل الى الغرب من الجبهة الشرقية عبثا وربما وانه عرف بمهارته العسكرية في نقل القوات عبر انهار وشنه للهجوم الموسع ومن ثم فان تواجده في هذه المنطقة بالذات - كما أفاد خبر الصحيفة الالمانية المحلية - يعني أنه يعد لهجوم كاسح عبر أحد الانهار . وبتحليل الاستخبارات توصلوا الى أن منطقة هجومه قد تمتد الى ما بعد نهر الأويس .

وأكدت استطلاعات الاستخبارات هذه الحقيقة فقد شرع الالمان بالفعل في بناء مستشفيات جديدة وطرق ومطارات وجسور وغيرها من منشآت ومعدات الحرب في المنطقة المعنية .. وهكذا من خبر في صحيفة أمكن الوصول لحقائق مذهلة .

الجاسوسية المضادة :

ولد جهاز الجاسوسية المضادة في بريطانيا نتيجة للنشاط الانفصالي في ايرلندا حيث اضطر المسئولون عن متابعة هذا النشاط الى بث العيون داخل الحركات الانفصالية وكانت الجاسوسية تدخل في اختصاص البوليس . وكانت أقوى الحركات هي حركة «الاخوة الجمهوريين الايرلنديين» وقد تكونت نتيجة لمجاعة كبرى عمت ايرلندا سميت بمجاعة «البطاطس» عام ١٨٤٦م وقامت هذه الحركة باغتيالات وعمليات تخريب من بينها وقوع تفجير بمقر سكتلنديارد ومحطة باندنجتون ووقع من قاما بالتفجير ضحية له دون غيرهما .

وتأسس في لندن القسم الخاص بايرلندا في مقر البوليس الشهير باسكتلنديارد وكانت الطريقة المتبعة آنذاك ادخال عملاء للتجسس على الحركة من داخلها ، وتم تطوير هذا الفرع الخاص لاداء مهمتين هما : حماية كبار الشخصيات ، وكشف العملاء الاجانب ، وظلت المخابرات عملا بوليسيا بحتا حتى عام ١٩٠٩ حين تقرر تكوين مكتب خاص للمخابرات يديره النقيب فيرنون كيل من رجال البوليس يعاونه كاتب واحد واتخذ المكتب إسم المكتب العسكري رقم ٥ - .M.O.5 .

في عام ١٩١١ زادت أهمية المكتب بعد أن استطاع كشف أول جاسوس ألماني في بريطانيا . فالقى القبض عليه وأدين وحكم عليه بالسجن ٣ سنوات ثم توالت

نجاحات المكتب في هذا المجال وعدل الاسم الى المخابرات العسكرية رقم - ٥ - M.I.5 .

قبل الحرب العالمية الأولى رصدت بريطانيا ٥٠ ألف جنيه استرليني سنويا للخدمة السرية وكانت مستخدمة في معظمها لكشف العملاء الألمان وملاحقتهم .

خلال الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) توسعت الخدمة السرية البريطانية وضم مكتب الرقابة ٨ آلاف موظف .

٦ أقسام :

تضم المخابرات البريطانية حاليا ستة أقسام :

قسما خارجيا وقسما داخليا ومن التسمية تتضح مهام هذين القسمين ، وقسما ثالثا بحريا لمراقبة الاسطول البريطاني وجميع أعمال التجسس الخاصة بالبحرية وقسما رابعا عسكريا يختلف عن سابقه في التجسس العسكري (استخبارات عسكرية) لمعرفة التسلح والاستعداد العسكري لدى الدول الأخرى عن طريق أجهزة دقيقة متطورة وبث العملاء ، وقسما خامسا كان يحمل اسم القسم الاستعماري ولكن أعماله تتركز في دول الكمنويلث والمستعمرات السابقة وهناك قسم سادس لمعرفة أسرار الصناعة في الخارج ويسمى القسم التجاري والصناعي .

وتستخدم المخابرات البريطانية كغيرها من مخابرات الدول الكبرى كل صفوف العملاء من خريجي الجامعات الى مديري الفنادق والحانات ومضيفات الطيران وخادمات

الفنادق والسكرتيرات والطابعات على الآلة الكاتبة في السفارات والبنوك والمرافق العامة داخل الدولة وخارجها ..

جهاز الاستخبارات :

هذا الجهاز حاليا يتبع في القمة لرئيس الوزراء البريطاني ويتدرج منه الى اللجنة المشتركة للاستخبارات وتضم الفروع الرئيسية للاستخبارات كلا من الاستخبارات العسكرية بوحداتها التي تشمل التسليح والتكتيك والبحرية والجوية والجيش والاقتصاد وجهاز الأمن «إم.آي. ٥» (M.I.5) والاستخبارات الخارجية «إم.آي. ٦» (M.I.6) وتنحصر مهامها في جمع المعلومات وتقييمها ثم الفرع الخاص (اسكتلنديارد) .

كي جي بي - KGB

المخابرات السوفيتية تعتبر أكبر أجهزة الاستخبارات في العالم وبخاصة فيما يتعلق بسبل جمع المعلومات في السلم والحرب . ولها فرعان :

١) الاستخبارات العسكرية GRU وهي المسئولة عن ادارة عمليات التجسس في الجيش والبحرية والقوات الجوية وحقلها يمتد ليشمل كل الاقطار .

٢) كي.جي.بي KGB وهي حروف ترمز لكلمات روسية تعني لجنة أو جهاز أمن الدولة COMMITTEE OF STATE SECURITY, ويشمل اختصاصها كل ما يتعلق بالمخابرات

والأمن مما لا يدخل في اختصاص الاستخبارات العسكرية وهي أكثر شهرة من الأخيرة ولهذا فالحديث عن المخابرات السوفييتية يشمل في العادة الفرعين ويشار إليه دائما باسم واحد كي - جي - بي .

يعمل في جهاز المخابرات السوفيتية ١١٠ آلاف موظف رسمي ويشرف هؤلاء على جيش جرار من العملاء . ووفقا لاعتراف العميل الروسي نقيب / اليكسي مياجكوف الذي لجأ الى بريطانيا مؤخرا فان عدد العملاء المسجلين في الاتحاد السوفييتي ويعملون بالخارج يصل الى ملايين وينفق السوفييت على التجسس ما لا يقل عن ١٥٠٠ مليون جنيه استرليني وهو ما يزيد ٥٠ ضعفا عما تنفقه بريطانيا .

من أيام القياصرة :

عرفت المخابرات السوفيتية أيام القياصرة باسم «البوليس السري» وكانت مهمته الرئيسية تنحصر في حماية النظام والأسرة المالكة وفي عام ١٩١٧ سقطت روسيا في يد البلشفيك فانشأوا جهازا مشابها أسموه جهاز «الشيكا» لحماية النظام الجديد والقضاء على المعارضين وإن فروا خارج البلاد .

وفي عام ١٩٣٤ تطورت المخابرات وخاصة فيما يتعلق بالمجال السياسي لتضم مع بداية الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩) قسمين : احدهما هو القسم المعروف حاليا في كل أنحاء العالم باسم كي - جي - بي KGB والثاني يحمل اسم ام - إف - دى M.F.D. وهذا الأخير يختص بالشئون

الداخلية ومراقبة المشبوهين بالداخل .

ينقسم الكي - جي - بي - KGB الى ٤ أقسام رئيسية يختص الأول منها بالشئون الأجنبية (مكافحة الجاسوسية) والثاني بمراقبة الاجانب داخل الاتحاد السوفييتي والثالث بحرس الحدود والرابع بأعمال الأمن الداخلي في البلاد .

وهناك ٧ أقسام أخرى فرعية وهي : فرع القوات المسلحة والعمليات والتقنية والادارة والاستطلاع والاتصالات وحراس المكاتب .

واذا حاولنا متابعة اختصاصات الاقسام الرئيسية والفرعية لتشعبت بنا السبل فهي تكاد تشمل كل مجال يمكن أن يخطر على البال . فقسم الشئون الأجنبية يقوم بكل أعمال التجسس خارج الاتحاد السوفيتي ويضم ثلاثة فروع هي : العلمي التقني والتخطيط والتحليل ووحدتا الخدمات الخاصة للحصول على المعلومات والعمل المضاد* أو مكافحة التجسس ويدخل في هذه الفروع اعطاء المعلومات المغلوطة والعمل التنفيذي ثم تتفرع هذه الفروع بدورها لتضم ١٦ وحدة .

وتتلخص مهمة القسم الرئيسي الثاني بمراقبة السوفييت في الداخل ومراقبة الاجانب داخل الاتحاد السوفييتي والتجسس على السفارات وتجنيد الدبلوماسيين الاجانب وبهذا القسم ١٢ شعبة من أهمها الشعبة السياسية وشعبة الأمن الصناعي ومجموعة الدعم التقني .

أما القسم الرئيسي الثالث الخاص بحرس الحدود فمهمته حراسة الحدود ومنع المواطنين من الخروج عبر

الحدود بطريقة غير رسمية ومنع القادمين من الخارج من الدخول بطريقة غير مشروعة ويتجاور عدد العاملين بهذا القسم الرئيسي الثالث ٢٠٠ ألف شخص .

أما القسم الرئيسي الرابع فيقوم بمهام الأمن الداخلي وأمن الدولة ..

ولا يمكن متابعة الحديث عن المخابرات السوفيتية دون الاشارة الى قسم القوات المسلحة فهو أكبر أقسام الكى - جي - بي ويضم بدوره ١٢ فرعا رئيسيا تغطى القوات المسلحة بمختلف تشكيلاتها .

٣٦٠ عميلا في أمريكا :

اختار الرئيس السوفييتي السابق ليونيد بريجنيف في عام ١٩٦٧ سفير روسيا في المجر لتسييس البوليس السري السوفييتي «كى - جى - بى - KGB» ليكون تابعا للادارة السياسية في أعلى المستويات . كان السفير السابق هو اندروبوف الذي خلف بريجنيف في رئاسة الدولة .

ووضع اندروبوف هدفين أمامه :

١ - *تحديث المخابرات السوفيتية لتواكب العصر .*

٢ - *تحويل تبعيتها كاملة الى الحزب (الادارة السياسية) .*

ونجح اندروبوف في مهمته الأمر الذي أهله ليكون عضوا كاملا في اللجنة المركزية .

وخلال فترة اندروبوف انتقل مقر «الكى - جى - بي» من المبنى القديم الذي يتصدره تمثال ديزرنسكي أول رئيس للبوليس السري الى مبنى حديث . وظلت المخابرات

السوفييتية تعمل من مقرها الجديد بالتعاون مع الاستخبارات العسكرية ويؤكد كثير من الخبراء أن وكالة المخابرات السوفيتية KGB هي الآن أفضل جهاز لجمع المعلومات في العالم . وتقدر المخابرات الامريكية عدد العملاء السوفييت في أمريكا بحوالي ٣٦٠ عميلا ويتمركز عدد كبير من العملاء في السفارات السوفيتية والبعثات الدبلوماسية في الخارج ويذهب بعضهم الى حد القول بأن ثلث أعضاء البعثات الدبلوماسية السوفيتية بالخارج يتبعون المخابرات والاستخبارات السوفيتية .. ويقول مراقبون امريكيون إن معظم عملاء السوفييت في أمريكا يعيشون في مدينة نيويورك .

ويقول أحد عملاء موسكو السابقين إن للاتحاد السوفيتي ١٥٠٠ عميل في ألمانيا الغربية وحدها أما في بريطانيا فقد قل العدد كثيرا عما كان عليه في الثلاثينات والاربعينات وان كانت القلة الحالية أكثر خطورة .

وتركز المخابرات السوفيتية الآن على الحصول على الأسرار التكنولوجية من الغرب ويقدر عدد العملاء الذين جندوا لهذه الغاية من الاتحاد السوفيتي وشرق أوروبا بحوالي الألفين وقد دلت آخر احصائيات لحلف شمال الاطلسي (ناتو) ان الغرب الذي يسبق السوفييت في هذا المضمار بعشر سنوات أصبح يسبقه حاليا بعامين .

الاستخبارات الامريكية :

تم تأسيس مكتب الاستخبارات البحرية عام ١٨٨٢ . وفي عام ١٨٨٩ تم تأسيس نظام الملحقين العسكريين من

قبل قيادة الجيش الامريكي وكانت مهامهم تتلخص في جمع المعلومات من الدول التي يلحقون بها للاستعانة بها مستقبلا في حالة نشوب حرب ، وكان عملهم مركزا في دول بعينها في البداية هي النمسا وبريطانيا وألمانيا وروسيا وفرنسا . ومن النواة الأولى لجمع المعلومات تكون فيما بعد قسم المعلومات العسكرية ليرأسه الجنرال آرثر واجنر وتوسعت مهام القسم ليشمل إيفاد ضباط استخبارات في مهام محددة في بلد أو بلاد معينة تحدد له .. ومثال ذلك إرسال فان ديمان في مهمة الى الصين عام ١٩٠٦ وقام فان ديمان بعد ذلك بعشر سنوات بتدريب ضباط الحرس الوطني على أعمال الاستخبارات التكتيكية . وفي عام ١٩١٧ تم تأسيس شعبة استخبارات عسكرية تضم فرعا تنفيذيا لتنسيق معلومات الاستخبارات وفرع معلومات خاص بالتجسس والتجسس المضاد ثم بدأت تتكاثر الفروع وتتوسع بحيث أصبح هناك ضباط استخبارات يعملون عبر الولايات المتحدة كلها ، وكما يقول الرائد مارك يو : يمكن أن يقال إن فان ديمان ابتدع ولأول مرة في التجربة العسكرية الامريكية ، جهاز استخبارات كامل ، ينسق على المستوى القومي كل الامكانات المتيسرة . وركز قسم المعلومات العسكرية الخاص به بعدد من الوكالات الحديثة مثل : منظمة خرائط الجيش الامريكي ، جهاز الملحقين ، وكالة استخبارات الجيش الامريكي ، وكالة أمن الجيش ، وكالة الأمن القومي ، وكالة التقصي عن الأسباب الدفاعية ، منظمة الأمن الصناعي ، مركز ومعهد استخبارات الجيش ومنظمة الاستخبارات التكتيكية ضمن الجيش .

ضرب بيرل هاربر والمخابرات :

هز ضرب بيرل هاربر من قبل اليابانيين المجتمع الامريكي بكامله ودعت الحاجة لوجود جهاز مخابرات ذى كفاءة عالية . وفي عام ١٩٤١ كلف الرئيس الامريكي ف. روزفلت وليام دونوفان بانشاء جهاز مخابرات سرى - وقد حمل أكثر من اسم بعد تأسيسه أهمها : مكتب الخدمات. الاستراتيجية وكان يعمل على نطاق عالمي شمل الدعاية السوداء والجاسوسية المضادة وعمليات التخريب والمقاومة .

وكالة المخابرات المركزية الامريكية CIA

في عام ١٩٤٧ تم انشاء وكالة المخابرات المركزية الامريكية CIA فحلت محل مكتب الخدمات الاستراتيجية وأصبحت من أقوى أجهزة المخابرات في العالم ، ويعتبر أول مؤسسيها المستر : الن دالاس شقيق وزير خارجية أمريكا في عهد ايزنهاور جون فوستر دالاس صاحب نظرية «حافة الهاوية» .

لتبيان خطورة وأهمية هذه الوكالة يكفي أن نذكر هذه الفقرة بالنص مما رواه الرائد كامل أحمد في كتابه عن الاستخبارات :

«في الساعة التاسعة من صباح كل يوم ، وقبل أن يقوم الرئيس الامريكي بأي عمل رسمي في البيت الأبيض ، يقدم له الضابط المناوب في رئاسة المخابرات ، تقريرا سريا مؤلفا من صفحتين أو ثلاث صفحات (نشرة يومية) ، هو موجز عمل بضعة الاف من الرجال والنساء موزعين في جميع أنحاء العالم وهم أعضاء في جهاز المخابرات المركزية

وبناء على هذا التقرير يتوقف مصير دولة ، وقد يأتي يوم من الأيام يتوقف فيه مصير العالم على ما يحوى هذا التقرير» ..

وتقدر القوة البشرية المرخص بها للمخابرات في حدود ٢٠ ألف موظف وموظفة بالاضافة الى عشرات الألوف الذين يعملون بعقود مؤقتة كمستشارين .. الخ - وتضم الوكالة خمسة أقسام هي :

١ - مكتب المدير :

وقد الحقت به مجموعتان احداهما من كبار المحللين في الوكالة ، والأخرى عبارة عن لجنة استشارية لموارد الاستخبارات التي تبلغ ميزانيتها ستة مليارات دولار . وملحق بالمكتب أيضا مكاتب أخرى للملحقين العسكريين وضباط الارتباط مع الكونغرس وسكرتارية البرقيات والمستشار القانوني والموظفين القدامى .

٢ - مديرية العمليات :

وتضم هذه المديرية التي يطلق عليها أيضا الخدمات الخاصة حوالي ٦ آلاف من المحترفين الموظفين والكتاب ويعمل ٤٥ بالمائة منهم بالخارج تحت ستار وزارة الخارجية . ويقوم قسم العمليات الداخلية للخدمات السرية بالعمل من داخل امريكا ثم هناك ٣ أقسام هي الاستخبارات الاجنبية (التجسس) ومكافحة التجسس والعمل السري وهذه الاقسام تشرف على سياسة العمليات . ومن بين الاقسام الأخرى المتعددة - مثلا - قسم الخدمات الفنية ويقوم بانتاج ما تتطلبه صناعة التجسس من أدوات للتنكر وأجهزة للتجسس في مختبراته الخاصة بذلك .

٣ - مديرية الادارة والخدمات :

هذه المديرية هي الفرع الاداري لوكالة الاستخبارات المركزية وتضم ستة مكاتب : المالي ، الأمن ، الخدمات الطبية ، التموين ، المواصلات ، التدريب .

٤ - مديرية الاستخبارات :

وتضم حوالي ٣٥٠٠ مستخدم وتعمل في مجالات أهمها اعداد تقارير الاستخبارات من تحليل المعلومات ، والقيام بخدمات معينة لكل أقسام الاستخبارات كرصد الاذاعات الأجنبية وتحليل الصور ، وعمل أبحاث سياسية واقتصادية واستراتيجية .

٥ - مديرية العلم والتكنولوجيا :

وتتولى هذه المديرية إعداد الابحاث الأساسية وادارة أجرام التجسس وتحليل المعلومات في الميادين الفنية المتقدمة وتصنيف معلومات الوكالة اليكترونيا وتطوير نظام التجسس الفني كتطويرها لطائرات التجسس يو - ٢ - وس - ر - ٧١ - والتجسس بواسطة الأقمار الصناعية ..

١٠ وكالات لا وكالة واحدة :

يتولى مدير وكالة الاستخبارات المركزية الى جانب مهمته في ادارة الوكالة رئاسة تسع وكالات أخرى للاستخبارات هي : وكالة الأمن القومي ، الاستخبارات الدفاعية ، استخبارات الجيش ، استخبارات البحرية ، استخبارات السلاح الجوي وما يتبعها ، مكتب الاستخبارات والابحاث الملحق بالخارجية ، مكتب

التحقيق الفدرالي (شعبة الأمن الداخلي) ، لجنة الطاقة الذرية (شعبة الاستخبارات) ، ووزارة الخزانة ، وهذه «الأسرة» يزيد عدد العاملين فيها عن ١٥٠ ألف شخص وتنفق سنويا مالا يقل عن ٦ مليارات دولار .

المخابرات الصهيونية :

نشأت الاستخبارات الاسرائيلية قبل تهجير اليهود الى فلسطين بغية ايجاد وطن لهم في الأرض المحتلة وذلك عام ١٨٩٧ في مدينة «بال» بسويسرا حيث انعقد أول مؤتمر للحركة الصهيونية . وعقب هذا المؤتمر الخطير انشئت المنظمة الصهيونية العالمية ليتبعها انشاء شركة لشراء الأراضي أطلق عليها فيما بعد «الوكالة اليهودية» .

وتشكلت منظمات التجسس اليهودية الأولى مع بداية القرن العشرين وانحصرت مهامها على التوالي في جمع المعلومات عن أوضاع السلطات العثمانية لامداد بريطانيا بها قبل غزو الحلفاء لفلسطين واسقاط الامبراطورية العثمانية واكتشفت السلطات العثمانية نشاط المنظمتين اليهوديتين «بيلو» (١٩٠٧) «ونيللي» (١٩١٧) وقامت بتصفيتهما .

في عام ١٩٢٠ الحق بالوكالة اليهودية قسم للتجسس وتجنيد العملاء سمي بالمكتب السياسي .

الموساد :

تم انشاء أول جهاز مخابرات متخصص عام ١٩٣٧ وكان بن جوريون انذاك رئيسا للوكالة اليهودية وأصبح الجهاز تابعا للوكالة وكان إسم الجهاز : الموساد وانحصرت مهمته في البداية في متابعة تطوير النشاطات

السياسية الداخلية والدولية والعسكرية التي بدأها المكتب السياسي .

إزداد نشاط الموساد مع بداية الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩) وخلالها اذ ركز نشاطه على خدمة قوات الحلفاء تمهيدا لما يناله فيما بعد الحرب من سند ومساعدات لاحتلال الأرض .

على أثر اعلان انشاء دولة العدو في أرض فلسطين عام ١٩٤٨ تم تشكيل جهاز مركزي للاستخبارات ، وفي أول جلسة له تقرر أن يضم ثلاثة فروع متخصصة كما يحدثنا بهذا الرائد كامل أحمد في كتابه «الاستخبارات الاسرائيلية» . هذه الفروع هي :

١ - *الاستخبارات العسكرية ، وتنحصر مهمتها في مكافحة التجسس .*

٢ - *الدائرة السياسية ، ومهمتها الحصول على المعلومات من الخارج .*

٣ - *الأمن الداخلي ، ومهمته ملاحقة الجواسيس وحفظ الأمن الداخلي .*

وتم تنظيم الجهاز واعادة تنظيمه وتطويره عدة مرات في الفترة ما بين عام ١٩٥٢ و١٩٧٣ وشمل أول تنظيم رسمي للجهاز عام ٥٣ على استحداث نظام لجنة لتنسيق فروع الجهاز تتبع لها خمس ادارات هي :

١ - *الموساد (جهاز الاستخبارات الخارجية) .*

٢ - *الأمان (جهاز الاستخبارات العسكرية) .*

٣ - *البحوث السياسية .*

٤ - *شين بت (مصلحة الأمن العام) .*

٥ - *مصلحة يهود العالم .*

وقد اشتهر من هذه الادارات بصفة خاصة الموساد واليكم نبذة عنه كما أوردها الرائد كامل أحمد :

مهام الموساد :

١ - إدارة شبكات التجسس وزرع العملاء وتجنيد المندوبين .

٢ - إدارة فرع المعلومات العلنية (رصد واستخلاص المعلومات الهامة) .

٣ - وضع تقييم وتقدير للموقف السياسي والاقتصادي والاجتماعي للدول العربية .

٤ - ادارة مدرسة لتدريب العملاء والمندوبين على العمل السري .

عندما انشئت الموساد عام ١٩٣٧ أطلق عليها «موساد ليلياه بت» وتعني منظمة من أجل الهجرة الثانية لليهود . وبهذا بدأ عملها في تنظيم الهجرة الى فلسطين وكان مركزها في باريس آنذاك . وبتوسع نشاطها وبخاصة إبان وبعد الحرب العالمية الثانية تشكلت منظمات أخرى تركزت مهامها في أوروبا في التهجير والحصول على الأسلحة استعدادا لاستخدامها ضد العرب فيما بعد .

مع الاعلان عن دولة العدو في الأرض المحتلة عام ١٩٤٨ تحولت الموساد الى جهاز رئيسي للاستخبارات الاسرائيلية . وبدا التعاون المكثف مع أجهزة الاستخبارات في عدد من دول الغرب وجندت يهود العالم كعملاء وقد اكتشف دورها في التعاون مع السافاك وأصبح من المعروف حاليا تعاونها مع جنوب افريقيا العنصرية .

الاسلام وبث العيون :

قبل اربعة عشر قرنا عرف المسلمون كيفية استخدام التجسس للحصول على معلومات عن العدو الذي يحاربونه وكان المسلمون يعتمدون على اربعة عناصر يحصلون من خلالها على المعلومات المتعلقة بهذا العدو لا عنصر واحد ، هذه العناصر هي :

«١ - الاستطلاع ومفارز الاستطلاع .

٢ - الجواسيس (وكانوا يطلقون عليهم اسم العيون او عيون القائد) .

٣ - الانصار .

٤ - الأسرى (من خلال استجوابهم)» .

وقد عرف المسلمون حسن استخدام الجاسوسية في استقاء المعلومات قبل ١٤ قرنا ، وتوضح وصايا قادتهم عند الحرب ما يضعونه من أهمية للتجسس في التعرف على أخبار وأحوال العدو ، كما وأنهم وضعوا بوصاياهم تلك أسسا للجاسوسية والجواسيس والتعامل معهم وتقييم معلوماتهم ولنقرأ معا هذه الكلمات لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب وهو يوصي سعدا :

«إذا وطئت أرض العدو فأذك العيون بينك وبينهم ولا يخفى عليك أمرهم وليكن عندك من العرب أو من أهل الأرض من تطمئن الى نصحه وصدقه فان الكذوب لا ينفعك خبره و إن صدقك في بعضه والغاش عين عليك وليس عينا لك»

ونقرأ وصية مروان بن محمد الى ابنه عبدالله وكأنه يحدثه عن مكافحة الجاسوسية في أيامنا هذه :

«أعلم أن لعدوك في عسكرك عيونا راصدة وجواسيس كامنة وأنه لن يقع رأيه عن مكيدتك بمثل ما تكايده به وسيحتال لك كاحتيالك له» .

ويمكن أن نمضي مع كل العصور الاسلامية لنلمس ما أحرزوه من تقدم في هذا المضمار فقد أولوه اهتماما لخطورته في زمن السلم والحرب .

ولعلنا ونحن نواجه عدوا صهيونيا يستخدم كل سبل الدهاء والمكر وغيرها في حربه المعلنة والسرية ، لعلنا نذكر وصية عمر لسعد ووصية مروان لابنه عبدالله فنسعى لاستخلاص العبر من تاريخنا ونتمعن في تجارب كل من سبقونا فنرصد أساليبهم في كل مجال سبقونا اليه لنأمن شرهم .

ان التعريف بعمل الاستخبارات وتخطيطاتها والأساليب التي تتخذها ليس من باب العلم بالشيء وانما المراد به أن نضع في يد القارىء العسكري سلاحا آخر يعينه على مكافحة المخابرات المعادية والحيلولة بينها وبين تحقيق اهدافها .

والمراد بالنسبة للقارىء المدني أن يفطن لعملاء العدو فلا يقع فريسة لهم من حيث لا يدري خاصة وان العدو لا يسعى للحصول على معلومات عسكرية فحسب بل يفيده استراتيجيا ان يستكشف كل معلومة اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية أو ثقافية عنا يبني عليها تخطيطه ، وهذا الكتاب محاولة لمنع هذا بطرح اساليب الاستخبارات في هيئة بحث ومن خلال أشهر قصص الجاسوسية العالمية الحقيقية لمن يريد أن يستخلص العبر ويعتبر ■■

أطرف قصص الجاسوسية الحقيقية العالمية

أكذوبة
السيدة «من أو - قرادي»

من القضايا التي لاقت اهتماما كبيرا من قبل المخابرات البريطانية - أم - آي - ٥ - (M.I.5) قضية السيدة دوروني باميلا «أو - قرادي» من جزيرة وايت . فالقاء القبض على جاسوس كان حدثا عاديا أما القاء القبض على جاسوسة فقد كان حدثا نادرا .

وبعد الحرب لم يكتب أحد عن الجاسوسية إلا وتناول قصة

«الجاسوسة أو - قرادي» وبشيء من المبالغة تروي احدى المجلات المشهورة هذه القصة عام ١٩٦٢ على النحو التالي :

السيدة - أو قرادي - كما يوضح احد المؤلفين : ألمانية الأصل استطاعت الحصول على الجنسية البريطانية بعد أن تزوجت من أحد البريطانيين (الجنسية بالزواج) وقد جندت جاسوسة من قبل صديقة للدكتور هيرمان جونز وكان معظم ضيوفها من الألمان .

وكانت السيدة أو - قرادي من هواة الرسم وكانت تطوف الريف الانجليزي لترسم لوحاتها على الطبيعة ، وكانت تجلس كثيرا بالقرب من محطات الرادار ، ومع بداية الحرب العالمية الثانية قامت برحلات عديدة الى بور تسماوث ، ساوثهامتون ولندن حيث كانت تتردد في زيارتها على مكان مشبوه ومراقب من قبل جهاز المخابرات .

وبعد مراقبة تقرر القاء القبض على السيدة «أو - قرادي» وكانوا يطلقون عليها في ملفاتهم اسم «أو - قرادي الجميلة» . وبتفتيش منزلها عثر رجال المخابرات على لوحات لمناطق عسكرية ومرافىء بحرية . وإتضح أنها قامت بقطع خطوط الهواتف التي تصل بين جزيرة وايت وبقية الجزر البريطانية الأمر الذي كان سيؤدي الى كارثة في حالة وقوع غزو الماني على بريطانيا .

واجهت السيدة أو - قرادي محاكمتها بهدوء مما دفع بأحد الصحافيين لكتابة هذه الفقرة عنها : *«لست أعتقد أنى كنت الرجل الوحيد في المحكمة الذي أحس بالاعجاب لهذه السيدة الفارعة الطول والأنيقة التي واجهت المحكمة بمهارة وشجاعة ودافعت بحماسة لانقاذ حياتها»* .

ويبدو أن الصحافي المذكور لم يحضر المحاكمة إذ أن السيدة أو - قرادي قصيرة وليست طويلة كما وأنها ليست أنيقة ولم يفتح الله

عليها بكلمة واحدة تدافع بها عن نفسها في المحكمة .

ان كثيرا مما كتب عن هذه السيدة غير صحيح ولكنها حوكمت فعلا كجاسوسة وأدينت وحكم عليها بالسجن ولم يطلق سراحها الا بعد مضي خمس سنوات من نهاية الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) .

ويقول - الكاتب البريطاني بيرنارد نيومان ان السيدة أو - قرادي لم تعد كما قيل الى ألمانيا بعد ان أطلق سراحها ، بل إنها لم تخرج من بريطانيا في حياتها وقد عادت الى جزيرة وايت حيث ألتقى بها الكاتب .

واتضح له من البداية أن السيدة أو - قرادي ليست ألمانية الأصل فقد ولدت في بريطانيا وتزوجت من إطفائي ايرلندي وبالحديث معها روت له القصة الحقيقية الطريفة وكانت قد سجلتها في السجن ، قالت له :

«طوال حياتي ومنذ طفولتي المبكرة ، كنت استسلم لأحلام اليقظة وأؤلف قصصا من نسج خيالي . وكنت أحب أن أبدو في صورة مناقضة لطبيعتي بحيث أسبب صدمة لمن يظن أنه يعرفني . وأذكر مرة وأنا بالمدرسة كتبت على ورقة أني قتلت أمي وكانت والدتي قد ماتت قبل ذلك بعام ميتة طبيعية . وعندما نقل زوجي في وظيفة جديدة بلندن كان أنيسي الوحيد ساعات الفراغ كلب صيد أسميته «روب» وكان يحب السباحة في البحر فكنت أصحبه الى الشاطىء ولما كان شاطىء «سانداون» مغلقا فقد كنا نتسلق الهضاب حتى لا يردنا الجنود المنتشرون في المنطقة وننزل الى الساحل من مكان خفي .

في أحد الأيام كنا قرب خليج «الهضبة البيضاء» حيث يوجد

حمام سباحة ولم تكن هناك اسلاك شائكة تحول دون الوصول الى المياه ومن ثم نزلنا اليه . وبعد أن أخذ الكلب «روب» حماما جلست اتمعن المنظر الجميل الخلاب . وظهر فجأة جنديان وقالا لي : هذه منطقة محرمة على المدنيين . فأوجست منهما خيفة وبخاصة حين لمحت اسلحتهما المخبأة فأنا بطبعي لا أحب فرقعة الأسلحة .

ولاحظ احد الجنديين انى أحمل علما المانيا صغيرا به علامة الصليب المعقوف (شارة الحزب النازي والرايخ الثالث) . وكنت احتفظ بخريطة لأوروبا في منزلي الصق عليها أعلام البلدان المتحاربة لأوضح خط المعركة واتابعها بطريقتي وقد التصق هذا العلم الصغير بشعري فاكتشفته وأنا خارج الدار ومن ثم علقته على طية صدر السترة فلمحه فيما بعد الجندى فظن اني جاسوسة وطلب مني ورفيقه ان اصحبهما الى مقر قيادتهما العسكرية .

وكان الطقس حارا وقد إعتدت ان اتناول وانا في طريق العودة من المسبح كوب شاي وادخن سيجارة ولما تعذر هذا وانا أصحبهما ارتكبت خطأ سخيفا اذ عرضت عليهما ١٠ شلنات وقلت لزوم الشاي والسجائر فأخذاني الى قائدهما المباشر واخطراه انهما وجداني في مكان محظور واني حاولت رشوتهما ليطلقا سراحي . استجوبني الضابط المسئول ثم أطلق سراحي وفيما بعد زارني أحد رجال البوليس وراح يسألني عن رأيي في أدولف هتلر (الزعيم النازي الالماني) وأحسست أن هناك اهتماما موجها لشخصي فاطنبت في الحديث وقلت ما خلاصته أن هتلر رجل عظيم . واردفت قائلة : لماذا لا يحتل بولندا ؟ ألم نحتل بلادا اخرى في زماننا ؟ وقلت إن الحرب شيء لا معنى له . كنت شبه ساخرة ، ولكن رجل البوليس اخذ حديثي ماخذ الجدية وسجل كل كلمة قلتها . وبدا لي الأمر برمته مثيرا وكانت تلك فرصة لي لأخرج من حياة الملل التي كنت اعيشها ولما احسست ان المسئولين يعتقدون بجدية اني جاسوسة قلت

لنفسي : يالها من فكرة مثيرة تقتل الملل !، لماذا لا اجاريهم وأدعى إني جاسوسة فعلا !! ومن ثم حاولت ان افعل اشياء مما يمكن أن يفعله الجواسيس عادة . وبدات برسم خرائط صغيرة للمناطق المجاورة وألقيت بالرسومات بحيث يجدها الجنود .

وذات يوم تلقيت استدعاء يطلب مني فيه المثول امام القضاء بتهمة التواجد في مكان محظور ومحاولة رشوة الحراس ولم أهتم للأمر وقلت في نفسي : لا يمكن أن تنتهي الى هنا الدعابة واعود لحياة الملل فلأتـركن المنزل ولألقينّ قبل خروجي اعلاما المانية على ارض الغرفة وتخيلت أن الأمر سيكون ممتعا ومثيرا حقا .. والبوليس يجد في أثري وبيده أمر القبض علي .

وأخــيرا ألقى القبض علي ، واستجـوبـوني لسـاعـات طويلة «وأعترفت بكل شيء» ، وزدت عليه ، لتكتمل قصة الجاسوسية التي هي من نسج خيالي .

سألوني عن طريقـة إرسال المعلومات الى المانيا ، فقلت لهم إن رجلا يأتي الى الشاطيء بعد ان يخرج من الغواصة الالمانية ليتلقى المعلومات ويعود بها لغواصته . كنت قد قرات هذه الفكرة في احد الكتب . ونصحني رجال البوليس بأن أوكل محاميا للدفاع عني وقام زوجي باللازم وجـاء لي بمحام عجوز وحاولت ان اقنعه هو ايضا بأني جاسوسة فعلا .

وكان بعض الكتاب يكتبون قصص الجاسوسية وكنت انا اعيش احدى هذه القصص التي بدات بمجرد دعابة مثيرة وكذبة اخترعتها بنفسي ثم تحولت الى حقيقة . لم يكن يفطن لوجودي احد فاحببت ان أكون معروفة يشار إليّ بالبنان واذا بي احقق حلمي واصبحت شخصية معروفة .

قال لي المحـامي : «اذا كنت جاسـوسـة حقا فستكون عقوبتك الاعـدام . وسررت لقـوله لأني ساكـون محط كل الأنظار لفداحة

الجريمة والعقوبة ثم قبل النطق بالحكم سأطلب الحديث وسأفضي بالقصة الطريفة للقاضي الذي لا شك سيطلق سراحي بعد أن يعرف الحقيقة ولكن المحامي اعتقد إني فعلا قد قلت الحقيقة وأن ما سأقوله في منصة الشهادة بالمحكمة سيكون مجموعة أكاذيب . ولهذا فحين التقيت بالمحامي - تحدث معي لدقيقتين وقال لي بأنه لن يسمح لي بالمثول أمام القاضي لأنه لا يود أن يشترك معي في رواية قصة خيالية كاذبة . وقال بأنه لن يدافع عني ما لم أوقع له على ورقة أتنازل فيها عن المثول أمام القاضي واضطررت لتوقيع الورقة التي قدمها لي . وهكذا حرمني من الفرصة الوحيدة لتقديم ما يثبت براءتي .

وزارني رئيس جهاز المخابرات M.I.5 وأراد أن يعرف صلة الوصل بيني وبين ألمانيا وكيف يتم الاتصال .. إذ أنه لم يصدق روايتي عن الرجل الذي يأتي من قلب الغواصة ليلتقي بي - عله قرأ نفس الكتاب الذي أخذت الفكرة عنه .

وأخيرا بدأت محاكمتي في محكمة ونشستر وكنت أترقبها بشوق وأتوقع أن تكون في قمة الاثارة ، ولكني لم أسمع الكثير مما كان يقال داخل المحكمة ودهشت حين علمت فيا بعد أني قد اتهمت بقطع خطوط الهواتف بناء على اعتراف سابق مني بذلك مع أني لم أقطع أية خطوط !!

وهكذا مع اصرار المحامي على عدم السماح لي بالمثول أمام المحكمة للادلاء باقوالي لم أجد فرصة لأقول الحقيقة .

وكانت محاكمتي بتهمة الجاسوسية مع احتمال الحكم باعدامي غاية في الاثارة ، وكانت قمة الاثارة في نهاية المحاكمة حين وقف أحد الموظفين خلف القاضي ووضع على رأس فضيلته الطاقية السوداء فالرجل لم يضعها كما يجب وتدلت لتغطي احدى عيني القاضي وبدا الأمر مضحكا وغالبت في صعوبة رغبة جامحة تولتني

للضحك . ووجدت نفسي أعيش دراما حقيقية .

واصبت بخيبة أمل عند النطق بالحكم إذ علمت بأني سأموت شنقا بدلا من اطلاق النار عليّ !! اذ كنت اعتقد أن الجواسيس يطلق عليهم النار عادة ، ولكن لا بأس فقد كانت لديّ رغبة في رؤية انسان يشنق . واصبت بخيبة أمل أيضا عندما أخطروني بأني لن استطيع رؤية نفسي وأنا أشنق اذ سيضعون غطاء على عيني قبل تنفيذ الحكم . وقلت لنفسي : ما فائدة الشنق اذا لم أكن استطيع رؤية ما سيحدث !؟».

السيدة أوقرادى لم ينفذ فيها حكم الاعدام وهي ماتزال تعيش الآن في بريطانيا في جزيرة وايت فمحكمة الاستئناف الجنائية ألغت الحكم وجاء في الحيثيات أن القاضي الذي قام بمحاكمتها قد ركز وهو يوجه المحلفين على تهمة «مد العدو بمعلومات» بينما لم تكن هناك أية بيّنة تفيد بذلك وعليه فقد تقرر حبسها لمدة ١٤ عاما على التهم الأخرى (قطع خطوط الهواتف ، التواجد بمكان محظور ، رشوة الحراس ...) .

ومن داخل السجن كتبت السيدة أو - قرادي قصتها ولكنها فشلت في تهريبها من داخل السجن الى زوجها ثم انكشف السر أخيرا وعرفت القصة الحقيقية التي لم تكن سوى دعابة كبيرة تحولت الى واقع مرير وقدمت السيدة أو - قرادي استرحاما ولكن لم يطلق سراحها الا عام ١٩٥٠ بعد أن اتضح بالفعل صدقها ، ولكن مما يؤسف له أن الذين صدقوا كذبتها قد كلفوا الدولة كثيرا اذ أن السلطات قد عززت الدفاعات بلا جدوى في جزيرة وايت .

وبعد الافراج عن السيدة أوقرادي اشترت صحيفة الصنداي اكسبريس حقوق طبع قصتها الطريفة ثم قام كاتب هذه السطور ويرنر لوري بنشرها في احدى المجلات وفي كتابة أساطير الجاسوسية EPICS OF ESPIONAGE وقد ترجم الى عدة لغات ■



.. وكـانت تطوف الريف الانجليـزي لتـرسم
لوحـاتهـا على الطبيعة ، وكانت تـجلس كثيرا
بالقرب من محطات الرادار ..

المخابرات العربية :

* قصة الجاسوس باروخ زكي :

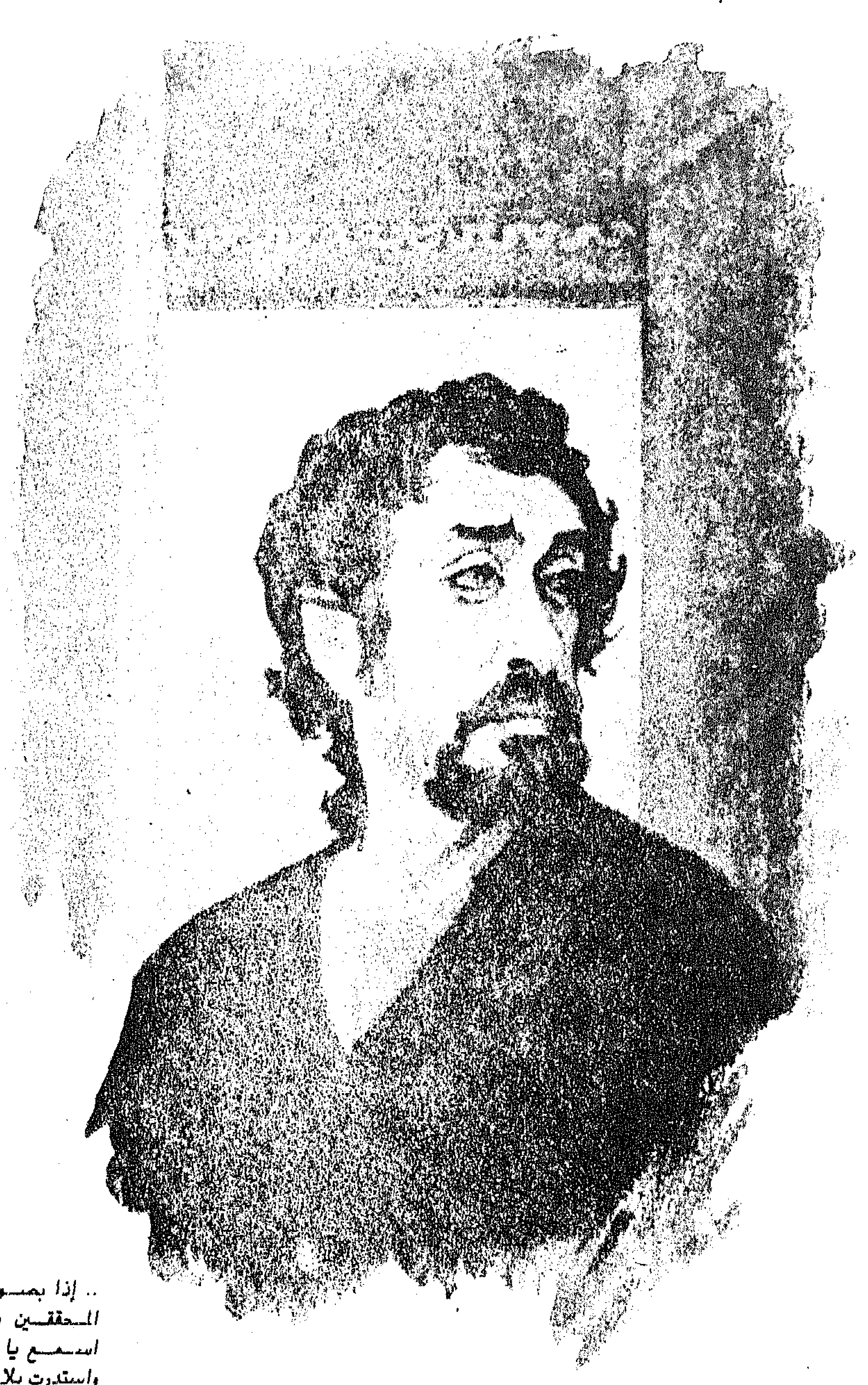
■ مع تفاوت بين الدول العربية في مجال المخابرات ، إلا انها استطاعت ان تطور اجهزتها تطورا كبيرا مستعينة في هذا باحدث الأجهزة واكفا الرجال ، الأمر الذي جعلها في مرتبة تضاهي معها مخابرات عدد من الدول المتقدمة . يكشف عن هذه الكفاءة ما نقراه

في الصحف عن اكتشافها لشبكات عالمية للتجسس تجرأت على العمل من داخل بعض بلدان عربية ومن أمثلة ذلك القصة التي نرويها هنا عن القاء القبض على الجاسوس الاسرائيلي (باروخ زكي مزراحي) في اليمن الشقيق .

ملخص القصة :

ولد «باروخ» في القاهرة عام ١٩٢٦ ودرس فيها حتى تخرج من كلية التجارة بجامعة القاهرة ثم عمل في إحدى الوزارات .

في عام ١٩٥٥ التقى بفتاة تدعى فورتينيه وظل على علاقة بها حتى أوائل عام ١٩٥٧ حيث فاتحها في الزواج إلا أنها اعتذرت له بسبب نيتها الهجرة الى اسرائيل حيث يقيم والدها وطلبت منه أن يصحبها ليتزوجا هناك ولكنه رفض في البداية لسماعه أن اليهود القادمين من بلاد عربية أو شرقية لا يلقون معاملة حسنة . ثم ان والدته الأرملة لم تكن ترغب هي أيضا في السفر الى دولة العدو الصهيوني ولكن باروخ ما لبث أن غير رأيه ، واقنع والدته ، واستقال من وظيفته ، وغادر ميناء الاسكندرية في اليوم السادس من فبراير عام ١٩٥٧ ، ووصل والفتاة فورتينيه ووالدته ميناء بيريه في اليونان حيث وجد في انتظارهم رجلين من أعضاء الوكالة اليهودية في ملابسهما السوداء التي تنم عن مخبرهما ، وكانا في الحقيقة في انتظار فورتينيه ومن ثم أخذاها ورحلا . ولم يلتق به وأمه أحد إلا بعد عشرة أيام من وصولهما وبعد أن استقلا إحدى البواخر من اليونان وهما في طريقهما الى ميناء حيفا . التقاهما رجلان أيضا من الوكالة اليهودية وسلمه أحدهما بطاقة هجرة وبطاقة أخرى كتب عليها بالعبرية مكان اقامتهما الجديد في مزرعة جماعية قيل لهما أنها مسكن مؤقت ريثما يتملكان منزلا .



.. إذا بصوت أحد
المحققين ينادي :
اسمع يا باروخ !!
واستدرت بلا وعي ...

والتقى باروخ بخطيبته فورتينيه وعلم أنها ستقيم في مزرعة جماعية أخرى وحين حدثها عن الزواج أخطرته باستحالة ذلك كما أخبروها إذ أنه يهودي وهي مولودة لأم غير يهودية والقوانين تحظر خلط الدم السامي بأية دماء أخرى .

بعد وصول باروخ ووالدته الى ميناء حيفا الفلسطيني تسلم كل منهما عملا يدويا فالوالدة عملت بالحياكة وراح هو يعمل في قطع الأخشاب ، ويشكو سوء حظه .. حتى استدعى ذات يوم الى مكتب (ابراهامي) لجمع المعلومات في تل أبيب حيث طلبوا منه أن يحدثهم عن كل ما يعرفه من معلومات عن مصر دون أن يهمل أية معلومة . وتحدث باروخ عن الحياة الاجتماعية ، والاقتصادية ، والزراعية ، والسياسية ، والثقافية ، والعلمية في مصر ، وما كان يعتقد أنه يعلمه عن الحياة العسكرية .

وبعد تقييم ما أدلى به من معلومات استدعوه مرة ثانية تم بعدها تعيينه شرطيا في حيفا وعلم في هذه الاثناء أن خطيبته قد تزوجت من أحد الاثرياء .

وأخيرا استدعى باروخ ليخطر بأنه رشح للعمل في المخابرات الاسرائيلية وانحصرت مهامه الأولية في مراقبة وتتبع الشيوعيين والمهاجرين الجدد وكتابة تقارير عنهم .

وفي ذات يوم استدعاه حاييم أيدولوفش رئيس مكتبه وحياه مصافحا وهو يقول :

«باروخ انت محظوظ ، فقد اخترت للعمل بوزارة الخارجية ، للترجمة من العربية الى العبرية» . وكانت الخارجية غطاء لعمل آخر إذ انه ارسل الى هولندا ليفتح مكتبا تجاريا هناك يقيمون من خلاله علاقات تجارية مع الدول العربية . ترقى باروخ من عامل في قطع الأخشاب ساعة وصوله الى ضابط برتبة نقيب في المخابرات الخارجية .

ويروي باروخ فيما بعد :

«تلقيت تدريبات طويلة في التعقب والكتابة بالحبر السري وتفاصيل المعاملات التجارية وأصول الاستيراد والتصدير ونظام التوكيلات التجارية حتى لا يترك شيء للمصادفة . ثم قيل لي بعد ذلك : استعد .. ستسافر بعد أيام الى بروكسل وهناك سيتم اعدادك لمهمة ، فبروكسل كما تعلم هي المركز الرئيسي لنا في أوروبا» ..

وعرف باروخ أن المخابرات الاسرائيلية تركز على مدينة أوروبية يتردد عليها العرب للسياحة أو الدراسة أو العمل أو العلاج .

مهمة عربية :

بعد تقييم جديد لباروخ أعيد الى تل أبيب حيث خاطبه نائب رئيس المخابرات قائلا :

«ان المخابرات الاسرائيلية تعلق آمالا كبيرة على نجاحك في هذه المهمة التي ستكلف بها ، فبقدر ماتحققه من نجاح تستطيع دولتنا أن تجد علاجا لهذا الصداع الذي يؤرقنا دائما ، وهو نشاط هؤلاء (الارهابيين) الذين يسمون انفسهم (فدائيين)» .

تسلم باروخ بعد هذا الحديث المقتضب جواز سفر مغربيا يحمل اسمه الجديد (أحمد الصباغ) - وأوفدوه في مهمة الى عدن فاليمن الشمالية واحدى دول الخليج العربية بوصفه تاجرا عربيا مسلما وانحصرت مهمته في تجميع معلومات عن هذه البلاد وبالذات ما يتعلق بأنشطة جبهات التحرير الفلسطينية من تدريب وأماكن تواجد ومعسكرات قد تكون مراكز لتدريبهم على ضرب السفن وناقلات البترول الاسرائيلية في البحر الأحمر مع التقاط مايستطيع من صور وذلك بغرض منع النشاط الفدائي ومنع تكرار ضرب السفن الاسرائيلية مثل تلك التي ضربت امام باب المندب .

واستطاع خلال عشرة أيام أن يحصل على معلومات مهمة وصور نادرة وقال في ذلك : «جمعت الكثير من الصور والمعلومات التي تثير لعاب الجالسين في مبنى المخابرات الاسرائيلية وقررت أن أسافر الى اديس أبابا (أثيوبيا) حيث تنتهي مهمتي في الحديدة وآخذ طريق العودة من هناك» ..

ويمضي باروخ (أحمد الصباغ) ليروى قصته فيقول :

«نـزلت من الفندق والكاميرا معلقة في كتفي كما أفعل كل يوم . وعلى الساحل شاهدت سفينتين جديدتين راسيتين في الميناء .. وحركة دائبة ما بين السفينتين والشاطىء ، رجال ينزلون ورجال يصعدون الى ظهر السفينتين . وامسكت بالكاميرا لألتقط أهم الصور واكثرها إثارة . وعدت الى الفندق ، غير أنني ما كدت استقر في غرفتي حتى دخل عليّ شابان بالملابس المدنية وطلبا تفتيش الحجرة على أن أذهب معهما بعد ذلك .

بدأوا بالتحقيق معي ولم أعترف بشيء ، فتشوا جيوبي وعثروا على رسم «كروكي» لميناء الحديدة ، ومقر احدى المنظمات الفدائية ، ثم نقلوني الى مكتب الأمن الداخلي في صنعاء . حيث استمر التحقيق معي . وحاولت التهرب والتذرع بحجة أني مواطن مغربي . وفاجأني المحققون بأنهم اتصلوا بحكومة المغرب وتأكد لهم أنه لا يوجد شخص مغربي بهذا الاسم . وبعد التحقيق والانكار أمرني المحققون بالانصراف من الغرفة وبينما أنا خارج اذا بصوت أحد المحققين ينادي :

- اسمع يا باروخ واستدرت بلا وعي ، كان المنادي مصريا .

هنا يقول الكاتب إن المخابرات المصرية كانت تعرف عنه كل شيء ومنذ زمن بعيد واعترف باروخ بكل شيء . وتم نقله الى القاهرة وتولى التحقيق معه نائب المدعي العام السيد اسماعيل مكي وتم تقديمه للمحاكمة . وحكمت عليه المحكمة بالاشغال الشاقة المؤبدة ■

ويروي باروخ :

«ان الاجتماع الذي كلفت فيه بالمهمة العربية تم في مكتب يحمل صفة مكتب استيراد وتصدير وليس هذا المكتب سوى ملتقى خمسة رجال مسئولين عن أمن اسرائيل فالرجل الذي يتصدر منضدة الاجتماع هو رئيس الموساد ، فرع الخدمة السرية الاسرائيلية المختص بالنشاط السياسي والمعلومات والنشاط في الخارج والى يمينه يجلس رئيس «أمان» وهي مخابرات الجيش والى يساره يجلس رئيس «شاباك» وهي المنظمة المسئولة عن أمن الدولة في الداخل ومكافحة الجاسوسية ومقاومة العمل الفدائي ، أما الرابع فهو رئيس قسم الابحاث التابع لوزارة الخارجية ويعتبر واجبه الأساسي مراقبة الموقف السياسي في العواصم العربية ، والرجل الخامس هو رئيس هيئة تعتبر المسئولة الوحيدة عن مصير اليهود في الدول الأخرى واشترك أيضا في هذا الاجتماع المفتش العام للبوليس ورئيس القسم والمستشارون والخبراء وجلسوا عند الجدران التي تغطيها خرائط بمقاس ١ الى ٥٠ الف لاسرائيل والدول العربية المجاورة لفلسطين المحتلة» .

في رحلة باروخ الأولى (والاسم الجديد أحمد) الى عدن تظاهر بالتقوى وراح يصلي مع المسلمين في مساجدهم واستقى أول معلوماته من موظف بأحد الفنادق وراح يلتقط الصور المطلوبة تحت ستار التاجر السايح ثم سافر لدولة خليجية نجح في جمع معلومات عنها قبل أن يسافر الى كينيا حيث أتفق معه على تسليم المعلومات والصور لزميل له هناك .

عاد باروخ (أحمد) الى اليمن الشمالي ونزل هذه المرة في فندق الاخوة بالحديدة وراح يستقي معلوماته من موظفي الفندق والنزلاء ثم يهبط الى الساحل ليلتقط الصور السياحية مع التركيز على السفن والميناء وما يجري حولها .

جاسوس يهودي يعترف بمشاركته في مذبحة

THE TIMES 20.8.1984

■ بعد صمت دام ٣٠ عاما اعترف جاسوس يهودي بخيانته حيث كان يعمل من داخل القيادة العسكرية البريطانية في فلسطين في السنوات الاخيرة للوصاية البريطانية . لمدة لا تقل عن ثلاث سنوات ينقل أسرار البريطانيين لعصابة ستيرن الارهابية التي كان يراسها اسحق شامير (رئيس الوزراء الاسرائيلي فيما بعد) .

وكانت العصابة التي سميت باسم مؤسسها ابراهام ستيرن من اكثر العصابات إرهابا . وكانت تعمل مستقلة عن عصابة اريجون التي كان يراسها الارهابي مناحيم بيغن رئيس الوزراء السابق

لدولة العدو .

وما يزال المؤرخون يتحاورون حول أسباب الانسحاب البريطاني من فلسطين في مايو عام ١٩٤٨ الذي أعقبه مباشرة اعلان دولة اسرائيل في فلسطين المحتلة ، بعض المؤرخين يقول إن الانسحاب جاء نتيجة من نتائج الحرب العالمية الثانية ويؤكد آخرون أنها لعبة يهودية بدايتها حرب العصابات التي شنتها جماعاتهم الارهابية .

الجاسوس الذي اعترف يدعى ديفد روبوفتز ويبلغ من العمر ٦٧ عاما . وقد عمل في الفترة ما بين شهر مايو عام ١٩٤٥ وابريل عام ١٩٤٨ كاتبا مسئولا عن قسم النقليات في القيادة العسكرية البريطانية التي كانت تتخذ مقرا لها فندق الملك داود بالقدس الشريف .

وفي اليوم الذي تسلم فيه عمله الجديد وخصّص له مكتب في الطابق العلوي لمقر القيادة البريطانية المعزز بحراسة مكثفة .. زارته عند الفجر في منزله امرأة شابة كانت عضوا في عصابة ستيرن وقدمت نفسها له باسمها الحركي : يائيل وطلبت منه أن يتجسس للعصابة .

وأخذ ديفد ٣ أيام يفكر في الأمر . وفي لقاء آخر مع يائيل وافق على أن يمرر للعصابة الارهابية كل مايحصل عليه من معلومات في مقر القيادة العسكرية البريطانية .

وفي وثيقة من ١١ صفحة مطبوعة بالآلة الكاتبة يعترف ديفد روبوفتز أنه استطاع أن يحصل بصورة مستمرة على مستندات توضح حجم وتحركات القوات البريطانية وكثير من المعلومات المتعلقة بفلسطين المحتلة ، وقال ديفد لمراسل جريدة التايمز اللندنية كريستوفر ووكر (العدد الصادر في ١٩٨٤/٨/٢٠) انه لمعرفته بأماكن تواجد كل وحدة من وحدات القوات البريطانية

وتحركاتها اليومية داخل فلسطين وخارجها استطاع أن يمدّ عصابة شامير الارهابية (ستيرن) بمعلومات دقيقة عن هذه التحركات مما مكن العصابة من وضع كمائن لها .

والآن وقد مضت ثلاثون سنة فان هذا السر يكشف لأول مرة من الرجل الذي كان محل ثقة البريطانيين . وبمراجعة اعترافه مع رجال عصابة ستيرن القدامى اتضحت صحة اعترافه وأبدوا دهشتهم لأن العميل الذي صمت ٣٠ عاما قد قرر أن يتكلم وحين فعل اعترف لصحيفة بريطانية .

في ٢٦ ابريل ١٩٨١ منح ديفد ميدالية من وزير دفاع دولة العدو باعتباره واحدا من الذين شاركوا في حرب العصابات الارهابية أيام الانتداب البريطاني على فلسطين وقاموا بمجازر ضد العرب .

وقال ديفد روبوفتز لمراسل التايمز :

«كنت حين أعثر على وثائق من المخابرات البريطانية أو تمر على مكتبي لتسجيلها أو طباعتها على الآلة الكاتبة انقلها في وريقة وأنا جالس على مكتبي لابعث بها فيما بعد لعصابة ستيرن» .

وقال بأن أهم مستند أبلغه للعصابة كان عبارة عن تقرير صدر في سبتمبر ١٩٤٦ يتحدث فيه القادة البريطانيون عن احتمال انساحبهم من فلسطين المحتلة

وقال ديفد بأن تقاريره للعصابة كانت ترفع من معنويات أعضائها .

وكان الاسم الحركي الذي أعطى الى ديفد روبوفتز هو : إيجال . وكانت لقاءاته تتم عن طريق يائيل التي زارته أول مرة فجرا .

وفي سؤال وجهته الصحيفة البريطانية للعميل ديفد عن أسباب اعترافه بعد صمت دام ٣٠ سنة قال بأن هناك عدة أسباب من بينها وفاة زوجته اللبنانية المولد في بداية العام الحالي (١٩٨٤) وقد بلغ من العمر ٦٧ عاما ويود أن يسجل اعترافه للتاريخ .

هذا ورغم أن ما قام به ديفد من أعمال لا يمكن تحديد أهميتها تاريخيا ولا ما فعله غيره من العملاء اليهود الا أن مثل هذه الاعترافات تؤكد ضعف اجراءات الأمن التي كانت سائدة في فندق الملك داوود فأدت مع معاونة ديفد وأمثاله الى تفجير أحد أجنحة فندق الملك داوود مما أدى الى قتل ٩١ وجرح المئات في صبيحة يوم ٢٢ يوليو ١٩٤٦ وذلك بوضع متفجرات تي - إن - تي - حول قواعد أعمدة المبنى . وكان من بين الموتى ٢٨ بريطانيا و٤١ عربيا و١٧ من اليهود .

وكان ديفد قد تلقى معلومات من العصابة الارهابية بساعة الصفر التي سيتفجر فيها جزء من الفندق وبما أن الجزء المعنى كان بعيدا عن مكتبه فقد ظل في مكتبه حتى لا يثير غيابه أية شبهة .

في نوفمبر ١٩٤٦ بدأت القيادة العسكرية البريطانية في فلسطين المحتلة تتلقى تقارير مفصلة عن خطة انسحاب القوات البريطانية من فلسطين . وكان كل هذا يتم في سرية تامة وكلف ديفد مع آخر بحرق الفايلات السرية ثم كلف فيما بعد بطباعة تفاصيل الانسحاب وكانت كل هذه الاسرار تصل الى ستيرن وأحيانا بموافقة العصابة الى «الهجانة» التي تحولت فيما بعد الى جيش اسرائيل .

وأشار ديفد في نهاية اعترافه الى حادثة شنق رقيبين بريطانيين عام ١٩٤٧ كانا يتعاونان مع العصابة الصهيونية الارهابية وقال بأنه اقترح على العصابة أن تخطف ضابطين بريطانيين برتب عالية لاستبدال العميلين قبل شنقهما من قبل السلطات البريطانية ولكن أحدا لم يستمع لرايه واضاف : *«كان البريطانيون سيقبلون مبادلة العميلين ، فانا أعرف العقلية البريطانية* ■

عن صحيفة التايمز اللندنية ١٩٨٤/٨/٢٠

THE TIMES 20/8/84

البروفسور
الذي أحب التجسس

القصة
الحقيقية

■ في شهر ديسمبر ١٩٨٢ ابرزت الصحف البريطانية خطوطا عريضة على صدر الصفحات الأولى كانت بمثابة صدمة لكبار المسئولين وكانت بعض هذه العناوين :

■ الجاسوس الذي تناول طعام الغداء مع اندروبوف .

■ بروفسور يعمل جاسوسا للروس منذ ٣٠ عاما .

وكان النشر قد بدأ مع بداية محاكمة البروفسور هيو جورج هاملتون في لندن امام محكمة أولد بيلي الشهيرة بتهمة تقديم معلومات في غاية من السرية عن الناتو (حلف شمال الأطلسي) الى الروس .

بداية النهاية :

في ظهر يوم شديد البرودة في نوفمبر عام ١٩٥٦ ترك هيو جورج هاملتون مكتبه في قيادة حلف شمال الأطلسي (ناتو NATO) في باريس .

كان هاملتون الذي يشغل وظيفة محلل اقتصادي في هذه المنظمة الدفاعية الغربية يفكر في العودة لمكتبه مرة أخرى لاكمال تقرير كان لا بد من أن يقدمه صباح اليوم التالي . كانت أمامه ساعة ونصف الساعة ليتناول طعاما خلالها قبل أن يعود لمكتبه .

وفي الطريق العام لمح رجلا عرف لتوه أنه كان في انتظاره على غير سابق موعد ، فأحس بقشعريرة زادت في حدتها لسعة البرد ، وللحظة تجاهل الرجل ، وهم بالذهاب في حال سبيله الى حيث تقوده قدماه ، ولكن الرجل حدق فيه طويلا وبايماءه طلب منه أن يتبعه كانت ايماءة من يامر آخر لا من يطلب معروفا - واستجاب هاملتون للأمر .

كان الرجل هو الرائد أليكسي فيدوروفتش تريشن بالمخابرات السوفييتية KGB ودخل الرجلان معا إلى أحد المقاهي حيث لحق بهما ثالث كان يراقب الطريق . ودخل أليكسي في الموضوع مباشرة واخطر هملتون أنه يعرف تفاصيل عمله في منصبه الجديد ونوع الوثائق التي تمر عليه يوميا للاطلاع أو التعقيب والمتعلقة في معظمها باستراتيجية حلف الناتو النووية وميزان القوى العسكري والمنازعات السياسية بين اعضاء حلف الناتو نفسه وقدرات نظم الأسلحة المختلفة التي تخضع لاشراف الناتو والتحليلات والتوقعات الخاصة بما يمكن أن يسفر عنه قيام حرب بين الشرق والغرب .. وفهم هاملتون ان الرائد أليكسي يطمع في مشاركة السوفييت لقيادة حلف الناتو في معرفة كل هذه الأسرار .

وكان السؤال الوحيد المطروح : كيف ؟ وكان لدى اليكسي الاجابة على السؤال فقال :

«في تمام الساعة الثانية عشرة والنصف من بعد ظهر يوم الجمعة القادم نلتقي قرب محطة المترو في إحدى مناطق باريس التي تزدحم بالعمال . هناك نتسلم منك الوثائق ونعيدها إليك خلال ساعة وتعيدها أنت بدورك الى المكتب في الساعة الثانية بعد الظهر - وكأن شيئا لم يكن» .

في الموعد المحدد وصل هاملتون بالمترو الى المحطة التي حددت له سلفا واستغرق المشوار عشرين دقيقة ووجد أليكسي في انتظاره وسرعان ما أخذ منه حقيبة يده وقال له مودعا : *«نلتقي هنا بعد ساعة»* .

أخذ أليكسي سيارة كانت في انتظاره وانطلق الى السفارة السوفييتية في باريس حيث كان فريق فنى في انتظاره أخذ منه الوثائق وصورها في لحظات وعاد أليكسي ليلتقي هاملتون بالمحطة مرة أخرى في أقل من ساعة زمان . ومازاد وهو يسلم هاملتون حقيبته المليئة على أن قال له : *«تركت لك مع الوثائق مظروفا به نقود»* .

وفتح هاملتون الحقيبة سريعا وأخرج المظروف ووضعه في يد الروسي اليكسي وقال له : *«حقيقة ، لست في حاجة للمال»* .

ورد اليكسي قائلا : *«كرجل اقتصاد عليك أن تفهم بأنه لا يتوقع منك أن تدعم روسيا ماديا»* .

فأجاب هاملتون : *«استطيع ان ادفع اجرة المترو بلا عون من احد»* .

وهنا قال أليكسي : *«حسنا ، نلتقي خلال اسبوعين في نفس هذا الموعد»* . ثم حدد له مكانا آخر - مقهى قرب محطة المترو - واضاف : *«احضر ما تستطيع اخذه من وثائق»* .

ووصل هاملتون الى مكتبه في الثانية ظهرا . كان التسليم والتسلم سهلا ولا يخلو من إثارة كما ذكر هاملتون فيما بعد .

البداية :

ولد هاملتون في ٤ مايو ١٩٢٢ في أوتاوا بكندا لأب انجليزي وأم ايرلندية وكان والده صحفيا مرموقا وأول مراسل دائم لمؤسسة الصحافة الكندية في أوروبا . وبينما كان والد هاملتون يجوب شبه القارة الأوروبية ظل هاملتون مع والدته وأخته الكبرى في فرنسا . وكانت والدته تتمتع بذاكرة فوتغرافية ولبقة تشد المتحدث اليها مما أكسبها صداقة احدى الأسر الفرنسية الارستقراطية فتبنتها هي وأطفالها ومن ثم تلقى هاملتون تعليمه في أفضل المدارس الخاصة وعلى أيدي أكفأ الاساتذة .

في فرنسا أبدت والدة هيوجورج هاملتون اعجابا بروسيا وبثورتها وتعلمت اللغة الروسية وتعرفت على بعض الأسر الروسية المقيمة بفرنسا وظلت لسنوات على صلة بهذه الأسر وغيرها .

ومع بوادر الحرب العالمية الثانية وخوفا من انتشارها بعث هاملتون الأب بأسرته الى أوتاوا (كندا) عام ١٩٣٧ وهناك ظلت زوجته تحضر حفلات السفارة الروسية وتقوم بتعليم بعض دبلوماسياتها اللغة الانجليزية ، ومن هنا فلم يكن هيو يحس بغرابة تجاه صلات الصداقة بين أسرته والروس .

بعد تركه المدرسة عام ١٩٤٠ انتقل الى كاليفورنيا ليتلقى تعليمه هناك ودرس اللغة الاسبانية وبعد أن ضرب اليابانيون بيرل هاربر عاد هيو جورج هاملتون الى كندا وكان رجال المقاومة الفرنسية هناك يجندون متطوعين للعمل وتقدم «هيو» وتم تجنيده في احد المعسكرات ولما كان يجيد أربع لغات : الفرنسية والانجليزية والألمانية والأسبانية فقد تم تعيينه برتبة رقيب رغم صغر سنه (١٩ سنة) . وبعد تدريبه أرسله الفرنسيون للعمل في مديرية الاستخبارات العامة في الجزائر ليقوم بترجمة التقارير التي تصلهم

من العملاء الفرنسيين المتواجدين في أسبانيا .

بعد تحرير باريس من النازية عمل هيو هاملتون بقيادة المخابرات الفرنسية في وظيفة ضابط إرتباط ملحق بالفرقة ١٠٣ التابعة للجيش الامريكي - حيث كان يتلقى أوامره من ضباط امريكان ويقوم بمهام لمخابراتهم حين يكلف بها .

في أواخر عام ١٩٤٥ أستدعى الى باريس وأحس بأنه لم يعد محل ثقة الفرنسيين لتعامله مع المخابرات الامريكية . وبمعاونة والده تم نقله الى الجيش الكندي وعين في وظيفة في ستراسبورج بشرق فرنسا حيث أوكلت اليه مهمة استجواب أسرى الحرب وتقييم تقارير المخابرات .

وعندما تم تسريحه من الجيش عام ١٩٤٦ كان هيو هاملتون قد خدم في مخابرات ٣ دول - تركت فيه بصماتها كحبه للمغامرة واحتفاظه بالاسرار ومتابعة أحداث العالم . وحين عاد مرة أخرى الى أوتاوا بكندا ليلتحق بجامعتها كان يفتقد وظائفه السابقة ويحس بالحنين اليها .

في عام ١٩٤٨ تزوج هيو هاملتون من فتاة فرنسية - كندية والتحق بجامعة الاستقلال الوطني بمدينة المكسيك وفي عام ١٩٥٠ حصل على درجة جامعية في الاقتصاد وبعد تخرجه عمل بوظيفة في شركة الافلام الوطنية بكندا التي كانت في حاجة لمندوب يوزع افلامها في أمريكا اللاتينية . في هذه الفترة كان الغرب قد بدأ يبادل الشرق العداء وشهد العالم الحرب الكورية ورغم ذلك ظلت عائلة هاملتون على صلة طيبة مع الدبلوماسيين السوفييت .

في عام ١٩٥١ قدمت السيدة هاملتون ابنها هيو الى السكرتير الأول بالسفارة الروسية فالديمير بوردين وبدأت بين الاثنين صداقة ، وراح بوردين يستخدم الاسلوب التقليدي في تقييم صديقه الجديد وذلك عن طريق سرد قصة حياته وبخاصة في فترة

حصار ليننجراد لدفع هيو هاملتون ليروى قصة حياته العسكرية فلما فعل تكونت لدى بوردين فكرة جيدة عن هيو هاملتون ولفت انتباهه عمل صاحبه في مخابرات ٣ دول .

في عام ١٩٥٣ وقبل مبارحة بوردين عمله في كندا الى موسكو تحدث الى هيو هاملتون الذي توطدت صداقته معه وطلب منه أن يمده «بمعلومات» عن مجلس ادارة الفيلم الوطني . ولم يكن في هذا الأمر سرية ، ومع هذا كان هيو هاملتون متحفظا . ثم افترقا بعد وداع أحس فيه هيو أنه لن يرى صديقه الروسي مرة أخرى .

في عام ١٩٥٤ قرر هيو هاملتون أن يحصل على شهادة الدكتوراه في الاقتصاد من جامعة باريس ويعمل كاقتصادي . واستطاع بعد سفره الى هناك أن يستأجر مسكنا على بعد ٣٠ ميلا من العاصمة الفرنسية . وفي ذات يوم فوجىء برجلين يتجهان نحوه ويمد أحدهما يده ليحييه . وما كاد هيو يتمعن الرجل حتى صاح مخاطبا إياه بلهجة ودودة :

«كيف استطعت ، بحق السماء ، أن تعرف مكاني ؟» .

كان الرجل هو صديقه الروسي بوردين ومعه رفيق آخر . لم يكن أحد يعرف بالعنوان الجديد سوى أسرة هاملتون .

وأجاب بوردين على التساؤل قائلا :-

«الاصدقاء القدامى دائما يجد بعضهم بعضا . وعلى كل حال ها نحن اولاء نلتقي فدعنا نحتفل بالمناسبة» .

في إحدى الحانات الريفية وعلى مائدة العشاء قدم بوردين لصديقه هيو الرجل الذي كان يصحبه قائلا : *اليكسي* .

ولم يكن المذكور سوى الرائد اليكسي فيدوروفتش الضابط بالمخابرات السوفيتية KGB .

وأثناء تناول الطعام اقترح بوردين على هيو هاملتون إعداد بحث لهم في مقابل تعويض مغر .

مرة أخـرى تحفظ هيو في قبول العرض ، ولكن بعد حوار قبل أخيرا إعداد وتقديم البحث المطلوب وتكررت لقاءات هيو مع الرائد أليكسي طوال عام ١٩٥٥ .

واقترح الرائد أليكسي على أثر الحملة التي شنها مكارثي في أمريكا (المكارثية أو الحملة ضد الشيوعية) أن يكون لقاؤهما في مطاعم غير مشهـورة مع تغليف صداقتهما الجديدة بالكتمان . وأعجب هيو هاملتون المحب للمغامرة بالاقتراح .

مع بداية عام ١٩٥٦ وكان النقاش يدور حول عمل هيو بعد نيله لدرجة الدكتوراه اقترح أليكسي عليه أن يبحث عن وظيفة في قيادة حلف شمال الأطلسي (ناتو) - في باريس . وقال هاملتون إنه لم يفكر في هذا ولكنـه سيبعث بأحـد طلبـاته الى الناتو . ونسى الطلبات جميعهـا ، حتى جاء يوم وصله فيـه رد من جامعـة بريـطانيـة للالتحاق ، وقبل العرض ، وودع اليكسي إلا أنه قبل مغادرته فرنسا الى انجلتـرا تلقى ردا آخـر . جاء الرد هذه المـرة من حلف شمال الأطلسي وكان أكثر اغراء من سابقه . فقبله .

كان منصب هيو هاملتون الجديد في الناتو يشمل تحليل ضعف وقـدرات وحـدود اقتصاديات دول الحلف ودول المعسكر الشرقي وكـانت قيادة الحلف تمده بكل ما يمكن أن يسهل مهمته والفريق الذي يعمل معه من معلومات ووثائق . واعتبرت دراسات الفريق تحت رئـاستـه من قبل مجلس وزراء حلف شمال الأطلسي أساسا لوضـع خطط وسياسات الحلف . ومع حصول هيو هاملتون على أخطر الوثائق وأدق الأسرار والمعلومات بدأ يحس بأنه في مركز قوة لا يستهان به ، يشارك في صناعة احداث العالم . ولما كان يعلم أن اي اتصالات له مع الروس أو حتى الكشف عن أي اتصالات سابقة معهم ستكلفه حريته ووظيفته .. كتب الى والديه يخطرهما بالا يذكرا وظيفته الجديدة لأي روسي يعرفانه أو قد يتعرفا عليه مستقبلا .

ولما مضى الصيف وأوائل الخريف اطمأن هيو هاملتون الى أن الروس لا يعرفون بقبوله لعرض الناتو .

ثم جاء ظهر ذلك اليوم الشديد البرودة من نوفمبر لعام ١٩٥٦ في باريس فشاهد هيو ، كما ذكرنا ، الرائد أليكسي في انتظاره على غير سابق موعد .. وبدأ تعاونه مع اليكسي بتلك الوثائق التي كان يحملها اليه ليصورها ويعيدها اليه قبل الثانية ظهرا ليعود بها الى مكتبه . كان هاملتون يعتقد أنه يقدم وثائق ومستندات غير ذات أهمية ولكنه بمجرد أن قدم تلك الاوراق أيا كانت أهميتها كان قد تخطى عتبة مصاحبة العدو الى التعاون معه .

الغوص الى الأعماق :

لعدة أشهر كانت المخابرات السوفيتية مقتنعة وراضية بالقليل الذي كان يقدمه هيو هاملتون من مستندات ، ولما ايقنت في صيف عام ١٩٥٧ أن قبضتها على هاملتون قد قويت بدأت الضغط عليه . وكانت البداية مطالبة أليكسي إياه تقديم وثائق أكثر سرية مما كان يدفع بها إليهم . وتسريب وثيقة سرية لا يختلف عن تسريب أية وثيقة أخرى ..

وأدرك هيو هاملتون أن رفضه يعني كشفه لرؤسائه فمد للروس خيط التعاون . وقدم في أول موعد لاحق لهذا لحديث مع أليكسي اربع دراسات ، ثلاثا منها سرية والرابعة في «غاية السرية» .

استمر هذا التعاون لسبع سنوات كانت المخابرات السوفيتية تتلقى خلالها مستندات في غاية الأهمية الأمر الذي حدا بها الى تحديث قسم خاص في باريس مهمته الأساسية جمع وأرشفة المعلومات الخطيرة والمستندات التي يمدّها بها هيو هاملتون .. ومع زيادة حجم الوثائق أعد الروس سيارة معدة خصيصا لتصوير هذه

الوثائق والمستندات عبارة عن معمل متحرك داخل سيارة تتواجد حيثمـا إلتقى أليكسي بهيـو هاملتـون وبـداخلهـا فنيـون روس يستـطيعـون تصـوير ١٠٠ صفحة في أقل من عشر دقائق . وكان اليكسي يشجع هاملتون بكلمات الاطراء :

«هـذه وثـائق بمثابة الذهب الصافي .. قيمتها لا تقدر بثمن .. واعضاء المكتب السياسي يطالعونها شخصيا» ..

وكان الروس يعاملون هيو هاملتون برقة متناهية فهو ما يزال يقوم بكل هذا العمل دون مقابل . ولما خشوا من تكرار هذه اللقاءات بينه وبين اليكسي أمدوه بجهاز إرسال خاص وعلموه كيفية استخدامه .

في عام ١٩٥٨ انتهى زواج هيـو هاملتـون بالطلاق وأصبح في مقدور هاملتون ان يأخذ الوثائق معه الى منزله ليلا ويصورها ثم يلقى الفيلم حيث يحـدد له المكـان بالشفـرة . وبهـذا أصبحت اللقاءات الشخصية تتم مرتين أو ثلاث مرات في السنة وفي الغالب خارج فرنسا .

هل ينقطع الخيط ؟

كان هيـو هاملتون يجد متعة في التجسس . كان يحبه بكل ما يصحبه من إثارة وتوتر ومغامرة وكان يحس وكأنه يلعب دور ممثل على المسرح العالمي ، ولكن أحيانا كان يحس بأهمية حلف الناتو كقوة توازن بين المعسكرين ويشعر بالتزامه تجاه زملائه في الحلف ويفكـر في التخلي عن المخابرات السوفيتية بقطع خيط التعاون . وكان هذا الاحساس يدفعه أحيانا للامتناع عن تقديم وثائق «غاية في الأهمية» للروس .

وبمـرور الوقت ومع قيامه باعمال صغيرة كوضع الافلام التي

يصـورهـا تحت أحد الأحجار أو تحت شجرة لم يعد يحس بأنه يؤدي عملا كبيرا بل يقوم بما يمكن أن يوصف بكلمة واحدة : *«الخيانة»* .

زاد هذا الاحساس لديه مع زيادة حدة التوتر بين الشرق والغرب عام ١٩٦١ . ويبدو أن الروس بدأوا يحسون بدورهم بما يساوره فضاعفوا من مطالبته وأصبحوا في نهم لمزيد من المعلومات والوثائق .

خلال سنوات كان هاملتون قد قدم للروس ما بين ١٥٠٠ و ٢٠٠٠ مستند تضم آلاف الصفحات .

ونتيجة الضغط الذي راح يزاوله الروس عليه وتأنيب الضمير الذي كان يحسه إتخذ قرارا واستدعى أليكسي ليقابله حيث أسر اليه بأنه أضطر لترك العمل بحلف شمال الأطلسي وقال كاذبا :

«لقد انهوا خدماتي» ؟

وتساءل اليكس : *لماذا ، ماذا حدث ؟!*

أجاب هيو : *اختي سافرت الى كوبا ورآها بعض رجال المخابرات* .

وغضب أليكسي لفقدانه مصدر المعلومات الذي لا يعوض من داخل الناتو . وبعد تفكير افترح على هيو هاملتون ان يهرب الى موسكو ويكشف أمام العالم مؤامرات الناتو ضد السلام العالمي ، ولكن هيو لم يقبل العرض وقال بأنه سيعود ليعمل في احدى جامعات لندن .

في آخر لقاء بين اليكسي وهيو هاملتون عام ١٩٦١ عرض اليكسي عليه مبلغا من المال ولكن هيو رفض . وقال اليكسي لهاملتون وهو يودعه :

اذا اردت العودة الينا في اي وقت فمرحبا . وما عليك الا ان تظهر في شارع (كذا) الاربعاء الثالث من اي شهر تختاره . وسنكون هنا في انتظارك .

.. كان هيو هاملتون
يجد متعة في
التجسس ...



وسافر هيو هاملتون الى أسبانيا وظل يتردد على بريطانيا لينال شهادة أخرى في الدكتوراه ولكنه بعد مرور ما يقرب من العام أحس بملل قاتل .

وفي ذات يوم وهو في طريقه بالقطار من لندن الى برشلونة (أسبانيا) هبط في باريس ليغير القطار ولكنه وصل متأخرا فقرر المبيت في باريس . وحين استيقظ في صباح اليوم التالي اكتشف لدهشته أن اليوم الأربعاء الثالث من شهر مايو لعام ١٩٦٢ وقال لنفسه متسائلا : *«ترى هل يمكن أن يكونوا هناك في انتظاري ؟»* وذهب للموعد على سبيل التسلية . وإذا به يفاجأ بأحدهم يمد له يدا ويقول :

«يا لها من مفاجأة سارة . هل تعلم أني كنت أقف عند هذه الزاوية مرة كل شهر لما يقرب من العام على أمل أن ألقاك» . كان الرجل ضابطا في المخابرات السوفيتية ولم يعرف هاملتون لماذا عاد الى عرين المخابرات السوفيتية .

ومرت سنتان ولم تكلف المخابرات هاملتون بأي عمل . وفي ربيع عام ١٩٦٤ إتصل هاملتون بالمخابرات السوفيتية ليحيطهم علما بوظيفته الجديدة ، فقد وجد عملا بجامعة كويبك (كندا) . كان هاملتون هذه المرة معدما ولهذا قبل مبلغ ٢٧ جنيها استرلينيا ثمن التذكرة الى فيينا (النمسا) حيث حددوا له موعدا للقاء ... وأسفر اللقاء عن تحديد موعد للقاءات لاحقة برجال المخابرات السوفيتية في كندا عند مكتب بريد أوتاوا الرئيسي .

هاملتون في اسرائيل :

بين عام ١٩٦٤ وعام ١٩٦٧ التقى هاملتون برجال الكى - جى - بي - K G B ٣ مرات وطلبوا منه تجنيد عملاء لهم بجامعة لافال

والالتحاق بوظيفة في الخارجية الكندية ولكنه لم يفعل ذلك .

بعد ١٨ شهرا من انقطاع اتصاله بهم بعثت المخابرات السوفيتية واحدا من أكفأ رجالها لمقابلته هو المقدم رودولف هيرمان وبعد التعرف كلف هذا الاخير هاملتون بكتابة أبحاث أولها عن اقتصاد الصين . وبدأ الاتصال من جديد والتعاون في هذا المجال .

في بداية السبعينات طلبوا منه أن يسافر الى دولة العدو الاسرائيلي لاعداد تقرير عن امكانياتها النووية فسافر كأستاذ زائر لاحدى الجامعات هناك للاجابة على سؤالين :-

■ *هل انتجت اسرائيل قنابل نووية ؟*

■ *هل ستعمد الى استخدامها - اذا توافرت لديها - في حربها ضد العرب ؟*

قدم أساتذة الجامعة اليهود بالجامعة العبرية العون للبروفسور هيو هاملتون القادم من كندا في أكثر من مجال ، وكان يسأل عن الاماكن التي يسمح له بزيارتها وعرف بهذا ما لا يسمح له بزيارته من أماكن ثم قام بالاتصال بعدد من الباحثين ومطالعة البحوث في المكتبات واستطاع أن يحدد المناطق الممنوعة والعلماء الذين يعملون فيها .

وعندما بارح دولة العدو في أغسطس عام ١٩٧٠ كان لديه التقرير المطلوب وحين وصل الى النمسا سلم التقرير الذي حوى معلومات دقيقة بينها ان اسرائيل بمعونة من جنوب افريقيا العنصرية ومعلومات سرية دقيقة حصلت عليها بطريقة ما من أمريكا (غالبا سرقتها) استطاعت اسرائيل ان تنتج بضع قنابل ذرية ، كما أنها تنتج عددا منها سنويا وجاء في تقرير هاملتون أن اسرائيل قد لا تتورع في استخدام هذه القنابل مستقبلا .

لقاء مع زائر مهم جدا :

بعـد إيفاد بروفسور هاملتون في أكثر من مهمة تقرر أخيرا أن يذهب الى موسكو ليلتقي بكبار المسئولين هناك .

من النمسا أخذ ضابطان سوفيتيان هاملتون في سيارة دبلوماسية وعبرا به الحدود الى تشيكوسلوفاكيا ومن هناك أخذ طائرة توبولوف مليئة بالعسكريين الروس الى موسكو . وفي الطريق من المطار العسكري الذي هبطت فيه الطائرة الى العاصمة السوفيتية حدثه مرافقه عن احترام السوفييت لشخصه والاستعدادات التي تجري لتدريبه وأردف قائلا :-

«لقد أعددنا لك برنامجا كاملا للتدريب على المهارة ، ومؤتمرا لمناقشة مستقبلك ، كما ستعقد لك اجتماعات على أعلى المستويات خلال الاسابيع الثلاثة التي تقضيها معنا» .

وبعد أن استقر في شقة فاخرة ووضعت سيارة تحت تصرفه بدأ التدريب بتعلم استخدام الحبر السري ، إختراع كيمائي جديد ، وتلقى دروسا في التعرف على الخرائط والمساحة .

وفي أحد الايام أحضروا له جهاز استقبال بموجات قصيرة تنتقل إشارته عبر جهاز آخر ملحق به صنع حديثا يدعى «الليمونير» - راسل الاشعاع - وقد أعد الجهاز الجديد في معامل الكى جى بي K G B لكبار العملاء الذين لايرغبون في استخدام الاجهزة العادية التي ترسل بشفرة مورس . وميزة هذا الجهاز المتطور الصمت الكامل حين يعمل فلا يشي بصاحبه لأجهزة التتبع أو الفضوليين كما ان الجهاز له مناعة ضد التشويش وقيل له إن هذا الجهاز سينقل الى كندا في الوقت المناسب . وكان الجهاز نادرا في تلك الايام وكميته محدودة .

وقبل نهاية الاسبوع قال له مرافقه بافل :-

- *«يشاركنا طعام العشاء اليوم زائر مهم جدا»* .

وجاء الزائر في الوقت المحدد يرافقه ثلاثة من الحراس ولم يقدم نفسه وكان يتحدث اللغة الانجليزية بطلاقة وراح يسأل هاملتون عن أمريكا واقتصادياتها وامكانية زيادة تسليحها وأثر هذا على اقتصادياتها وهاملتون يجيب بما يعرف . ثم سأل الزائر المهم هاملتون عما اذا كان بامكانه دخول حقل السياسة في كندا وامكانية انتخابه في البرلمان وأجاب هاملتون بالنفي فراح الزائر يسأله : هل يمكن أن تعمل في أمريكا في أحد مراكز الابحاث السرية كمعهد هدسون مثلا ؟ وأجاب هاملتون بالايجاب هذه المرة .

بعد ساعة غادر الزائر الغرفة وهو يقول لهاملتون مودعا :-

- *هل تعلم أنك شخص فريد من نوعه .*

بعد خروج الزائر سأل هاملتون عن شخصية الزائر الذي لم يقدم نفسه . وأجابه محدثه :-

- *ألم تعرفه . إنه مدير المخابرات يورى اندروبوف الرجل الذي يتوقع أن يتولى يوما ما منصبا هاما . (بالفعل تولى اندروبوف في الثمانينات رئاسة الاتحاد السوفييتي) .*

تحت المراقبة :-

في عام ١٩٧٦ توطدت صلات هاملتون بفتاة يوغسلافية أراد الزواج منها وشغل بها عن المخابرات السوفيتية فكثفوا اتصالاتهم به حتى نظموا معه لقاء في يناير ١٩٧٧ تسلم خلاله جهاز الارسال المتطور وقام بعدة رحلات الى بلغراد والقاهرة واسرائيل ولندن ومن شقة لصديق له في انجلترا بعث برسالة يخطر فيها أحد مكاتب المخابرات السوفيتية أنه سيظل في لندن حتى ديسمبر .

في منتصف نوفمبر عام ١٩٧٨ تلقى بطاقة دعوة من النمسا كتب عليها :- «*عزيزي هيو نرجو أن نراك في فيينا للاحتفال وزوجتي بعيد زواجنا في آخر نوفمبر*» . وبتحليل البطاقة عرف أنه مطلوب في

فيينا يوم الاثنين التالي .

وصل هيو هاملتون الى فيينا في الموعد المحدد وانتظر داخل سيارة كانت تقف له عند مدخل أحد المطاعم وخلال ثوان أحاطت بالسيارة عربتان ثقيلتان وهبطت مجموعة من الرجال وعرف هاملتون أنه محاط بجيش صغير من العسكريين الروس ، وفجأة دخل الى السيارة وجلس الى جواره أحد رجال المخابرات السوفيتية ويدعى باول وبادره بعد التحية بقوله :-

- «*سننتظر داخل السيارة لنتحدث*» .

وعجب هاملتون وسأل محدثه : *لماذا داخل السيارة ؟*

أجاب باول :

«*الظروف تستدعي ذلك فرسالتك التي بعثت بها من لندن قد فتحت من قبل رجال الامن ويحتمل أن تكون الآن تحت المراقبة . ولدينا معلومات تفيد أن كل الذين على شاكلتك ممن عملوا في مخابرات أجنبية تجري مراقبتهم ، لهذا نريدك أن تلغي كل شيء وتلتفت لعملك العادي ولا تتصل بنا حتى نتصل بك . او اذا أردت يمكن أن تحضر الى موسكو وتعيش هناك . لك أن تختار ما تشاء ولكن قبل كل شيء أوقف أي نشاط لك*» .

وقبل أن يغادر باول السيارة وضع في يد البروفسور هيو هاملتون مظروفا به مبلغ من المال واختفى في لحظات عن الانظار هو ومن كان برفقته .

ووصل هاملتون الى الفندق في فيينا وفتح المظروف وراح يضحك . كان المبلغ ٥ آلاف دولار وبعملية بسيطة إتضح أنه المبلغ الذي تقاضاه لأول مرة منذ عام ١٩٥٦ بداية تعاونه مع الروس يعادل في حساب هذه السنوات راتبا شهريا قدره عشرة دولارات من المخابرات السوفيتية .

مع حالة اليأس التي انتابت هاملتون أحس بأنه معرض للقبض

عليــه في أية لحظة فغادر فيينا الى بلغراد .. إلى حيث ترقد فتاته مريــضــة بداء السرطان فسـلمهــا الخمســة آلاف دولار وغــادر يوغوسلافيا مودعا .

خلال ربيــع وصيف عام ١٩٧٩ بقي البـروفســور هاملتون في أوربا ، ولما أحس بأنه غير مراقب عاد الى جامعة لافا بكندا . وظل يباشر عمله بصورة عادية ، ولكنه لاحظ بعد أيام أن هناك من يتبعه في مجيئه ورواحه .

في نوفمبر عام ١٩٧٩ رن جرس الباب وحين فتحه وجد أمامه رجلا طويل القامة يصحبه أربعة من زملائه وقال الرجل متسائلا :-

- «بروفسور *هاملتون* ؟ ولم ينتظر إجابة بل أردف قائلا :-

- *لدينا أمر بتفتيش منزلك . هل تسمح لنا بالدخول* ؟ .

لم يطل التفتيش اذ سرعــان ما وجــد رجــال البــوليس السري الكندي جهازا للارسال . وسأل أحدهم البروفسور :-

- *هلا أخبرتنا سبب وجود هذا الجهاز عندك وكيف حصلت عليه* ؟

قال هاملتون وهو يبتسم : -

- *هل ستصدقون ما ساقوله لكم أم ستصدقون ما رأيتموه باعينكم* ؟

■■■

كان باول صادقــا في لفت نظر البــروفسور هاملتون الى مراقبة المخابرات الغربية لكل من لهم خلفيات كخلفياته في الخدمة السرية ولكن ما لم يكن يعرفه هاملتون ولا باول أن الكنديين كانوا يعرفون منذ شهر مايو عام ١٩٧٧ أن هاملتون عميل سوفييتي .

كان العميــل السوفييتي رودولف هيرمان الذي هرب للغرب قد كشف سره للمخابرات الامريكية ولكنهم قرروا عدم الكشف عنه أو القاء القبض عليه لانهم كانوا يستخدمون رودولف هيرمان كعميل

مزدوج وخشوا أن يؤدي كشف البروفسور الى معرفة السوفييت للواشي الذي كان ما يزال يعمل لديهم . وكان الامريكان يخططون عبر هيرمان لعملية كبيرة فلما نفذت العملية تقرر مواجهة البروفسور هاملتون .

كانت الادلة التي قدمها هيرمان كافية لاثبات تعامل البروفسور هيو جورج هاملتون مع السوفييت ولكن ليس لدى الحكومة الكندية ما يثبت أن هاملتون قد سرب معلومات سرية تضر بكندا كما أنه لم يقم بأي عمل يخالف القوانين الكندية ومن ثم تبين للحكومة الكندية أنها قد لا تنجح في ادانة البروفسور وفقا لقوانينها ولهذا اقترحت عليه اطلاق سراحه في مقابل أن يخبرهم بالتفصيل عن علاقته بالسوفييت وما نقله لهم من وثائق ومعلومات ومستندات عن الناتو .

وتنفس البروفسور هاملتون الصعداء واعترف للحكومة الكندية بكل شيء وأطلقت الحكومة سراحه وأسفت لرجل بهذه الكفاءة أضاع مستقبله في خدمة دولة أجنبية وكان من الممكن أن يكون شخصية مرموقة في بلاده .

في أكتوبر ١٩٧٩ تلقى هاملتون رسالة من يوغسلافيا كانت هي الاخيرة من فتاته التي كانت تودع الحياة .

وبعد مضي سنوات في كندا قرر هاملتون الذي يحب الاسفار أن يأخذ الاذن من السلطات الكندية بالسفر الى أمريكا وبريطانيا وحذروه من خطورة رحلته اذ يمكن القاء القبض عليه ومحاكمته بتهمة التجسس في الخارج ولكن لم يأبه وقرر السفر .

في يونيو ١٩٨٣ سافر الى لندن واعتقد أنه بمرور السنوات لابد وأن البريطانيين قد نسوا أمره . وأحس برغبة في ركوب المخاطر ، وبروح المغامرة التي اعادته باختياره عام ١٩٦١ الى المخابرات السوفيتية .. وأحس أيضا أن في اعترافاته للغير بما فعل راحة له .

النهاية :

كان إسم البروفسور هيو جورج هاملتون في القائمة السوداء ببريطانيا وبمجرد وصوله بدأ الفرع الخاص بالهجرة يستجوبه . وبصراحة لم يعهدوها من قبل راح يقص عليهم حكاية التجسس من أولها تماما كما قصها على الكنديين ، ولكن قصته هنا في المملكة المتحدة اعتبرت اعترافا يتطلب الادانة . وهكذا أدان البروفسور نفسه ساعة وصوله .

وبما أن قانون افشاء الاسرار الرسمية ببريطانيا يعتبر كل عمل من أعمال التجسس ، بصرف النظر عن مكان وقوعه أو وقت تمامه ، جريمة معاقبا عليها بالنص ، فلم يكن هناك خيار أمام البروفسور هنا . لم يكن هناك خيار غير توجيه الاتهام له .

وفي أثناء محاكمة البروفسور العميل في نوفمبر عام ١٩٨٣ حاول جهده أن يتخلص من التهمة بادعائه العمالة لا للسوفييت ولكن لفرنسا وكندا كعميل مزدوج ، ولكن الادلة أسقطت هذا الادعاء واضطر في النهاية الى الاعتراف صراحة بجريمته .

وحين سأله ممثل النائب العام في المحكمة : - *«هل لا تزال تعمل للمخابرات السوفيتية كي - جي - بي»* ؟

أجاب هاملتون بقوله :

«أنا أعمل ضابط مخابرات» . فهكذا كان يظن نفسه ليس عميلا للسوفييت فحسب ، بل ضابط مخابرات فرنسيا ، أمريكيا ، كنديا وأخيرا سوفيتيا .

وكضابط مخابرات سوفييتي حكم عليه في محكمة أولدبيلى بلندن بالسجن ١٠ سنوات . حكم عليه بها عام ١٩٨٣ وهو في سن الستين . ويبدو أنه سيقضي بقية عمره إن كان في العمر بقية في سجن بريطاني ...■

اختطاف
عملاء لهتلر

■ فالتر شيلينبيرج الذي أخذت من مذكراته هذه القصة . كان رئيسا للفرع الخارجي للخدمة السرية النازية وهي منظمة تختلف عن منظمة الخدمة السرية العسكرية الالمانية التي كان يطلق عليها بالالمانية ABWEHR .

هذه القصة التي حملت إسم : «حادثة فنلو» او اختطاف عملاء

لهتلر وقعت أحداثها في هولندا خلال شهري أكتوبر ونوفمبر من عام ١٩٣٩ وقد تعاظم شأنها لتدخل هتلر شخصيا لأنه كان مقتنعا أن المخابرات البريطانية كانت وراء محاولة اغتياله التي جرت في ذلك الشهر (أكتوبر) . وكان هتلر يعتقد أن اختطاف اثنين من رجال المخابرات البريطانية لاستجوابهما سيكشف النقاب عن الخطة البريطانية وعن نوايا البريطانيين بصفة عامة تجاهه .

قبل هذه الحادثة كان البريطانيون على صلة بفالتر شيلينبرج باعتباره حسب رأيهم عضوا في الحركة السرية المناهضة لهتلر . وفي الحقيقة كان هذا هو الدور الذي ظل فالتر شيلينبرج وأتباعه يلعبونه على البريطانيين ليكسبوا ثقة المخابرات البريطانية ويتعرفوا على بعض أسرارها من الداخل وأن يتعرفوا بالمثل على النوايا السياسية البريطانية العليا تجاه هتلر .

القصة كما يرويها فالتر :

لبضع سنوات ظل أحد العملاء الالمان يعمل من هولندا تحت الاسم الحركي - أو بالاصح الرقم الحركي ف - ٤٧٩ F. 479 . كان هذا العميل في السابق لاجئا سياسيا ومع استمراره على هذا الوضع تقرر الاستفادة منه كعميل لنا على أن يتصل ويداوم الاتصال برجال الخدمة السرية البريطانية ويقنعهم بأن له صلات مع مجموعة قوية معارضة لهتلر ضمن حركة مقاومة .. الامر الذي سّر له البريطانيون وأصبح العميل رقم - ف - ٤٧٩ فيما بعد مهما بالنسبة لهم يرسلون تقاريره مباشرة الى لندن . وبواسطته استطعنا - كما يقول فالتر شيلينبرج - تسريب معلومات مضللة الى المخابرات البريطانية

بعد نشوب الحرب اهتم البريطانيون بهذا العميل أكثر فأكثر وأبدوا رغبة في تقوية صلاتهم بحركة المقاومة في محاولة لاستغلالها

في اسقاط نظام هتلر . وعندما استدعيت كانت هذه العملية قد وصلت الى مرحلة حاسمة وكان العميل رقم ف - ٤٧٩ قد وعد البريطانيين بأن يجمعهم في حوار مباشر مع أحد قادة هذه الحركة . وبعد دراسة للوضع وصلت الى نتيجة أن استمرار اللعبة ستكون في صالحنا . ولهذا قررت الذهاب الى هولندا بنفسي لمقابلة رجال الخدمة السرية البريطانية كممثل لحركة المقاومة واتخذت لنفسي اسما جديدا هو «هاوبتمان شاميل» الموظف بمصلحة المواصلات الالمانية وذلك بعد أن اكتشفت بالفعل أن هناك موظفا بهذه المصلحة يحمل هذا الاسم وأشرفت على نقل هاوبتمان الاصلي الى المناطق الشرقية بنفسي حتى لايظهر لي فجأة فيفسد الخطة .

وبعد أن وضعت خططي وحصلت على موافقة عليها ذهبت الى مدينة دسلدورف حيث اتخذت لي منزلا صغيرا هناك أعددته للعمل السري بكل ما يتطلب من اتصالات مباشرة تلغرافيا وتلفونيا بالمكتب المركزي في برلين .

وما ان بدأت الاستقرار في عملي الجديد حتى قامت برلين بابراق العميل رقم ف ٤٧٩ بتنظيم لقاء بين العملاء البريطانيين ورجل المقاومة هاوبتمان شاميل (الذي هو أنا - فالتر شيلينبرج في الحقيقة) وحالت ظروف كثيرة فلم أستطيع أن أقابل ف - ٤٧٩ لأرتب معه الأمر قبل اللقاء .

تلقيت مزيدا من المعلومات في دسلدورف بالبريد من برلين وقمت بدراستها . وكان لابد من أن أجيد دوري تماما كممثل لحركة مقاومة مناهضة للنظام وقد وضعت خطة لمؤامرة تطيح بالفو هرر هتلر . وخططت عن ظهر قلب تفاصيل الخطة (الوهمية) وأسماء الذين سيشاركون في انجاحها وصلاتهم بغيرهم إضافة لمعلومات عن العملاء البريطانيين الذين تقرر مقابلتهم . وكنت قد جمعت أيضا معلومات كاملة عن هاوبتمان شاميل الحقيقي ، حياته في الصغر

وطريقة حياته الحالية وسلوكه الشخصي ومظهره الخارجي - فمثلا كان يلبس نظارات طبية فاشتريت نظارات طبية وكنت أعاني فعلا من قصر في النظر بعيني اليمنى . وكان لابد من معرفتي بأدق تفاصيل حركة المقاومة التي كنت أمثلها فاي تردد في الاجابة على سؤال قد يثير شكوك العملاء البريطانيين ويفقدني ثقتهم .

في الساعة السادسة من مساء يوم ٢٠ اكتوبر تلقيت هذه الرسالة :- «تحدد موعد اللقاء في هولندا يوم ٢١ أكتوبر ...» وتقرر ان يصحبني أحد عملائنا لمعرفته بخلفيات القضية من أولها إذ كان مسئولا عن العميل ف - ٤٧٩ . ودققنا على جوازات سفرنا وأوراق السيارة وملابسنا حتى لاتكون بها علامة تشى بنا . وأعطيت مطلق الحرية في التصرف بما أراه مناسبا أثناء «المفاوضات» .

في صباح اليوم التالي ٢١ اكتوبر تحركنا نحو الحدود الهولندية ورفيقي على مقود السيارة واسترخيت انا على المقعد الامامي الى جواره ولم يكن يشغلني شيء سوى عدم لقائي مع - العميل ف - ٤٧٩ قبل مقابلتي مع رجال الخدمة السرية البريطانية في هولندا . واخيرا عبرنا الحدود في سلام . وحين وصلنا المكان الذي حدد سلفا وجدنا سيارة «بويك» في انتظارنا وقدم السائق نفسه باسم : *النقيب بست من المخابرات البريطانية* وجلست بعد التعارف الى جواره وتبعني رفيقي في سيارتنا . واكتشفت أن محدثي النقيب بست يتحدث الالمانية بطلاقة ويحب الموسيقى وتحدثنا طويلا في كل شيء الا في الموضوع الذي قدمت من شأنه وأخيرا وصلنا الى مدينة أرنيم حيث التقينا بزميليه الرائد ستيفنز والملازم كوبنز واستقلا معنا السيارة وبدأنا الحوار والسيارة تطوف بنا الريف الهولندي .

سرعان ما استراح لي العملاء البريطانيون بدون أي تحفظ من جانبهم وأخطرتهم بأن حركتنا المعارضة قوية وتضم عددا كبيرا من كبار الضباط في الجيش الالماني ويقودها ضابط برتبة جنرال

واعتذرت عن ذكر اسمه إمعانا في الكتمان وبخاصة في هذه المرحلة من المفاوضات الاولية . وأكدت لهم أن هدفنا إبعاد هتلر بالقوة وإقامة نظام جديد والغرض من حوارنا هذا معرفة موقف الحكومة البريطانية من حكومة جديدة يسيطر عليها الجيش الالماني وهل ستكون لدى حكومتهم رغبة في الدخول مع حركتنا في اتفاقية سرية تؤدي حتما لمعاهدة سلام ، بمجرد أن نتولى السلطة . وهنا أكد لي الضباط البريطانيون إهتمام حكومة صاحبة الجلالة بهذا الامر وأن حكومتهم يهمها في المقام الاول منع امتداد هذه الحرب التي بدأها هتلر ، وإحلال السلام . وأنهم يرحبون بإزاحة هتلر ونظام حكمه ووعدوا بتقديم كل عون ممكن لنا في هذا الخصوص . وقالوا بأنهم ليست لديهم سلطة الدخول في اتفاقية مباشرة معنا ولكن يمكن ترتيب ذلك في اجتماع قادم يحضره جنرال ألماني من طرفنا . وأكدوا أنهم على اتصال مباشر في كل الاوقات مع وزارة الخارجية البريطانية و ١٠ داوننج إستريت - (مقر رئيس مجلس الوزراء البريطاني) .

تيقنت بعد هذا اللقاء أني قد اكتسبت ثقة الضباط البريطانيين وافترقنا على موعد للقاء آخر حددنا له يوم ٣٠ أكتوبر في المكتب المركزي للمخابرات البريطانية في هولندا .

وبمجرد وصولي الى دسلدورف اتصلت هاتفيا ببرلين لأطمئنهم على رجوعي فطلبوا مني الحضور الى برلين لتقديم تقريري شخصيا ومناقشة الخطوات المقبلة .

وفي برلين تركوا لي ترتيب كل شيء مع اختيار من أراه مناسبا لانجاح الخطة التي بدأت . وكان لي صديق هو البروفسور ماكس دو - كرينيس بجامعة برلين ورئيس قسم الطب النفسي بمستشفى المواساة المشهور وكان صديقي يعتبرني صديقا وابنا معا وقررت أن أشرح له الخطة وأن أطرح له تصوري ورشحته ليلعب دور «اليد اليمنى» لرئيس حركة المعارضة وكان الدور يليق به فهو يكبرني

سنا ، ورتبته العسكرية عقيد بالخدمات الطبية للجيش الالماني ، وقد ولد في النمسا ، مما جعل له لكنة مستحبة ومقنعة ، وهو أنيق ولبق ومثقف . فما كان منه الا أن وافق على التو بقبول الدور وصحبتي في ٣٠ اكتوبر في رحلتي الى هولندا . وقدمت خطتي متكاملة للمكتب المركزي في برلين فأقروها .

في يوم ٢٩ اكتوبر تركت والعقيد دو-كرينيس ورفيقي السائق برلين الى دسلدورف حيث قضينا الليل وقمنا بالاستعدادات اللازمة لرحلة الغد ، واتفقت مع العقيد دو-كرينيس على طريقة للمفاهمة أثناء عقد الاجتماع مع البريطانيين . قلت له *إذا رفعت نظارتي أثناء الحوار بيدي اليسرى فعليه أن يتوقف عن الكلام ويترك حبل الحديث لي لأكمل ما بدأ .. أما اذا رفعت نظارتي بيدي اليمنى فهذا يعني أن يهب هو لنجدتي ويكمل الحديث الذي بداته - أنا - أما اذا رأيت وقف الحوار مع البريطانيين كلية فسأقول فجأة :- اني أحس بصداع .*

وعبرنا الحدود الى هولندا . وانتظرنا في المكان الذي حدده لنا البريطانيون من قبل . انتظرنا لنصف ساعة ثم مضت ساعة ولم يحضر أحد . وبدأ الشك يتسرب الى نفوسنا وكان أكثرنا قلقا العقيد الذي لم يتعود على مثل هذه المواقف .

وفجأة رأينا رجلي بوليس هولنديين يقتربان منا وسأل أحدهما عما نفعله فأخبرناه أننا ننتظر بعض الاصدقاء ، فهز رجل البوليس رأسه وصحبنا في سيارتنا الى مركز الشرطة ، وبدا وكأننا قد وقعنا في الشرك الا اننا تمالكنا أنفسنا ولم نبد أي شعور بالخوف . وفي المركز راحوا يفتشون أمتعتنا فتذكرت على الفور أنني لم أدقق على أمتعة السائق الذي صحبنا وحين التفت الى حقيبته لمحت بداخلها حبوب اسبرين في عبوة صغيرة كتب عليها بالالمانية المكتب الطبي العسكري وسرعان ما وضعت حقيبتي التي فرغ من تفتيشها بالقرب

منها ثم رميت الفرشاة على الارض وانحنيت لالتقطها و في هذه الاثناء سحبت حبات الاسبرين ووضعتها في فمي ثم تعمدت البحث عن الفرشاة تحت المنضدة ورحت أمضغ الحبوب وأزدردها وحين رفعت رأسي كانت بيدي الفرشاة ولا أثر للاسبرين . ولحسن الحظ لم يلحظني أحد .

بعد التفتيش الدقيق بدأ استجوابنا . وأصر كل منا على الصمت حتى يحضر محام . ثم رحت أعبر عن سخطي على سوء المعاملة وظللنا بالمركز قرابة ساعة ونصف الساعة وفجأة فتح الباب ليدخل منه الملازم كوبنز ، وعرض على رجال البوليس بعض أوراق رسمية ، واذ برجال البوليس يعتذرون ويطلقون سراحنا مباشرة . ولما خرجنا من مركز البوليس رأينا الرائد ستيفنز والنقيب بست داخل سيارة البويك . واعتذروا بأنهم كانوا في انتظارنا في جزء آخر من الشارع ، ولكن كان من الواضح أن هؤلاء العملاء البريطانيين كانوا قد دبروا كل هذا ليتأكدوا من هويتنا دون أن يحرجوا أنفسهم بذلك شخصيا . واستقلينا السيارتين وانطلقنا للعاصمة الهولندية حيث المركز الرئيسي للمخابرات البريطانية ، ودلفنا الى حجرة كبيرة في مكتب الرائد ستيفنز ، وبدأنا المفاوضات ، وتوصلنا في النهاية الى النتائج التالية :-

- *بمجرد اسقاط نظام هتلر لابد من توقيع معاهدة سلام مع قوى الغرب مباشرة .*
- *إعادة النمسا وتشيكوسلوفاكيا وبولندا الى حالاتها السابقة .*
- *ادانة السياسة الاقتصادية الالمانية الحالية والرجوع لنظام غطاء الذهب .*

وطالبنا نحن بدورنا بضرورة اعادة مستعمرات ألمانيا قبل الحرب العالمية الاولى اليها . وبعد نقاش مستفيض تم الوصول الى هذه النتائج وغادرنا الرائد ستيفنز ليخطر لندن هاتفيا باتفاقنا -

ثم عاد ليؤكد موافقة لندن على أن يقر ذلك فيما بعد لورد هاليفاكس وزير الخارجية .

ظللنا في هولندا حتى صباح الغد ودعينا لاكثر من حفل حضر بعضها العميل رقم ف - ٤٧٩ وتعرفت اليه ، واشتركنا في محادثات عرفت منها الكثير عن وجهة نظر بريطانيا في الحرب . وفي النهاية قدموا لنا جهاز ارسال واستقبال انجليزي الصنع وشفرة خاصة لنكون على اتصال دائم بمحطة الخدمة السرية الانجليزية في العاصمة الهولندية . وكان رقم الاتصال صفر - ن - ٤ - وسلمنا الملازم كوبنز أوراقا ثبوتية من بينها ما يطلب فيه من السلطات الهولندية تسهيل مهمة اتصالنا بالهاتف السري - ٣٣١ - ٥٥٦ - وقبل مغادرتنا هولندا صحبنا وودعنا عند الحدود النقيب بست .

في هذه المرة لم نتوقف عند دسلدوروف وانما انطلقنا نحو برلين مباشرة حيث قدمت تقريري في صباح اليوم التالي واقترحت فيه وجوب استمرار المفاوضات بغية ذهابي الى لندن . واستخدمنا الجهاز في اتصالنا بالبريطانيين عدة مرات . وتكررت اللقاءات وأخيرا اخترت أحد القادة العسكريين من رجال الاعمال السابقين ليقوم بدور رئيس حركة المعارضة في لقائنا القادم مع البريطانيين ، ولكن حادثا هاما وقع .. قلب كل خططي رأسا على عقب .

كنت قد أخذت حبوبا منومة لأنام جيدا تلك الليلة على أن أصحو في اليوم التالي وأقوم بالاستعدادات اللازمة لرحلة هولندا لالتقي بالبريطانيين تمهيدا لذهابي الى لندن وكان قد تحدد موعد جديد للقاء صباح الغد .

لم يطل نومي فقد راح جرس الهاتف يرن رنينا متواصلا أيقظني في النهاية والنعاس يثقل أجفاني ، وكان الخط المضيء هو الخط المباشر مع برلين ، ورفعت سماعة الهاتف وهتفت في ضجر :- «*هالو*» .. وسمعت من الطرف الآخر صوتا عميقا يسأل :- *ماذا تقول* ؟

وتساءلت بدوري :-*لم أقل ما أود قوله بعد ، ولكن من المتحدث ؟*

وجاءت الاجابة الحادة :- *«أنا هاينريش هملر ..»*

ثم أردف قائلا :- *أخيرا وجدتك . ألم تسمع بما حدث ؟*

وأجبت :-*لا يا سيدي .*

فاستطرد هملر :- *هذا المساء بعد أن ألقى الفوهرر هتلر خطبة له جرت محاولة لاغتياله . انطلقت قنبلة في مكان التجمع ولكن لحسن الحظ بعد دقائق من مبارحته للمكان . وقد قتل عدد من أعضاء الحزب النازي . ولا شك أن الخدمة السرية البريطانية وراء هذا الحادث . وهتلر وأنا كنا في طريقنا بقطاره الخاص الى برلين حين بلغتنا هذه الاخبار . وقد قرر هتلر - وهذا امر منه بذلك - أن تذهب لمقابلة العملاء البريطانيين في هولندا حسب موعدك معهم غدا صباحا وأن تعتقلهم وتعود بهم لالمانيا . قد يكون في هذا تدخل في شئون بلد آخر هو هولندا ولكن هتلر يقول إن هذا لا يهم . وقد كلفت قوة لحمايتك ولمساعدتك في المهمة الموكلة اليك ، قوة خاصة لمعاونتك .*

ثم صاح هملر على الهاتف :- *هل فهمت ما أقول ؟*

وأجبت :نعم ، *سيدي ، ولكن ..*

وصاح هملر :- *لا تقل لي ، لكن ، هذه أوامر الفوهرر (الزعيم) وعليك الالتزام بالتنفيذ ، هل فهمتني ؟*

وأجبت :-*نعم ، سيدي .*

وهكذا بين ليلة وضحاها بل وقبل أن تشرق شمس اليوم التالي كانت خططي قد انقلبت ظهرا على عقب . وكان لابد من نسيان موضوع الذهاب الى لندن نهائيا .

كانت المهمة الجديدة عسيرة تكاد تكون مستحيلة التنفيذ ، واستيقظت رغم الحبوب المنومة وايقظت بدوري قائد القوة الخاصة وشرحت له أوامر الزعيم هتلر الجديدة . وكان ونائبه أكثر

تشاؤما مني وقالا بأن منطقة الدخول من الحدود الهولندية تعج بالحراس ورجال البوليس السري مما يصعب معه تنفيذ عملية خطف العملاء البريطانيين دون تبادل اطلاق النار . ومتى بدأ اطلاق النار يصعب أن تتنبأ بالنتيجة بعد ذلك . وكانت فرصتنا الوحيدة هي عامل المفاجأة ، وقال قائد القوة ونائبه إن عملية اعتقال وخطف العملاء ستكون أصعب اذا تمت داخل المقهى مكان اللقاء وقالا بأن الوقت المناسب للعملية هو وصول سيارة البويك التي سبق أن شاهداها من قبل وعرفاها . واتفقنا على الخطة التي كانت تقضي بأن تبدأ العملية بمجرد وصول سيارة البويك - وبوصولها تندفع سيارات القوة الخاصة عبر الحواجز الحدودية بسرعة هائلة والقاء القبض على البريطانيين وهم في الشارع واخراجهم من سيارتهم ووضعهم في سيارتنا . وكان السائق المختار للمهمة ماهرا في الرجوع بالسيارة للخلف دونما حاجة لأن يستدير مما يكسبنا وقتا ويمهد لرجال القوة الخاصة حيزا واسعا لاطلاق النار وفي نفس الوقت تقرر أن يندفع رجال من القوة الخاصة الى جانبي الشارع للتصدي لأي قوة مهاجمة من الاجنحة .

واقترح رجال القوة الخاصة ألا أشترك معهم في ذلك وأن تنحصر مهمتي في انتظار البريطانيين بالمقهى كما جرت العادة حتى لاأثير أية شكوك - ثم أخرج لاستقبالهم متى اقتربت سيارتهم البويك وبدلا من أن أحييهم استقل سيارتي وانطلق بها .

وافقت على الخطة برمتها وطلبت أن يقدموني لرجال القوة الخاصة البالغ عددهم ١٢ رجلا ليتعرفوا على شخصي - فقد خشيت مع الشبه بيني وبين النقيب بست أن يقوموا باختطافي بدلا عنه .

بين الساعة الواحدة والثانية عبرت الحدود كما جرت العادة وكان بصحبتي رفيقي السائق السابق . وتركنا الجنرال المزعوم (زعيم الحركة الوهمية) عند مكاتب الجمارك ثم دخلنا المقهى وطلبنا

مشروبا كالعادة وكان المقهى مزدحما وكان الشارع على غير العادة يعـج بالمارة ، وكثير من المارة من أصحاب الدراجات ، كما يشاهد بعض رجال في ملابس مدنية ولكن يقودون كلابا بوليسية ، وبدا لي أن أصدقاءنا البريطانيين قد أعدوا لهذا اللقاء عدته ، خاصة وأن زعيم حركة المعارضة سيحضره ، كما توقعوا .

وانتظرنا بالمقهى لفترة طويلة هذه المرة ، أكثر من ساعة وطلبت فنجان قهوة وما كدت آخذ الرشفة الاولى حتى همس لي رفيقي :- «*ها هم أولاء قادمون*» .

وقفنا . وقلت للنادل سنعود فقد جاء بعض الاصدقاء . وخرجنا وكـأننـا نسعى لاستقبالهم وتركنا معطفينا بالمقهى - حتى لانثير ريبة . واقتربت سيارة البويك وما تزال مسرعة ثم دلفت الى موقف السيارات خلف المقهى . وسرت متجها نحو السيارة وما كدت أصل على بعد عشر ياردات منها حتى سمعت صوت سيارة القوة الخاصة وهي تقترب . وفجأة انطلقت في الهواء أعيرة نارية وسمعت صياحا ، كانت سيارة القوة الخاصة قد عبرت حاجز الحدود وأطلق الركاب من داخلها أعـيرة نارية ليزيدوا من مفاجأة حرس الحدود الذين راحوا يجرون لا يلوون على شيء ولا يدرون ما حدث .

كان النقيب بست يقـود البـويـك وقـد جلس الملازم كوبنز الى جواره . وقفز هذا الاخير خارج السيارة وأمسك بمسدسه وصوبه ناحيتي - ولما كنت غير مسلح فقد قفزت جانبا لأتفادى طلقاته وفي هذه اللحـظة اندفعت الى موقف السيارات في سرعة مذهلة سيارة القوة الخاصة فأيقن الملازم كوبنز أنه يواجه خطرا أكبر مني فاتجه صوب السيارة المندفعة نحوه ووجه طلقاته الى زجاجها الامامي . ورأيت الزجاج يتطاير وأحسست أن سائقها وقائد القوة الخاصة الجـالس الى جواره قد أصيبا غير أني فوجئت بالقائد يقفز خارج السيارة وقد صوب مسدسه تجاه الملازم الانجليزي كوبنز وراحا

يتبادلان إطلاق النار وأنا واقف بينهما كالمتحجر ، اذ لم أجد وقتا لأتحرك ، فكل شيء تم بسرعة لا تصدق ، وبعد لحظات توقف كوبنز عن اطلاق الرصاص وأرخى يده فسقط عنها المسدس ، ثم سقط هو أيضا على ركبتيه جاثيا ، وهنا صاح قائد القوة الخاصة موجها كلامه الي :

- *هلا ابتعدت من هنا . الله وحده يعلم لماذا لم تصب !!*

وهرولت الى حيث قبعت سيارتي ولاحت مني التفاتة الى الخلف فرأيت البريطانيين النقيب بست والرائد ستيفنز وقد حملهما رجال القوة الخاصة من داخل سيارة البويك كما يحمل المزارع حزمة من العلف المجفف . وقبل أن أهم بدخول سيارتي وجدت نفسي وجها لوجه أمام ملازم ألماني ضخم الجثة من القوة الخاصة التي جاءت لمرافقتي ولكني لم أكن قد رأيته ضمن رجال هذه القوة حين تفقدتها قبل تحركنا واذا بالملازم البدين يمسك بتلابيبي في قوة غير عادية ويدس مسدسه الضخم تحت أنفي ويبدو أنه قد ظنني النقيب بست للشبه الذي بيننا ووقع الخطأ الذي كنت أخشى وقوعه ، (وعلمت فيما بعد أن هذا الملازم أضيف لرجال القوة الخاصة في آخر لحظة) .. حاولت أن أتخلص من قبضته فدفعته بعيدا عني وأنا أصيح :

- *لا تكن أحمق أبعد هذا المسدس .*

ولكنه عاد وأمسك بي ثانية فحاولت أن أزيحه فما كان منه إلا أن صوب مسدسه نحوي وأطلق الرصاص .. ولحسن الحظ امتدت يد لتضرب يده في ذات اللحظة التي أطلق فيها النار علي وانطلقت الرصاصة على بعد بوصتين من رأسي ، وكان الفضل في انقاذي يرجع الى نائب قائد القوة الخاصة الذي لاحظ ما يدور بيننا ، واندفع ليمنع هذا البدين من ارتكاب غلطة العمر ، فأنقذ حياتي . ولم أنتظر بعدها لحظة وإنما قدت سيارتي وابتعدت .

كانت الخطة تستدعي رجوعنا الى دسلدورف في أسرع وقت ممكن

بعد اتمام عملية خطف العملاء الانجليز . ووصلت الى المدينة خلال نصف ساعة وكذلك وصل قائد القوة الخاصة وكان نص تقريره لي كما يلي :-

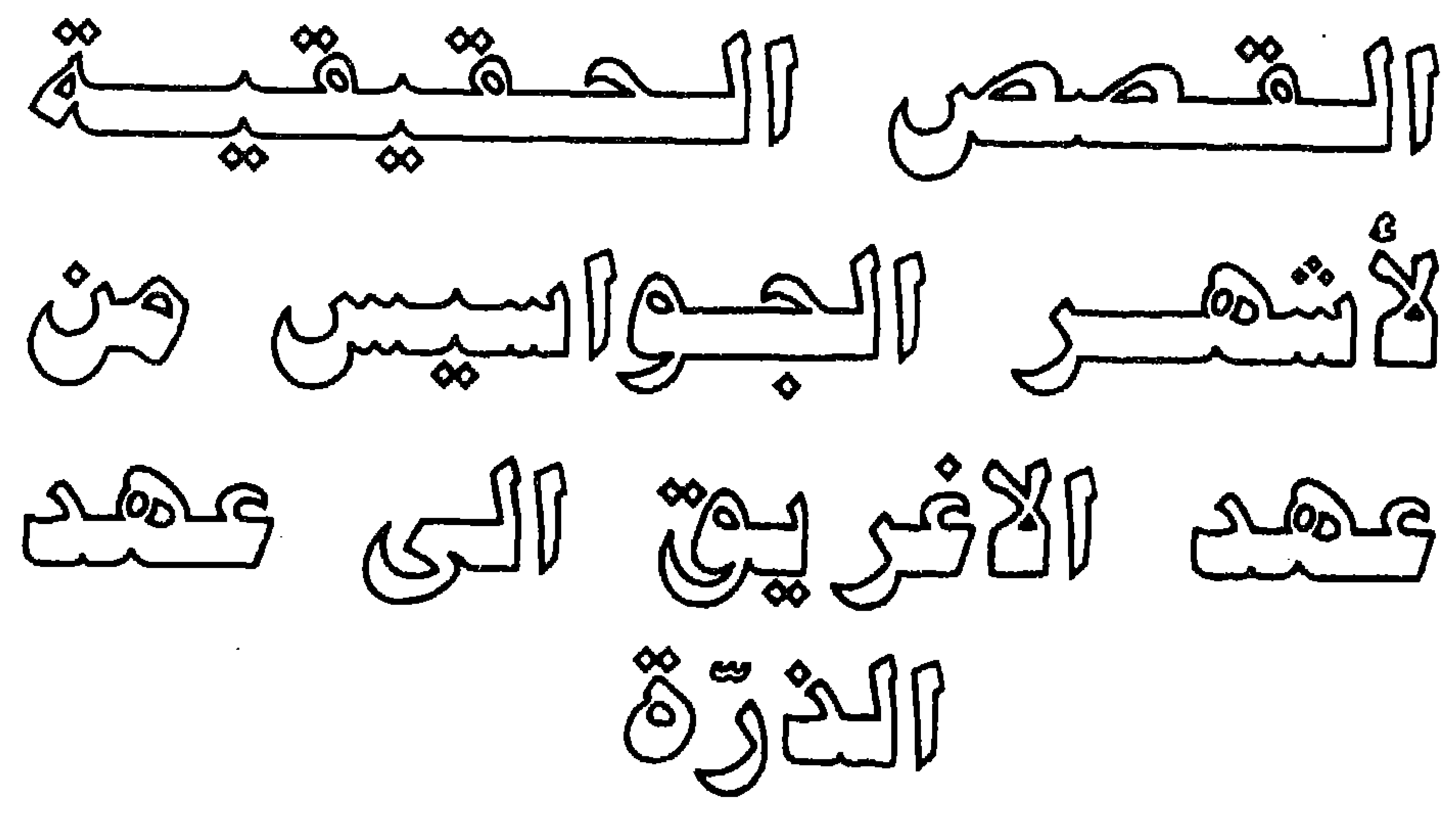
«لقد تم القاء القبض على النقيب بست والرائد ستيفنز وسائقهما الهولندي واتضح لنا من أوراق الملازم كوبنز انه لم يكن انجليزيا وانما هو ضابط هولندي واسمه الحقيقي كلوب وقد جرح جرحا بليغا وتجري محاولة لانقاذ حياته» .

وأضاف القائد قائلا :

«يؤسفني ، أنني اضطررت لاطلاق النار على كوبنز ولكنه هو البادىء باطلاق النار وبهذا لم يترك لي الخيار ، كانت حياته أو حياتي» .

وقد توفي كوبنز - أو كلوب - متأثرا بجراحه في أحد مستشفيات دسلدورف . وتم نقل كل من بست واستيفنز وسائقهما الى برلين . وقد ظلا أسرى حرب حتى أطلق سراحهما بعد نهاية الحرب عام ١٩٤٥ . وكنت قد حاولت قبل هذا التاريخ إطلاقهما عن طريق مبادلتهما بأسرى ألمان ولكن محاولاتي رفضها مرارا هملر ثم منعني عام ١٩٤٣ من الخوض في امرهما مرة أخرى إذ أن مجرد ذكر إسميهما أمام هتلر يعيد اليه ذكرى المدعو «إلسر» الذي حاول زرع القنبلة لقتله . وكان هتلر لايزال يعتقد أن الجستابو «البوليس السري النازي» قد فشل في كشف تفاصيل محاولة اغتياله من قبل «إلسر» ومن دبروا المؤامرة معه وأعانوه على تنفيذها من رجال المخابرات البريطانية .

بمرور الوقت نسي هتلر الموضوع ولهذا كما قال هملر مجرد ذكر اسم العملاء الانجليز أمامه مرة أخرى سيعيد لذاكرته محاولة الاغتيال التي كان يظن أن المخابرات الانجليزية كانت وراءها ولهذا ظل الاسيران في السجون الالمانية حتى نهاية الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) ...■



* الن دلاس مدير وكالة المخابرات المركزية الامريكية السابق كتب يقول :

- اذا ارادت اية وكالة للمخابرات الحصول على اكثر من احصاء من عدد افراد قوات العدو وأسلحته .. واذا كانت تريد معرفة خطط قادة العدو العسكرية فلا بد ان تفعل اكثر من مجرد تجنيد عملاء يتلصصون من خلف الجدران ويتطلعون من فوق الاسوار أو يراقبون العدو بالطائرات أو بواسطة الأقمار الصناعية ..

للحصول على معلومات دقيقة عن خطط قادة العدو العسكرية لا بد من الولوج في داخل قيادة العدو العسكرية والاستماع لمحادثات قادته ولا بد مع هذا من سرقة خطط ووثائق مهمة ، ومن هنا جاءت عبارة «التجسس بالدخول الى معقل قيادة الخصم» وهي تطلق على عمليات التجسس التي تهدف الى وضع بل «زرع» عميل داخل القيادة ..

وهذه عملية كما يقول مدير وكالة المخابرات المركزية الامريكية السابق صعبة للغاية . وفي حالات كهذه يظل العميل في مكانه هذا الخطير لمدة طويلة من الزمن ليمد دولته أو الدولة التي اختارته بالمعلومات وبصورة دائمة ..

ويمضي ألن دلاس (شقيق وزير خارجية أمريكا في عهد ايزنهاور) ليؤكد من خلال خبرته الطويلة في هذا المجال أن اجراءات الأمن الحالية حول الأهداف العسكرية قد أصبحت في كل بلاد العالم مشددة بصورة لم يعد بالامكان معها دخول فرد من الخارج الى داخل القيادات العسكرية أو غيرها من المراكز المهمة حتى وان كان العميل محل ثقة ويتحدث اللغة المحلية بطلاقة بل وحتى وان لم يكن المرء يفرق بينه وبين المواطن المحلي . من هنا عمدت ادارات الاستخبارات الحديثة الى اختيار عملائها من مواطني البلد المراد التجسس عليه والتركيز أساسا على المواطن الذي يعمل في مركز حساس اذ أن هذا الشخص أو العميل يكون في المركز المراد بقاؤه فيه فلا يثير ريبة بانتقاله ولا يلفت نظر المسئولين اذ أنه يؤدي نفس العمل وفي نفس المركز الحساس قبل وبعد تجنيده كعميل .

ويستطرد ألن دلاس عن خبرة فيقول :

– لقد وجدت ان خير عملائنا من هذا النوع هم الذين يتطوعون للقيام بمثل هذا العمل ويتقربون الينا لتجنيدهم عملاء لنا إما لعدم رضاهم عن الوضع السياسي في بلادهم وإما بغرض زيادة دخولهم ..

بعد هذه المقدمة يقول مدير وكالة المخابرات المركزية الامريكية السابق :

- ان أحد أحسن عملائي في الحرب العالمية الثانية تقدم في البداية متطوعا لنجنده عميلا لنا في ألمانيا الهتلرية وقد خشيت واشنطن أن يكون المذكور مدسوسا علينا وكنا نعلم في تلك الايام رغبة الألمان العارمة في دس عميل لهم في مركز قيادتي بوكالة المخابرات وكنا نتوقع أن يبعثوا الينا بعميل يدعي الكراهية للنازية ويتطوع بتقديم خدماته لنا ثم يعمل لخدمة بلاده ومن ثم قابلته في توجس ولكن ما أن اطلعت على المعلومات التي حملها معه من دوسيهات وزارة الخارجية الالمانية حتى ايقنت فعلا أنه قد خاطر بحياته ليحمل هذه المعلومات المهمة عبر الحدود .. ذلك لانها كانت معلومات ذات قيمة استراتيجية وسياسية كبيرة لدول الغرب ، فالألمان لم يكونوا ليغامروا بالاستغناء عن هذه المعلومات التي تؤثر في أمنهم القومي تأثيرا ضارا لمجرد محاولة زرع عميل قد تفشل .

وبعد ، ما سنسرده هنا .. قصة حقيقية وقعت ابان الحرب العالمية الثانية .. انها قصة العميل دوشيز ..

■ سرقة الخطط ■

العميل دوشيز

في عام ١٩٤٣ تيقن الألمان أن الحلفاء سيحاولون غزو أوروبا وان لم يعرفوا على وجه التحديد متى سيبدأ الغزو ومن ثم شرعت النازية في بناء دفاعات ساحلية على الحدود الفرنسية عرفت باسم : جدار الاطلنطي . واستجلبت لها نخبة من المهندسين المدنيين واضطرت لاستخدام الفعلة والعمال الفنيين المحليين بالمناطق

المحتلة واطلق على نخبة المهندسين «منظمة الموت» ..

واستفادت المقاومة الفرنسية من هذا الوضع وادخلت العديد من رجالها ضمن القوى العاملة في الحائط الدفاعي وغيره من المشاريع الدفاعية ليتعرفوا عليها وكانت معظم المعلومات التي تجمع بهذا الصدد ترسل الى مقر قيادة الحلفاء بانجلترا في شكل تقارير سرية وكانت المهمة صعبة وخطرة وشبه مستحيلة ..

هذا وبالنسبة لمنظمة الموت فقد كانت محصورة على المهندسين الألمان ولم يستطع غيرهم النفاذ اليها .. غير أن اعلانا صغيرا قد وضع في لوحة الاعلانات في أوائل مايو ١٩٤٣ أدى لما سنورده هنا .

ففي ٧ مايو لفت الاعلان نظر «دوشيز» أحد رجال المقاومة الفرنسية اذ كان المطلوب تعيين عدد من النقاشين وفنيي الديكور لاداء بعض المهام داخل مقر «منظمة الموت» وأحس بأنه من داخل هذه المنظمة يستطيع أن يقدم الكثير لخدمة الحلفاء .. وبدأ دوشيز يتذكر كيف عاش طفولته في منطقة اللورين المحتلة حيث كان يتحدث الى الألمان ويلتقط منهم بعض الكلمات الألمانية .. وقال «دوشيز» لنفسه :

- ان هذه المنظمة تقوم ببناء الحائط الدفاعي فاذا حصلت هنا على اية معلومة فانها ستكون ذات فائدة عظيمة للحلفاء

كان آخر موعد لتقديم الطلبات قد انتهى قبل ٢٤ ساعة وجلس دوشيز يفكر في الموضوع وهداه تفكيره الى الاتصال بمسئول التجنيد بوستل ففاجأه قائلا :

- لقد فات الأوان الا انك تستطيع أن تتقدم مباشرة الى المكتب الرئيسي بمنظمة الموت .

وكانت المنظمة قد اتخذت لنفسها ثلاث عمارات مختلفة داخل المدينة احداها للتمويه والثانية للاداريين والثالثة للعمل الفني الخاص برسم الخرائط وتنفيذ مشروع بناء حائط الدفاع .. ولم يكن

دوشيز يعلم أنه يتجه نحو المبنى الثالث والأهم حين ذهب ليقدم العطاء في المناقصة التي طرحت وانتهى موعدها .

كان المبنى المعني مكونا من ٤ طوابق وعلى بعد ٥٠ قدما منه امتدت الاسلاك الشائكة تسد المدخل المؤدي اليه . توقف دوشيز أمام المدخل ليواجه في لحظات فوهة بندقية أحد الحراس الذي خاطبه بالألمانية : HALTEN أي - توقف . واستمر دوشيز في السير الا أن الحارس وضع ماسورة البندقية فوق ضلوعه وضغط عليها وصاح : *HALTEN ! YOUR AUSWEIS وكانت العبارة الالمانية الانجليزية المختلطة تعني . توقف . أوراقك الثبوتية .*

وأوضح دوشيز أنه قادم لتقديم عطاء في مناقصة طرحت من أجل طلاء بعض الجدران ..

وانضم للحارس آخر وحاولا معا أن يفهما ما أراد الدخيل قوله وهو يخلط الفرنسية بكلمات ألمانية ولما حاول دوشيز افهامهما أنه نقاش بحركات هزلية مستخدما يده كفرشاة النقاش فوجىء بهما ينهالان عليه ضربا حتى أسقطاه على الأرض ثم حملاه الى داخل المبنى لمواجهة الضابط المسئول . كان الضابط يتحدث الفرنسية فقال له :

- *ألا تعلم مغبة ما فعلت . ان ما فعلته جريمة تستحق الاعدام . كيف تسخر من هتلر ؟!..*

وتذكر دوشيز أن الزعيم النازي قبل أن يتحول للسياسة كان يعمل نقاشا وقد فهم الحارسان من حركاته أنه يسخر من الزعيم .

أوضح للضابط أنه نفسه نقاش ماهر وقد جاء ليقدم عطاء لمناقصة معلن عنها ..

هنا فقط تبسم الضابط وأرسل في طلب الضابط المسئول عن العطاءات .. وحين جاء هذا الأخير أخذ دوشيز الى الطابق الثاني ليريه المكتبين المراد تغطية جدرانهما بالديكور وطلب منه أن يقدم

تقريرا شفهيا بالتكاليف .

بعد تفكير في قيمة الصفقة وما يمكن أن يحقق من ورائها للحلفاء قال للضابط الشاب : ١٢ ألف فرنك .

وكان المبلغ يعادل ثلث قيمة العمل الفعلية .. وهكذا دخل دوشيز الى منظمة الموت .. كان أول لقاء له مع الرائد شندرر الذي أوضح له أنهم يريدون تغطية الجدران بعدد من صور الخيالة على ظهور خيولهم وهم يرفعون الاعلام مع خلفية صفراء أو مدافع فضية اللون على خلفية زرقاء . وكان هناك نقص في أوراق الجدران فوعد دوشيز الرائد الالماني بالعودة صباح اليوم التالي مع الأوراق والمعدات المطلوبة وبعد بحث في محلات الديكور عن نماذج تطابق الوصف المطلوب طوال اليوم عاد دوشيز في الصباح ومعه مجموعة من النماذج ولم يجد صعوبة في الدخول هذه المرة حتى وقف أمام الرائد شندرر يعرض عليه النماذج ليختار ما يراه منها مناسبا . وبدأ الرائد الألماني يقلب الصفحات ويومىء حين يجد ما يسره حتى طرق الباب ودخل ضابط صغير حيا الرائد التحية العسكرية رافعا يده للامام ضاربا قدميه في قوة هاتفا بحياة هتلر . وترك لفافة من الأوراق وخرج .

بعد لحظات ترك الرائد النماذج وأقبل نحو اللفافة يهمهم :

- *نعم هذا ما كنت انتظره .*

ونظر دوشيز من طرف خفي للأوراق وعرف أنها خرائط . وانشغل عنه الرائد وكأنه نسي وجوده الا أن دوشيز مع ذلك تعمد النظر من خلف نافذة المكتب الى الأشجار التي تحيط بالمبنى ونظر نظرة بلهاء تعود أن يلجأ اليها عند تعامله مع الألمان ليشعرهم أنه لا يفهم شيئا فيما يجري حوله من أمور وحين بسط الرائد الألماني الخريطة أمامه راح دوشيز يسترق اليها النظر ثم يعاود مغازلة الأشجار واستطاع من خلال هذه النظرات الثاقبة الخاطفة أن يتبين خطورة الخريطة

وارتفعت فجأة ضربات قلبه . كانت الخريطة للساحل النورماندي وعليها ملاحظات منظمة الموت ..

وطرق الباب عليهما رقيب هذه المرة وأبلغ الرائد رسالة فما كان من الأخير الا أن فتح الباب المجاور له وراح يملي على الكاتب التابع لمكتبه رسائل بالألمانية ، فعل ذلك بعد أن وضع الخرائط داخل درج مكتبه .

انتهز دوشيز هذه الفرصة وبدأ يدرس أولى الخرائط بامعان وقرأ فيها كلمات بالخط الأحمر وكان المعنى المراد : سري للغاية . وخيل اليه أن الخرائط عبارة عن مجموعة نسخ من خريطة واحدة . وفكر ثم قدر . وخطا خطوات نحو منتصف الغرفة ليتأكد أن الرائد الألماني مازال مشغولا باملاء الرسائل للكاتب وعاد ليرفع نسخة من الخرائط وحين وضع يده عليها أحس كأنه يضع يده على سطح حديد ساخن ملتهب . كان هذا مجرد احساس بالخوف من أن يقبض متلبسا . وانتزع الخريطة واتجه نحو المدفأة حيث كانت تقف مرآة زجاجية ثقيلة داخل اطار تبدو كلوحة زيتية وألقى بالخريطة في الفراغ خلف المرآة ثم تقمص ابتسامته البلهاء وعاد ليقف حيث كان وهو من الداخل يتصبب عرقا ..

وايقن دوشيز أن الخرائط لو كانت مختلفة فسينكشف أمره لا محالة قبل أن يبارح المبنى . أما اذا مر الأمر بسلام فيمكنه حين يعود في الغد أو بعده التقاط الخريطة حيث تركها دون أن يلحظ ذلك أحد ..

وأغلق الرائد شندرر الباب الداخلي وعاد ليجلس على مكتبه وقلب النماذج واختار من بينها نموذجين اعطاهما لدوشيز وقال له لنراك يوم الاثنين . ولم ينظر الى الدرج حيث ترك الخرائط مما يدل على أن الشك لم يساوره تجاه مضيفه النقاش ..

وخرج دوشيز من المبنى وهو يكاد لا يصدق ، ودخل على زوجته

واطفاله وهو يرتعد هلعا .. وفي المساء ظل ينام ساعة ويستيقظ عله يسمع وقع خطوات قادمة تأخذه بعيدا ، غير أنه في النهاية استسلم للكرى ..

صباح الاثنين استيقظ مبكرا فهو يحب أن يعمل مبكرا حتى يجد بعض الوقت في العصر يقضيه بين أصحابه في المقهى .. ودخل الى المبنى في الثامنة والنصف فلم يجد الا الفراشين وبعض الكتبة قد سبقوه اليه ، وكان يحمل المعدات اللازمة لديكور غرفتي المكتب المعنيتين بالطابق الثاني وراح يعمل لساعتين كاملتين ويرفع صوته بالغناء وكان متعته في الحياة مزاولة هذا العمل الذي يؤدية وفي غمرة حماسه أو تمثيله على الأصح رفع حنجرته بالغناء فتجاوز الصوت المنكر جدران المكتب واذا بأحد المراسلين يفتح عليه الباب ويطلب منه الامتناع عن الغناء ، واعتذر دوشيز ثم أبدى للمراسل رغبة في مقابلة الرائد شندرر اذا سمح وقته فأجاب المراسل :

- *عليك اذن بأخذ القطار المتجه الى «سينت مالو»* ..

فقال دوشيز :*ومتى سيعود* ؟

فأجاب المراسل :*لن يعود أبدا . فقد تم نقله الى وحدة أخرى وعين محله الضابط كيلر* ..

جن جنون دوشيز . هل اكتشفوا سر اختفاء الخريطة وعوقب الرائد بالنقل ثم ماذا ينتظرني ؟ وبعد تفكير اتضح له أن الأمر لو كان كذلك لما ترك في منزله ليلة أمس ولأحضروه مساء لاستجوابه .. وهدأت نفسه وراح يزاول عمله وهو يفكر في طريقة لاخراج الخريطة من مكتب الضابط الجديد ثم من المبنى .

وفكر دوشيز طويلا بعد أن عاد من عمله ، وحين ذهب الى المبنى صباح اليوم التالي بدأ خطته لأخذ الخريطة ، وانتظر قدوم الضابط المسئول عن الديكور ووجه اليه السؤال :

- *انتهى ديكور المكتب فمتى نبدأ بمكتب كيلر* ؟

وترك الضابط دوشيز ليراجع أوراقه ثم عاد فأخبره أن مكتب كيلر ليس واردا في القائمة التي لديه وبعد نقاش أخذه معه الى المكتب حيث التقى أحد ضباط الصف وارتفعت الاصوات في حدة ودوشيز يحاول اقناعهم بأنه يستجيب لطلب الرائد شندرر الذي نقل وإذ بخلفه كيلر يستفسر عن الموضوع .

ومع مزيد من الشرح من قبل دوشيز مع اصرار على تطوعه بطلاء هذا المكتب بالذات اكراما لشندرر الذي ترك .. لم يجد الألمان مفرا من القبول وهم يقدرون له هذا الشعور الطيب .

ولاحظ دوشيز أن المكتب لم يتغير به شيء والمرآة في مكانها وكأنها تحدق به .. وتحدد يوم الاربعاء ١٣ مايو موعدا لبدء طلاء المكتب وهكذا في الثامنة من صباح ذلك اليوم انتقل دوشيز للمكتب وبدأ مزاولة عمله ..

في الخامسة والنصف من بعد ظهر يوم الاربعاء ١٣ مايو ١٩٤٣ وصل الى المدينة عميل آخر للحلفاء - باسم جيرارد وكان مقررا أن يتصل في هذا اليوم بدوشيز دون علم بأن الأخير يعمل على سرقة خريطة من منظمة الموت أو أنه قد بدأ العمل معها تنفيذا لعطاء كان قد رسا عليه لطلاء بعض مكاتب المنظمة ..

دخل جيرارد الى المقهى ليلتقي دوشيز فلم يجد له أثرا والتقى ببعض الاصحاب من رجال المقاومة : ديشامبرز العامل الفني ، وليون دوش صاحب جراج سابق ، وموظف التأمين هارفل وهمسوا له بموضوع الخريطة التي يود دوشيز اخراجها .. وكان ديشامبرز يشك في صدق دوشيز ويعتبر الأمر مجرد دعابة من دعاباته .. بينما اكد ليون دوش صدق دوشيز صديقه .

وجلسوا طويلا يتحدثون ثم هموا بالانصراف واذا بدوشيز يدخل عليهم .. وضع معطفه واقبل يحييهم ثم خرج لينظر الى الطريق قبل أن يعود ليجلس اليهم . أحسوا ان في الأمر شيئا ..



.. واتجه نحو المدفأة حيث كانت تقف مرآة زجاجية ثقيلة داخل إطار كلوحة زيتية ، وألقى بالخريطة في الفراغ خلف المرآة ...

وداعبه ديشامبرز : *ثم ماذا بعد ؟*

وقبل أن يجيب قال له هارفل : *كنا لساعة نناقش كيف يمكن أن نخرج الخريطة من سنى منظمة الموت وأعيانا التفكير ..*

قال دوشيز بهدوء *الخريطة معي*

بعدها لم يتحدث أحد وتسمرت أصابع ديشامبرز على منضدة الدومينو ثم عاد هارفل ليقول : *نود أن نراها ولكن ليس هنا .*

وقال دوشيز *نحن رجال البوليس السري الألماني (الجستابو) في الخارج وليس هناك فرصة لعمل أي شيء . لنجلس كما نحن ونلعب الدومينو*

قال هارفل : *هم في الخارج . هل يشكون في أمرك ؟*

أجاب دوشيز : *لا أعتقد . فالخريطة لم يفتقدها أحد بعد . اصمتوا هاهم قادمون .. السيارة تقترب من باب المقهى ..*

وانحنى الجميع يلعبون الدومينو ولم يجرؤ أحدهم على النظر ، وأحسوا وكأن السيارة تدخل من باب المقهى ، واشتم بعضهم رائحة اطاراتها .

ونهض دوشيز وهو يتحدث بصوت مرتفع لاصدقائه : *دقيقة وأحضر سجائري من المعطف .*

وذهب الى حيث معطفه وازاح معطفا آخر كان لضابط ألماني عجوز من رواد المقهى ثم عاد يحمل صندوق سجائره المفضلة ..

وعاد السكون يغلف المقهى ، والكل في انتظار دخول الجستابو ، ثم نهض دوشيز مرة أخرى ليطلب مشروبا ونظر الى الطريق يستجلي الأمر ..

كانت سيارة رجال البوليس السري قد ابتعدت عن المقهى كثيرا فاومأ لهم دوشيز . وجذب كل منهم نفسا عميقا علامة الارتياح .. وعادوا للحديث فأبلغ دوشيز جيرارد أن الخريطة التي معه على ما

يعتقد تمثل دفاعات الألمان .

وفي هذه اللحظة كان الضابط الألماني العجوز يهم بالذهاب فنهض دوشيز مسرعا يسبقه لمعطفه الألماني الثقيل ويعينه على ارتدائه .. وحين عاد يحادث جيرارد تساءل الأخير والدهشة ما تزال تعقد لسانه : *«كيف استطعت الحصول على مثل هذه الخريطة المهمة ومن معقل منظمة الموت»* ؟

وحكى دوشيز القصة من اولها موضحا ان قبول كيلر لطلاء المكتب مكنه من سحب الخريطة من خلف المرآة عند نهاية الدوام ووضعها داخل العلبة الاسطوانية التي كان يضع بها فرش الطلاء وخرج من المبنى ..

وخيم الصمت على رؤوس الجميع ثم تحدث جيراد : *«اسرع باعطائي اياها لأحملها الى باريس مع بقية التقارير السرية»* .

وأخرج دوشيز الخريطة وسلمها لجيراد . ثم قال يوصي دوشيز : *«في المرة القادمة استخدم عقلك ولا تحتفظ بها في جيبك اذ لو كان رجال الجستابو قد دخلوا الى المقهى ووجدوها عندك لافتقدنا رجلا طيبا»* ..

ورد دوشيز هامسا وساخرا : *«كانوا سيبحثون عنها بلا جدوى - كيف ؟ .. حين ذهبت لاحضار سجائري وضعت الخريطة في معطف الضابط الألماني العجوز وحين هم بالانصراف نهضت كاي «جنتلمان» وأعنته على ارتداء معطفه واستعدت الخريطة منه دون ان يدري»* .

وصاح جيرارد : *«لا شك انكم جميعا مجانين - ثم اضاف - : وشجعان»* .

وانصرف يحمل سرا خطيرا للحلفاء على هيئة خريطة توضح تفاصيل التحصينات الدفاعية للألمان ..

■ *القصة حقيقية وليست من نسج الخيال* ■

وقدموا القنبلة الذرية هدية للسوفييت

اخطر عملية جاسوسية قام بها السوفييت في امريكا تمت خلال الحرب العالمية الثانية بوساطة ما اطلق عليه اسم : حلقة جواسيس الذرة .

بدات القصة بتجنيد العميل الامريكي الجنسية هاري جولد من قبل ضابط المخابرات السوفييتي ياكوفليف الذي كان يعمل دبلوماسيا في قنصلية الاتحاد السوفييتي في نيويورك .

تم تجنيد هاري جولد ليكون حلقة اتصال بين ياكوفليف ومجموعة من العلماء في الولايات المتحدة الامريكية كانت تتعاون مع السوفييت إما لتعاطفهم مع النظام في موسكو أو بمقابل .

كان أهم هؤلاء العلماء المدعو : كلاوس فوكس .

كلف العميل هاري جولد بالقيام برحلة واحدة يتصل فيها بعميلين ويتلقى منهما معلومات ذات أهمية قصوى للسوفييت .

كان جولد يعلم بخطورة مهمته في منطقة «لاوس - الاموس» وكان اتصاله الأول بالعالم كلاوس فوكس والثاني بضابط الصف الفني العسكري ديفد - جرينجلاس .. الذي كان يقوم بعمل نماذج أولية لهيئة القنبلة الذرية وكان جرينجلاس (والاسم يعني الزجاج الأخضر) قد جند بوساطة يوليوس روزنبيرج (شقيق زوجته) الذي جنده للمهمة ياكوفليف وقد أعدم يوليوس روزنبيرج مع زوجته إيثيل (فيما بعد) بالكرسي الكهربائي للدور الذي قاما به في هذه العملية التي نحن بصدد سرد تفاصيلها .

■ في صباح يوم الأحد الموافق ٣ يونيو عام ١٩٤٥ أي قبل ٦ أسابيع من انطلاق أول ضوء لامع يكاد يخطف الابصار في سماء «الامو جوردو» مؤذنا ببداية عصر الذرة أي قبل ٦ أسابيع من تفجير أول تجربة ذرية في العالم صعد رجل بدين الجسم قصير القامة الدرج المنحدر والمؤدي الى شقة بعينها في ٢٠٩ شارع نورث - هاي بالبوكويرك في نيو مكسيكو وطرق على باب أول شقة وسرعان ما فتح له شاب ما يزال بملابس الحمام ..

قال الرجل البدين متسائلا : «*السيد جرينجلاس . أليس كذلك*» ؟

أومأ الشاب برأسه علامة الايجاب فما كان من الرجل البدين إلا أن دلف الى الداخل مسرعا وهو يقول : «*أرسلني اليك يوليوس*» .

اغلق جرينجلاس الباب من خلفهما واتجه لتوه نحو منضدة ترقد عليها حقيبة يد زوجته «روث» . وفتح الحقيبة وأخرج بطاقة

مقطوعة ما أن رآها الآخر حتى أخرج من جيب سترته النصف الآخر المكمل لها فابتسم جرينجلاس مطمئنا وقدم الزائر لزوجته فحياها البدين بايماءة ثم قدم نفسه بدوره قائلا : *أنا ديفد من بتسبيرج* . وكان هذا هو الاسم الحركي للمدعو هاري جولد القادم من فيلادلفيا .

لم يضع جولد وقته فبادر بمخاطبة جرينجلاس متسائلا : «*هل لديك أية معلومات لي* ؟

فأجاب جرينجلاس : «*نعم لدي ، ولكنها تحتاج الى كتابة . عد إلـيّ في الثالثة من بعد ظهر اليوم* .

وأمضى جولد الوقت في حجرته بفندق هيلتون يقرأ قصة بوليسية وتناول طعام الغذاء بالفندق ولم يبارحه الا قبيل الثالثة حيث عاد ليطرق باب شقة جرينجلاس .

كان جرينجلاس يرتدي الملابس العسكرية مع اشارة ت - ٥ - التي توضح أن رتبته عريف . وأعدت زوجته «روث» الشاي . وكان جرينجلاس قد أعد التقرير المطلوب في عدد من الأوراق المسطورة بحجم ٨ في ١٠ بوصـات لكـل ورقة وقد خط عليها رسومات بدت كمشروع نظري معـد للتـطبيق بدون مقاييس تحدد النسبة بين ابعاد الرسم وأبعاد أصله مع رسومات تصور اختبارات او تجارب لتفجيرات نووية مشكلة على شكل قوالب من عدسات مسطحة نقلها جرينجلاس بدقة من أحد الورش الفنية - السرية الثلاث التي يعمل بها في منطقة لوس الاموس .

ومـع التقـريـر ورقتـان تحويان وضعا دقيقا للحروف والرموز والرسـومات المرفقة وورقة اخرى تحوي أسماء بعض لعلماء في منطقة لوس - الاموس يرشحهم جرينجلاس لامكانية تجنيدهم كعملاء .

قال جرينجلاس وهو يمد يده بهذه الورقة الأخيرة الى جولد مشيرا

باصبعـه الى أحد الاسماء المرشحة : «*هذا الرجل بالذات وضعت اسمه بين المرشحين وما زلت أجمع المعلومات عنه وهو* ..
هنا صاح جولد مقاطعا : *لماذا تفعل ذلك . انك تعرضنا جميعا بذلك للخطر . لا داعي للايحاء لأي شخص خارج الحلقة انك تجمع معلومات للسوفييت* ..
ورد جرينجـلاس : *إن يوليـوس قد طلب مني تقـديم اسمـاء بالمتعاطفين مع النظام في موسكو - وهذا ردي على يوليوس الذي بعث بك إلـيّ . الم يبعث بك يوليوس ؟*
لم يرد جولد أن يوضـح كيف انـه لا يعرف يوليوس شخصيا واكتفى باخذ التقرير وقائمة المرشحين .

المهمة الأولى :

كانت مهمة جولد الأولى في مدينة سانتا - في - وكان المفروض أن يسافر اليها بطريقة غير مباشرة بالسفر من نيو مكسيكو الى اريزونا ثم الى تكساس والعودة منها الى سانتا - في - إلا أنه فضل أن يقوم بسفرة واحدة مباشرة ذلك لأن الاجازة التي حصل عليها من عمله الرسمي في فيلادلفيا كانت قصيرة .
في الثانية والنصف من بعد ظهر يوم السبت ١٩٤٥/٦/٢ وصل الى سانتا - في - قبل ساعة ونصف من موعده المحدد سلفا . ولهذا أخذ يسير في الطرقات واشترى له خريطة حتى لا يسأل الغرباء عن معالم المدينة وعلم بقلمه على «جسر» شارع كاسيلو . وفي الرابعة تماما وبينما كان يسير فوق الجسر مرت به سيارة العالم كلاوس فوكس قادمـة من شارع - الاميـدا - والتقـط العـالم البريطاني الجنسية كلاوس فوكس العميل جولد من فوق الجسر وكان يخاطبه باسم : ريمـونـد . وانـطلق الاثنـان بالسيارة بعيدا عن ضوضاء

المدينة الى الريف حيث تحدث كلاوس فوكس الى رفيقه بتفاصيل الانفجار الذري المزمع اجراؤه في - الاموجوردو - وقال إنه لا يتوقع انفجارا ناجحا قبل عام ١٩٤٦ رغم التغييرات الاخيرة الهامة في تطوير السلاح المعني .

وقبل أن يودع فوكس العميل جولد في سانتا - فى - سلمه طردا مليئا بالأوراق المطبوعة على الآلة الكاتبة .

المظروف المغلق :

من سانتا - في سافر جولد لانهاء مهمته الثانية مع جرينجلاس في - البوكويرك - كما ذكرنا آنفا . وها نحن أولاء نعود لنكمل بقية القصة :

كان جولد قد تدرب على عدم أخذ أية مستندات بصحبته ما لم يكن مسافرا الى حيث يسلمها مباشرة اذ بهذه الكيفية يستطيع أن يدعي البراءة متى ما قبض عليه وليس بحوزته شيء . ولهذا فحين نهض جولد ليودع كلا من جرينجلاس وزوجته روث بعد أن أخذ التقرير وقائمة بأسماء المرشحين الجدد للعمالة أخطرهما أنه لا يستطيع المكوث أكثر وبحوزته هذه المستندات ثم أخرج من جيبه مظروفا مغلقا وأعطاه الى جرينجلاس . لم يفتح الأخير المظروف ولكنه تحسسه بأصابعه في محاولة لتقدير كمية النقود .

هنا خاطبه جولد وهو يتابع حركة أصابعه فوق المظروف : *هل يكفي المبلغ ؟*

أجاب جرينجلاس : *تكفي في الوقت الحاضر على الأقل وان كانت هناك بعض النفقات الجانبية كاجراء عملية اجهاض لزوجتي وبقائها لفترة بدون عمل .*

ونظر جولد الى الزوجين - العميلين وقال : *سأحاول أن أمدكما*

بمزيد من المال لتغطية النفقات في زيارة مقبلة .

صحبه الزوجان الى نقطة بعينها أبدى رغبة بعدها في الذهاب بمفرده وعاد الزوجان بطريق آخر الى شقتهما وفتحا المظروف في لهفة واذا بالمبلغ ٥٠٠ دولار أمريكي . كان المبلغ كبيرا في الاربعينات - خلال الحرب العالمية الثانية وقالت روث زوجة جرينجلاس وهي تتسلم المظروف منه لتحصى الدولارات بنفسها :

«لقد أخطرنا أخي يوليوس بأننا نشارك في تجميع معلومات لاسباب علمية هادفة ، ولكن أن يدفع لنا لقاء مايحصلون عليه من معلومات يعني شيئا آخر» .

وراحت روث تبكي بعد أن عرفت بأنهما إنما يعملان لحساب دولة أخرى .. لاطفها زوجها وتحدث اليها مقنعا إياها وقبل أن يأخذ الاوتوبيس ليعود الى عمله في «لوس الاموس» عادت الى - روث - الابتسامة وراحت تضع ميزانية بالمبلغ (٤٠٠ دولار توضع كحساب بالبنك و٣٧ دولارا كقسط و٦٣ دولارا مصاريف البيت) ..

محاولة لفهم الأسرار :

وفي مكان ما من كنساس وعلى ظهر القطار المتجه الى شيكاغو حاول الكيميائي العميل هاري جولد فهم ماجاء ببعض المستندات التي سلمها اياه العالم البريطاني فوكس الا أنه لم يستطع فك الغازها وطلاسمها رغم مالديه من معلومات بحكم معرفته بعلم الكيمياء ومن ثم أعادها الى داخل مظروف كتب عليه من الخارج : دكتور . ووجد المعلومات التي استقاها من العريف جرينجلاس أكثر سهولة من سابقتها والرسومات واضحة ولكن الاستحالة كانت في فك طلاسم خط العريف - العميل جرينجلاس ولما أعيت جولد الحيلة وضع هذه المستندات أيضا في مظروف كتب عليه أمور أخرى .

ونظر جولد من نافذة القطار وابتسم مهنئا نفسه بنجاح العمليتين في مثل هذا الوقت القصير وبأقل النفقات . فقد التقى العالم فوكس واشترى العملية في ٢٠ دقيقة والتقى مرتين بعائلة جرينجلاس في فترة لم تزد عن الاربعين دقيقة ولم يصرف غير ٥٠٠ دولار حيث أن دكتور كلاوس فوكس (العالم البريطاني الجنسية) قد رفض أن يتسلم ١٥٠٠ دولار كان قد عرضها عليه في مناسبة سابقة ومن ثم فلم يجرؤ على تقديم أي مبلغ له في هذه المرة . كان الرجل متعاطفا وحسب .

هاري على موعد هام :

وصل هاري جولد مدينة نيويورك مساء يوم ٥ يونيو حسب موعده السابق مع ياكوفليف .

كان ياكوفليف الدبلوماسي ضئيل الجسد ، فوق الثلاثين ، يبدو عصبيا سريع الغضب ويعمل بالقنصلية السوفيتية في نيويورك مسجلا بوظيفة كاتب وان كان مزروعا في الأصل من قبل المخابرات السوفيتية .

كان الاجتماع المقرر بين الرجلين في بروكلين في منطقة شبه خالية . وظل هاري جولد يسير من مكان لآخر محاولا التأكد مما اذا كان مراقبا أم لا قبل لحظة اللقاء الحاسمة . ولما اطمأن الى أنه يسير وحيدا بلا رقابة من أحد دلف من زقاق ضيق الى مكان الموعد وأبصر ياكوفليف من على البعد فسار في اتجاهه وحين التقيا تصافحا وسارا سويا ثم توقفا فجأة ليتبادلا الصحف قبل أن ينفصلا . كانت الصحيفة التي مدها ياكوفليف لصاحبه مجرد صحيفة يومية ليس الا ، أما صحيفة هاري جولد فقد ضمت بداخلها مظروفين هامين .. يحتويان على معلومات تكفي أية دولة حديثة ، صناعية ، تملك

النفقـات اللازمة ، والخبرة البشرية والعلمية المتقدمة ، الى السير قدما على طريق انتاج أول قنبلة ذرية - لنفسها .

بعد اسبوعين من هذا الموعد الهام التقى الرجلان مرة أخرى بناء على موعد سابق .

جلس الرجلان في أحد البارات في ركن منزو كأي صديقين وطلب ياكوفليف من العميل هاري جولد أن يشرح له تفاصيل رحلته الى نيومكسيكو التي تمت قبل اسبوعين .

وقبل نهاية الجلسة التي دامت لساعتين ونصف كشف ياكوفليف لهـاري جولد ان المـظروفين المعنيين قد ارسلا مباشرة الى موسكو حيث اثارا موجة من الجدل والحماس . فالمعلومات التي زودهم بها العريف جرينجلاس قد كانت جيدة وقيمة الى أقصى حد - ويبدو أن ياكوفليف نفسه لم يكن يدري حقيقة خطورة هذه المعلومات .

بعد ٦ سنوات من هذه الجلسة حين ألقي القبض على العريف جرينجـلاس وطلب منـه كتـابـة ورسم مانقله الى السـوفييت من معلومات عن طريق العميل هاري جولد صاح السيد جون ديري رئيس لجنة الطاقة النووية وعيناه تحدقان في رسومات العريف : *هذه الرسومات توضح انتاج القنبلة الذرية في مراحلها النهائية المتطورة !*

وأضاف الخبير ديري : *إن هذه الرسومات ليست لقنبلة الاختبار الأولى التي فجـرت في «الاموجوردو» ، ولا للقنبلة «العذراء» التي القيت في هيروشيما بل لثالث وأهم قنبلة تنتج خلال الحرب العالمية الثانية وهي القنبلة التي القيت فوق نجازاكي .*

وهكذا حصل السوفييت على سر القنبلة الذرية المتطورة وتحول الاتحاد السوفياتي الى قوة نووية .. أما العملاء فقد لقوا مصيرهم تبـاعا وعلى راسهم يوليوس روزنبيرج وزوجته إيثيل حيث أعدما بالكرسي الكهربائي .

الجاسوس بلنت

خبير الملكة للمقتنيات الفنية

يموت بعاصمة الضباب في عزلة

■ في الوقت الذي اعلن فيه الاتحاد السوفييتي عن خطورة المعلومات التي نقلها اليهم الجاسوس دونالد ماكلين نقلت الصحف الغربية خبر وفاة صديقه البروفسور انتوني بلنت .

والمعروف ان سير بلنت الحاصل على لقب الفروسية وخبير ملكة بريطانيا للمقتنيات الفنية كان قد افتضح امره كجاسوس للروس عام ١٩٧٩ واتضح

انه كان يعمل لحسابهم في الثلاثينات ، واضطرت الملكة لاسقاط اللقب عنه .

وتوفي بلنت قبل أيام عن ٧٥ عاما بالسكتة القلبية في شقته بلندن وكان يعيش في عزلة بعد افتضاح أمره وانفضاض الاصدقاء والمعارف من حوله . ومن المصادفات الغريبة أن وفاته التي حدثت قبل أيام جاءت بعد ٣ أيام من وفاة صديق عمره الجاسوس دونالد ماكلين في موسكو عن ٦٩ عاما .

وعاش بلنت أيامه الاخيرة في اشباع هوايته الوحيدة «تاريخ الفنون» واكمل مؤخرا كتابا عن الكنائس الرومانية وظل يعمل في كتاب آخر بعنوان : الفنان بيترو داكورتونا .

وكان بلنت الابن الاصغر لأحد قساوسة سنت جون (بادنجتون) قد تلقى تعليمه في مارلبو وكلية ترنتي بكامبردج - وتم تجنيده من قبل العميل الروسي جاي بيرجس ليكون بدوره عميلا للسوفييت إبان تواجده في كامبردج .

مع بداية افتضاح بعض حلقات الجاسوسية في بريطانيا هرب ماكلين الى موسكو وقامت المخابرات باجراء ١١ تحقيقا مع البروفسور بلنت على أمل أن يعترف بعمالته بعد أن حامت حوله الشبهات الا انه ظل مصرا على ادعاء البراءة .

وفي عام ١٩٦٤ ووجه البروفسور بلنت الذي كان في منصب خبير المقتنيات الفنية لملكة بريطانيا باعتراف العميل مايكل وتني استريت الامريكي الجنسية بانه أحد جاسوسين روسيين جندهما لهذه المهمة البروفسور بلنت بنفسه .

أمام هذا الاعتراف وافق بلنت على أن يعترف بدوره للسلطات بشرطين :

١ - الوعد بإصدار عفو عام عنه بحيث لا توجه له تهمة ولا يحاكم .

٢ - الحفاظ على سرية الاعتراف بعدم نشره باية صورة من الصور .

وتمت الموافقة على الشرطين وظل في منصبه العالي حتى بعد اعترافه بانه كان عميلا للسوفييت في الثلاثينات ، وبقي خبيرا للملكة ولم يعرف بسره سوى الملكة وكبار رجال المخابرات ورؤساء الوزراء الذين تعاقبوا على كرسي الحكم في بريطانيا .

وفي عام ١٩٧٩ اصدر اندروبويل كتابه :جو الخيانة . وتطرق الكتاب الى ما اسماه بحلقة الجاسوسية في الثلاثينات بكامبردج مشيرا الى العميلين الرابع والخامس في هذه الحلقة تحت اسمي موريس وبازل (الاسم الحركي لكل منهما) واثار الكتاب لغطا كثيرا وخاصة حول الاسمين السابقين واصبح



. والمعروف ان سير بلنت الحاصل على لقب الفروسية وخبير ملكة بريطانيا للمقتنيات الفنية كان قد افتضح امره كجاسوس للروس عام ١٩٧٩ ...

معروفا لدى الاوساط اللندنية أن الجاسوس موريس ما هو إلا السير انتوني بلنت .

وفي مجلس العموم البريطاني أثار نائبان من حزب العمال موضوع العميل موريس وما يثار حوله من لغط ووقفت السيدة تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا لتعلن أن خبير ملكة بريطانيا للمقتنيات الفنية كان يعمل جاسوسا للسوفييت . وفي نفس اليوم أعلن قصر بكنجهام اسقاط لقب «سير» عن البروفسور انتوني بلنت .

وفي خلال الاشهر اللاحقة لهذا القرار واجه حملة تطالبه بالتنازل عن الالقاب والمناصب الاخرى التي كان يحتلها أو يحملها ، ولكن العديد من أصدقاء بلنت وتلامذته وقفوا ليدافعوا عن الحاجة اليه في حقل تاريخ الفنون إذ انه من القلة النادرة في هذا المجال .

ان شغل بلنت لهذا المنصب العالي في بلاط صاحبة الجلالة الملكة وضعه في راس قائمة جواسيس العصر الحديث وبموته طويت صفحات سرية كثيرة لم يكشف عنها بعد .

وهناك تساؤلات :

- اذا كان العميل كلاوس فوكس نقل للسوفييت اسرار القنبلة الذرية ، ومد ماكلين الروس بمعلومات دبلوماسية وعسكرية في غاية من الخطورة والسرية ، وعرض العميلان فلبي وبليك عمليات المخابرات المركزية الامريكية والبريطانية للخطر فماذا قدم بلنت بالفعل للسوفييت ؟

المعروف حاليا أن بلنت الذي كان يعمل في الاستخبارات البريطانية (ام ١٥ - M 15) خلال سنوات الحرب العالمية برتبة نقيب قدم معلومات من هنا وهناك للروس ثم قام فيما بعد بدور ثانوي للمساعدة في هروب العميلين بيرجس وماكلين من بريطانيا الى موسكو .

في الثلاثينات والازمة الاقتصادية في قمتها كان بلنت يرى أن ما يحيق بالمجتمع الغربي مرجعه الى النظام الرأسمالي الغربي ولهذا الاحساس يعزى تطوعه للعمل جاسوسا للاتحاد السوفييتي وخاصة وان الدعاية السوفييتية كانت تصور للجميع ان خلاص العالم من الفقر والفاقة في النظام الماركسي ..

انساق بلنت وراء هذا الوهم وانتهى به الامر الى الموت وحيدا منعزلا في عاصمة تعداد سكانها ٨ ملايين أو يزيد ..

العميل ماكلين :-

دونالد ماكلين الجاسوس البريطاني الجنسية الذي مات في موسكو الشهر الماضي (صديق انتوني بلنت) ظل يتفاخر حتى وفاته بأن ما افضى به من معلومات للروس كان سببا في سير عمليات الحرب الكورية ونتائجها .

وصرح مصدر سوفييتي مسئول ان ماكلين أخطره انه قام بانقلاب جاسوسي كبير لصالح الكرملين خلال خريف أو شتاء عام ١٩٥٠

وأكد ماكلين نفسه أن الاسرار التي امد بها الروس حول تكوين حلف شمال الاطلسي (ناتو) والتقدم الذي أحرزه الامريكان في حقل الاسلحة النووية يعد «انجازا» يسيرا بالمقارنة للمعلومات التي امدهم بها حول السياسات الامريكية خلال الحرب الكورية .

وتفاخر ماكلين بأنه قدم الى ستالين في طبق من الفضة تفاصيل كل قرار اتخذه الرئيس الامريكي هاري ترومان ابان الحرب الكورية بل وذهب الى حد القول بأنه هو ، ولا أحد غيره ، الذي ساق الصينيين للاشتراك في الحرب وورطهم فيها ووفر على السوفييت الاشتراك المباشر فيها . وقد احتفل الروس في ١١ مارس الماضي بماكلين واعتبروه من أعظم عملائهم وأكرموه حيا وميتا وحضر الاحتفال الختامي العميل جورج بليك أحد أخطر العملاء السوفييت .

كانت الحرب الكورية قد نشبت في ٢٧ يونيو ١٩٥٠ وكان ماكلين قد عاد الى انجلترا في مايو من نفس العام بعد اصابته بانهيار عصبي اثناء عمله في سفارة بريطانيا لدى القاهرة

في اكتوبر تم تعيينه رييس قسم الشئون الامريكية بالخارجية البريطانية وراح يقرأ عن سير الحرب الكورية والتقدم الامريكي البريطاني المطرد تجاه نهر ياهو . وفي شهر نوفمبر والحرب على أشدها بدأ ماكلين تمرير اسرار عن خطط سير الحرب الى الاتحاد السوفييتي عن طريق مركز اتصال سوفييتي بلندن وكانت هذه المعلومات والاسرار تمر عبر مكتبه بالخارجية . كانت المعلومات في غاية من الاهمية وتشكل مجموعة من المخاطبات الرسمية بين البيت الابيض و ١٠ شارع داوننج (مقر رئاسة الوزراء البريطانية) .

وثارت شكوك حول مد ماكلين للروس بمعلومات خطيرة ولبريطانيا آلاف الضباط والجنود في كوريا .. إلا أنه لم يواجه علنا باي اتهام .

وقال ماكلين لبعض أصدقائه إنه عين في منصبه بالخارجية في وقت كان فيه الجنرال مكارثر وقوات «الامم المتحدة» تدفع بقوات العدو الى حدود كوريا الشماليةالتي قدمت منها . وكان كل قرار هام يتخذه الرئيس الامريكي ترومان تصل صورة منه الى مكتب ماكلين ومن بين هذه القرارات مثلا قرار ترومان بمنع الجنرال مكارثر من ضرب الجسور الممتدة عبر نهر يالو ومنع تحليق طائرات الاستطلاع فوق المنطقة أو مطاردة الطائرات الصينية .

هذه المعلومات سرعان ما نقلها ماكلين لتصل من مقر البوليس السري في لوبيانكا الى مكتب ستالين الذي نقلها بدوره الى الرئيس الصيني ماوتسي تونج ، وخلص الزعيمانااليساريان الى ان الولايات المتحدةالامريكية لاتود تصعيد الحرب بارسال قواتها الى داخل الاراضي الصينية .

هذه المعلومة الهامة دفعت الصينيين وقد اطمأنوا الى انهم لن يهاجموا في عقر دارهم الى حشد معظم قواتهم للقتال في كوريا دون خوف من أن ينتهز الامريكان فرصة حشدهم للقوات بكوريا ويوجهون ضربة للمدن الصينية باسلحة تقليدية أو نووية .

وكان لهذه المعلومة اثرها ايضا على ستالين الذي أمر بتقديم كل عون عسكري ممكن - بل وبلا حدود للصين في حربها الى جانب كوريا الشمالية دون أن يخشى تطور الحرب وتوسيع نطاقها مما قد يؤدي لحرب عالمية ثالثة .

في مايو ١٩٥١ قررت ال - أم - ا - ٥ - (M15) «الاستخبارات البريطانية» أن ماكلين مشتبه في أمره وأوقفت تعامل مكتبه بأي قرارات أو أوراق سرية وكان الجنرال مكارثر قد أبعد عن منصبه كقائد . وبعد أسابيع من وقف تدفق المستندات السرية عبر مكتب ماكلين احس هو بالخطر واستطاع مع رفيقه جاي بيرجس (دبلوماسي وعميل آخر للروس) الهرب الى موسكو ..

وكما ذكرنا فان البروفسور بلنت قام بدور ثانوي في المساعدة على هربهما الى الاتحاد السوفيتي .. وعاش الاثنان في موسكو منذ الخمسينات ليموت ماكلين في شهر مارس ١٩٨٤ ثم ليلحق به البروفسور بلنت في لندن حيث مات وحيدا بعده بثلاثة ايام .. ■

هامش :

● عن الصحف البريطانية : تايمز ، ديلي تلغراف .. THE TIMES, THE DAILY TELEGRAPH .

٤ عيون من بين ٤٧

■ *هرع أربعة من الدباوماسيين الى شارع هاوسمان المشهور وصعدوا الى عيادة خاصة لطب الاسنان وطلبوا من الجراح حشوات ذهبية مستعجلة .*

كان هؤلاء الاربعة من الروس المبارحين فرنسا الى موسكو على عجل قد أخطروا الطبيب الجراح الذي كان يعالج أفراد الاسرة الشاهنشاهية الايرانية سابقا ، أخطروه بمواصفات خاصة وقدموا له شيكات بفارق التكلفة في باريس .

هذه الظاهرة صاحبت إبعاد فرنسا لسبعة وأربعين دبلوماسيا سوفيتيا بدعوى أنهم يتبعون لجهاز المخابرات السوفييتي وقد غزا هؤلاء السوق الفرنسية يشترون أجهزة تلفاز وراديوهات ترانزستور وكتب الطبخ الشهيرة وكل ما تقع عليه أيديهم من مواد استهلاكية فاخرة قبل العودة الى بلادهم تصحبهم أسرهم ..

هذا ما حملوه علنا وما خفي كان أعظم إذ جاء في صحيفة الصنداي تايمز البريطانية (عدد ١٠/٤/٨٣) أنه لم تخل منطقة فرنسية من مناطق التكنولوجيا العسكرية المتقدمة من عيون السوفييت فمن معرفة لأسرار قاذفة القنابل النووية - الميراج ٢٠٠٠ الى قنبلة النيوترون الفرنسية وغيرها من الاسلحة النووية الى أجهزة قياس المسافات والرؤيا الليلية وكل ما يدخل في حقل الاليكترونيات الحديثة بما في ذلك العقول الاليكترونية (كمبيوترز) .

كل هذه الاسرار حملها جواسيس السوفييت الى قلب موسكو . بل ويذهب بعض المراقبين الى حد القول بأن ٣٠ بالمائة على الاقل من التفاصيل الدقيقة للتكنولوجيا الفرنسية العالية يعرفها الروس كما يعرفها الفرنسيون .

أهم أهداف السوفييت التي سعوا لتحقيقها خلال السنوات القليلة الماضية محاولة معرفة أسرار القاعدة العسكرية البحرية في طولون . وعلى وجه التحديد محاولة معرفة أسرار قاذفة صواريخ إكزوسيت بالاضافة الى سلسلة المعدات المعقدة والمتطورة لكشف الغواصات .

من أجل كل هذا تم إبعاد ٤٧ دبلوماسيا سوفيتيا قالت الدوائر الرسمية الفرنسية إنهم يشكلون جزءا من حلقة الجاسوسية - التابعة للمخابرات السوفيتية (كي - جي - بي .. K G B) .

ولم يأت قرار الابعاد مفاجأة لاحد ذلك أن جهاز الامن الفرنسي (دى - إس - تى .. D S T) الخاص بمراقبة أجهزة المخابرات العالمية العاملة داخل الاراضي الفرنسية كان يطالب بهذا الابعاد منذ سنوات .

جاء القرار بعد دراسة الرئيس الفرنسي ميتران للدوسيه الخاص بالعملاء السوفييت في فرنسا . هذا الدوسيه يحمل ١٨٥ إسما من بين ٧٠٠ هم مجموع العاملين في سفارة الاتحاد السوفييتي بباريس ويؤكد «الفايل» أن الـ ١٨٥ عميلا ينتمون للمخابرات والاستخبارات العسكرية السوفيتية .

أمسك ميتران بالقائمة وقطع من مقدمتها ٤٧ اسما أمر شخصيا بابعادهم وكان على رأس قائمة المبعدين نيكولاي جتفيريكوف وهو الرجل الثالث في السفارة السوفيتية بباريس والرأس المدبر لكل عمليات التجسس في فرنسا . هذا الرجل الغامض لم يحضر طوال بقائه بفرنسا - منذ عام ١٩٧٧ - أي حفل دبلوماسي ولم يشهده أحد ولم تظهر له أية صورة في الصحف أو المجلات الغربية .

السوفييت يردون :

لم تكن فرنسا وحدها هي التي أبعدت عملاء السوفييت فقد سبقتها كل من بريطانيا واسبانيا والبرتغال وسويسرا وأكبر عملية ابعاد تلك التي تمت في المملكة المتحدة عام ١٩٧١ حين ابعدت فرنسا ١٠٥ من العملاء السوفييت .

وخلال هذا العام أبعدت سويسرا ٣ دبلوماسيين كما ابعدت ايطاليا في فبراير الماضي اثنين منهم وألقت القبض على اثنين من المدنيين السوفييت بتهمة التجسس . وأبعدت بريطانيا مؤخرا ثلاثة أحدهم صحفي سوفييتي (مراسل مجلة تايمز الجديدة في لندن) ورد السوفييت بطرد اثنين من الانجليز احدهما صحافي (مراسل الفاينانشيال تايمز اللندنية بموسكو) ويقال ان ابعادهما جاء كبداية لرد سوفييتي على ابعاد عملائها من أوروبا .

وجاء في صحيفة الديلي تلغراف أن كل عملاء روسيا في أوروبا قد تم كشفهم بعد لجوء عميل سوفييتي الى أمريكا مع بداية هذا العام . وفي الحقيقة هناك أكثر من عميل هرب من المعسكر الشرقي الى الغرب فمثلا هناك ضابط المخابرات السوفيتية ستانسلاف لفشنكو الذي كشف للامريكان عن عملاء روسيا في اليابان بينما كشف العميل السوفييتي فلاديمير كوزيشكين الذي كان يعمل بايران عن أنشطة المخابرات السوفيتية في الشرق الاوسط .

وتقول مجلة نيوزويك نقلا عن مصادر للمخابرات إن كشف خطط وعملاء السوفييت في أوروبا لايرجع الفضل فيه لعميل واحد لجأ الى الغرب وانما هو نتيجة معلومات تلقتها الدوائر الغربية من أكثر من عميل سوفييتي ..

الشيطان الأفضل

المثل العربي الدارج : *«جنا تعرفه ولا جنا ما تعرفه»* يقصد به أن الشخص الذي تعرفه وان كان سيئا افضل من شخص آخر جديد قد يتسم بالسوء وتضطر للتعامل معه دون معرفة ، وقد غير الكاتب البريطاني نايجل وست هذا المثل حين سألوه عن ابعاد الجواسيس السوفييت بقوله :- *«ان الشيطان الذي تعرفه خير من شيطان لاتعرفه»* ويعني أن المبعدين وان كثر عددهم فسيأتي عملاء جدد على هيئة دبلوماسيين وصحفيين ليحلوا محلهم وستجد أجهزة المخابرات الغربية نفسها تتعامل مع عملاء جدد لا تعرفهم مما يصعب مهمتها في المراقبة والتتبع واكتشاف الاساليب الجديدة ■

● عن صحيفة الصنداي تايمز اللندنية الاسبوعية .
THE SUNDAY TIMES .

الجاسوس
إغور جوزينكو

كاتب الشفرة المنشق الذي لم يصدقوه !

الشخص الذي يهجر بلده في حال نشوب الحرب او خلال الحرب الباردة ليلتحق بخدمة بلد آخر او يلجأ اليه لأسباب أيديولوجية يطلق عليه : «المنشق» خاصة اذا كان لديه ما يقدمه للجانب الآخر سواء كان ما يقدمه له قيمة اعلامية أو دعائية .

وكل شخص له مركز مرموق في بلاده ومع هذا يخاطر بالهجرة منها ليبدأ حياة جديدة من أول السلم وفي مجتمع لغته وعاداته وتقاليده غريبة عليه لا بد وأن يكون لديه سبب قوي للقيام بذلك

من احدث حالات الانشقاق هروب ابنة ستالين الى الغرب وان كان لهذا الحدث أثره الدعائي الا أن أكثر حالات الانشقاق التي تلقى اهتماما لدى المخابرات الغربية هي تلك التي تتم من قبل رجال كانوا هم انفسهم ينضوون تحت لواء مخابرات أو استخبارات بلادهم التي هاجروا منها اذ أن مثل هؤلاء الاشخاص يحضرون معهم

معلومات غالبا ما تكون في غاية الأهمية للبلد الذي هربوا اليه وذلك على هيئة وثائق ومستندات ومنهم من يأتي بلا وثائق ولكنه يظل محتفظا في ذاكرته ببيانات ومعلومات سرية مهمة . والانشقاق طريق ذو اتجاهين فهناك من المنشقين أمثال بيرجسيس وماكلينز من تركوا الغرب الى الشرق .

أما القصة الحقيقية التي نرويها هنا فهي لأحد هؤلاء الذين تركوا الشرق للغرب :

البداية :

بدأ إغور جوزينكو الموظف بالسفارة السوفيتية لدى كندا يلاحظ شيئا غريبا في مقر السفارة دفعه فيما بعد الى الانشقاق .

كانت كندا مع دول الغرب حليفة لروسيا ضد النازية والفاشية خلال الحرب العالمية الثانية ومع هذا لاحظ إغور أن الأوراق والوثائق التي تمر عبر مكتبه ليلة بعد ليلة تحمل تقارير مرفوعة الى موسكو لا عن النازيين بل عن مواطنين كنديين جندوا في المخابرات السوفييتية مع اسرار كندية مدعمة بالوثائق برغم أن كندا هي الحليف وليست العدو النازي .. وفي وقت كانت الحرب فيه على أشدها .. كان هذا أحد أسباب دفعت بالموظف (كاتب) الشفرة إغور جوزينكو للانشقاق واللجوء الى الغرب ومنذ ذلك التاريخ قبل اكثر من عشرين عاما ظل مكان تواجده سرا لا يعرفه أحد ولا تصل اليه فيه يد ثم رأى إغور أن يحكي بنفسه قصته الحقيقية كجاسوس :

كانت ليلة كالحة السواد من ليالي الصيف الحارة حين رجعت الى مكتب الملحق العسكري السوفييتي . وكنت قد فكرت كثيرا قبل أن استقر على تحويل مجرى حياتي بالانتقال من معسكر لآخر . لم أكن قد حددت يوما بعد حتى اضطرني الى ذلك العقيد زابوتين حين اتخذ

قرارا مفاجئا بتسليم عملي الى الملازم كولاكوف بعد تدريبه على الشفرة حتى يضمن وجود ضابط يقوم بالعمل في حال نقلي .

أنا إغور جوزينكو لست بطلا - وانما مجرد رجل عادي كعامة الناس ولم يحدث أن برزت في الالعاب الرياضية وانما انحصر كل نجاحي في حقل الدراسات والبحوث وبطبعي لا أميل الى حياة العنف والمخاطر ، ولكن في تلك الليلة الحارة من ليالي الصيف - ليلة ٥/٩/١٩٤٥ أحسست بأن هذه قد تكون آخر ليلة في حياتي . خطأ واحد غير مقصود قد يؤدي الى فشل كل مخططاتي وقد أكون تحت المراقبة من قبل البوليس السري السوفييتي ومنظماته ، بل وخطر لي أن عملية نقل الملازم كولاكوف ليحل محلي قد تكون عملية مدبرة لدفعي الى اتخاذ قرار سريع يلقي بعده القبض علي ، ومع هذا مضيت في تنفيذ الخطة التي وضعتها مع زوجتي «أنّا» فاما أن آخذ المستندات الليلة أو اتركها حيث هي الى الابد ..

وقررت بعد أخذ المستندات أن أحملها الى صحيفة كندية .. وكانت ليلة الاربعاء التي اخترتها مناسبة لأن المناوبة في مكتب الملحق العسكري كانت تلك الليلة على الملازم كولاكوف ومصرح لمن يناوب بالليل أن ينام صباح اليوم التالي حتى منتصف النهار ، قبل أن يداوم . وعليه فان هذا سيمنحني فرصة ووقتا للهروب قبل أن يعود كولاكوف للعمل ويبلغ باختفائي . وبما أن كل أعمال الشفرة تعتبر من الامور السرية فانه باستثناء العقيد زابوتين فلا أحد غيره يعرف بساعات دوامي الرسمي . وكنت أعلم أن العقيد الذي كان مدعوا لمشاهدة أحد الافلام مساء الاربعاء كان سيتأخر بدوره عن الدوام الرسمي حتى منتصف نهار اليوم التالي .

كان علي ليلة الاربعاء أن أذهب أولا الى الملحقية العسكرية لاتمام بعض الاعمال ثم أذهب بعدها الى السفارة حيث توجد المستندات المهمة مستفيدا من وظيفتي ككاتب شفرة يسمح لي بالدخول الى

الملحقية أو السفارة في أي وقت أشاء ليلا أو نهارا .

اتجهت الى الملحقيـة العسكـريـة ودخلت الى الصالة وأبصرت بالملازم كولاكوف وقد اتخذ مكانه في مكتب المناوبة الليلية . وفجأة ظهر أمامي النقيب جولكين ، حارس الباب ولم يكن في حقيقته مجرد حارس انما هو ضابط مخابرات كفء وبادرني بعد التحية بقوله :

- ما رأيك في اصطحابي لرؤية أحد الافلام .

وأشعرته بأن لدي الرغبة متسائلا :

- أي الافلام هو ؟

ورد بأن الفيلم المعني يعرض في دار للعرض قريبة من الملحقية ، ووجدت في الذهاب معه فرصة لأن مجيئي للملحقية بحجة العمل إنما كان في حقيقته للاطمئنان على مناوبة كولاكوف وضمان تأخره بالتالي عن الدوام صباح اليوم التالي ومن ثم أجبت النقيب قائلا :

- هذه الفكرة جيدة خاصة وان هذا الجو الحار لا يسمح بالعمل الآن ، ثم انضم الينا عدد من موظفي الملحقية .

وصلنـا الى دار العـرض المعنيـة وأبديت شعورا بخيبة الأمل بمجرد أن رأيت صور الفيلم وقلت للنقيب :

- يا للعنة ، لقد رأيت هذا الفيلم من قبل ، هيا أدخلوا ، انه فيلم جيد وسأذهب لدار عرض أخرى .

وبمجـرد أن دخلوا اتجهت صوب السفارة هذه المرة وصعدت الدرج وحييت الحـارس بإيمـاءة فرد بمثلهـا ثم وقعت على دفتـر الدخول وحين هممت بوضع القلم في جيب سترتي لاحت مني التافة الى مكتب الاستقبـال وكـاد الدم يتجمد في عروقي . فهناك يجلس فيتالي بافلوف رئيس منظمة البوليس السري السوفييتي في كندا ، استعـدت ربـاطة جاشي في لحـظات ومـررت من مكتب الاستقبال وتعمدت الانشغال بوضع قلمي في جيب السترة . ومن طرف خفي لاحظت أن بافلوف لم يعرني اهتماما ، أو علّه لم يلحظ دخولي .

ضغطت على الجرس السري تحت عمود الدرابزين وصعدت الدرج الذي يقود الى غرفة الشفرة السرية وازحت الستار ثم وضعت وجهي أمام الفتحة الصغيرة في الباب الفولاذي وفتح الباب من الداخل لاجد أمامي رياضنوف - صديقي - كاتب شفرة الملحق التجاري ، وسرني أنه كان وحده . تبادلنا التحية وبعض عبارات عن الطقس الحار ثم سألني عما اذا كنت سأعمل الى وقت متأخر . أجبته بأن لدي بضع برقيات سأعدها بالشفرة ثم الحق عرضا سينمائيا يبدأ في الثامنة والنصف . وانصرف رياضنوف ليكمل عمله .

دخلت الى مكتبي الصغير - هنا بالسفارة - وأغلقت الباب بحذر من خلفي واتجهت صوب طاولة المكتب وفتحت الادراج وأخرجت حقيبة العقيد زابوتين التي تعمدت تركها حيث هي صباح ذلك اليوم وكانت معظم المستندات التي أريدها بداخلها والبقية تقبع بداخل الدوسيهات وكلها معلمة من قبلي لاخراجها بسرعة عند الحاجة ، وكانت بعض المستندات عبارة عن افرخ ورق كبيرة الحجم وبعضها قصاصات صغيرة ، (وفي مجموعها ١٥٩ مستندا) .

فتحت قميصي ووزعت الأوراق على جسدي بشكل منتظم حتى لا يظهر أي نتوء غير طبيعي ، ولما فرغت أعددت بعض البرقيات بالشفرة لأبرر سبب عودتي وكانت هذه البرقيات التي احتفظت بها صباحا تحوي معلومات مدت السفارة بها عميلة كندية تدعى إيما فويكين وتعمل بوزارة الشئون الخارجية الكندية .

هذه البرقيات فكرت كثيرا قبل أن أضع نسخا منها في جيبي وكان هذا لسوء حظ إيما فقد دفعت ثمن ذلك ٣ سنوات سجنا - فيما بعد .

بعد أن أنهيت عملي فحصت قميصي جيدا قبل أن أغادر المكتب . وعبرت الممر وسلمت البرقيات المعدة بالشفرة الى رياضنوف ليرسلها الى موسكو ثم سلمته حقيبة العقيد زابوتين ليضعها في الخزينة .

ووقفت برهة الاحظ وجه رياضنوف بحثا عن أي دليل شك قد يحسه تجاهي من خلال سلوكي تلك الليلة أو «مظهري» وبدا لي أنه لم يلحظ شيئا .. تلك كانت مخاوفي - يكاد المريب يقول خذوني - ودلفت لغرفة الحمام المجاورة لأغسل يدي ومن هناك صحت أحادث صديقي رياضنوف :

- ماذا لو تركت كل هذا وصحبتني للسينما ؟

وأجاب بصوت عال :

- لكم أود ذلك ولكن مع وجود بافلوف تحت فهذا شبه مستحيل .

وما كدت أسمع الاسم حتى أحسست أن رجلي لم تعودا تحملاني الا أني عدت وتمالكت نفسي ، كنت قد نسيته تماما .. وبعد برهة من الاطمئنان على هندامي فتح لي رياضنوف الباب الفولاذي وخرجت لاهبط الدرج في حذر شديد مخافة أن تنتفخ بطني بمستند يخرج عن موضعه أو تخرج الى النور قصاصة صغيرة من رجل البنطال .

كانت حبات من العرق تقف عند حاجب العين وقلبي أصبح منقبضا وأنا أقترب من مكتب الاستقبال ولم أجرؤعلى مد يدي الى جيبي لأخرج منديلا أمسح به العرق . وبدا لي الباب الخارجي بعيدا وكأنه يبعد أميالا واقتربت من مكتب الاستقبال ثم تركته خلفي دون أن ألفت نظر أحد وتملكني شعور بالفرحة طاغ حين وجدت المكتب خاليا من بافلوف . كان الرجل قد ذهب .

عند الباب الخارجي وقعت على الدفتر وخرجت وحين ضمني هواء الليل لم أصدق أني قد نفدت بجلدي . كان الجو لا يزال ساخنا ورطبا ومع هذا تنفست الصعداء .. أخذت أول سيارة أجرة مرت بي وانطلق بي السائق نحو صحيفة أوتاوا الكندية .

كنت أرجف برغم نجاتي وأنا في طريقي للصحيفة ولا أدري لماذا .. وعند مبنى الصحيفة وقفت أجفف عرقي وأصلح من هندامي والتفت لاتأكد من أن أحدا لا يتبعني قبل أن أدلف لمكاتبها وأسأل

عن مكتب رئيس التحرير .

في الطابق السادس وجدت المكتب وقد كتب على الباب رئيس التحرير وهممت بأن أطرق الباب ثم أوجست خيفة :

- ماذا لو كان بالصحيفة عميل سوفييتي ؟

تركت الباب ورجعت الى المصعد ورحت أهبط الى الطابق الارضي وتوقف المصعد ليصعد اليه بعض الاشخاص بينهم فتاة راحت تنظر الي وتبتسم ثم ما لبثت أن سألتني :

- ماذا تفعل هنا ؟ هل تحمل أخبارا من السفارة ؟

وخفت . حقيقة خفت ، كان وجهها مألوفا لدي ومع هذا لم أذكر أين رأيتها . وتساءلت : بم أجيبها ؟

وأخيرا هبط المصعد الى الطابق الارضي وحين فتح الباب هممت بكلمات اعتذار للفتاة وقلت لها إني على عجل . وانطلقت مسرعا الى الشارع . وبعد تفكير أخذت سيارة الى البيت لاتحدث الى «أنا» في الموضوع . طرقت الباب بطريقة خاصة متفق عليها وفتحت الباب لتستقبلني متسائلة :

- هل حدث ما يسوء ؟.

جلست على الاريكة وقصصت عليها الحكاية فطمأنتني بأن الفتاة لا بد وأن تكون صحافية شاهدتني في احدى حفلات السفارة ، واكتسبت ثقة من «أنا» وزال الخوف وعدت أسألها :

- ماذا بعد ؟

أجابت : - اذهب مرة أخرى للصحيفة .

فتحت قميصي وكانت بعض المستندات قد بللها العرق فجففناها ووضعناها جميعها في لفافة من الورق . وخرجت مرة أخرى . نفس عامل المصعد أخذني الى الطابق السادس . هذه المرة لم أتردد وطرقت باب رئيس التحرير ، لم أتلق ردا . وعاودت الطرق مثنى

وثلاث ورباع . كان الباب مغلقا ولا أحد بالداخل - فذهبت الى باب آخـر ودلفت منـه الى حجرة كبيرة مليئة بالمحررين وكلهم في شغل شاغل لهذا لم يعرني أحد منهم التفاتة ثم لمحت صبيا وسألته عن رئيس التحـريـر فأجاب بأنه ترك الجريدة لبيته وتركني وانصرف فاقتـربت من كاتب على الآلة الكـاتبـة واخطرته برغبتـي في مقابلة المسئول واضفت قائلا :

- ان الامر في غاية الاهمية . رمقني بنظرة تساؤلية ثم اخذنـي الى الجانب الآخر من هذه الحجرة الكبيرة لأجلس الى رجل مسن .

أخرجت المستندات المسروقة ونشرتها أمامه على مكتبه . وقلت موضحا :

- هذه مستندات توضح أن عملاء السوفييت في كندا يبحثون عن بيانات وحقائق ومعلومات عن القنبلة الذرية .

نظر الي الرجل مليا ثم أخذ بعض المستندات ونظر اليها للحظة ثم قال لي :

- هذه مكتوبة باللغة الروسية . ثم أضاف :

- معذرة فهذه لا تدخل في اختصاص عملنا التحريري . اقترح عليك الذهاب الى البوليس الكندي الملكي أو تعال في الصباح لنلتقي برئيس التحرير .

حاولت أن أوضـح للرجـل خطورة موقفي اذا اكتشف غيـابي والمستندات صباحا ولكنه لم يزد على أن قال لي :

- معذرة ، أنا مشغول .

ثم تركنـي وترك مكتبه وانصرف . وشعرت بالعجز والقلق .

وفي الشارع اتكأت على جدار وبدأت أجمع أفكاري وأخيرا قررت محـاولة مقابلة مسئول على أعلى المستويات . وبدا لي وزير العدل اختيارا مناسبا . ومشيت الى مبنى وزارة العدل وأوقفني أحد رجال البـوليس عنـد المدخل . وأخبرته برغبتي في مقابلة الوزير مؤكدا

اهمية اللقاء فأجاب في أدب :

- ان الساعة قد اقتربت من منتصف الليل ولن تستطيع أن تقابل أحدا قبل صباح الغد . فمعذرة .

وبدأت أتضايق من الكلمة المكررة : معذرة، معذرة .. معذرة .

عدت الى البيت مرهقا وخائفا . وعادت «أنا» تطمئنني وتنصحني بأخذ قسط من النوم وشجعتني على لقاء وزير العدل في الصباح . وأخذت المستندات ووضعتها في حقيبتها وحاول كلانا النوم فلم يغمض لاحدنا جفن وظللنا نتحادث حتى ظهر الخيط الابيض من الخيط الأسود من الفجر ، واتفقت وزوجتي «أنا» أن نذهب جميعا للوزارة في التاسعة هي وشخصي وابننا الصغير أندريه . ويبدو أني غفوت بعد ذلك إذ استيقظت على يدها وهي تهزني في السابعة صباحا . ونهضت وارتديت حلتي البنية اللون وقبل مبارحة البيت طلبت من زوجتي «أنا» أن تحمل المستندات في حقيبتها .

لا أحد يصدق :

عند مبنى وزارة العدل أخبرت موظف الاستقبال برغبتي في مقابلة الوزير لأمر هام . رمقني الرجل بنظرات فيها ريبة ثم تحدث في الهاتف . واصطحبونا الى مكتب الوزير حيث سالني سكرتيره عن طبيعة العمل الذي اود ان احادث فيه الوزير واخبرته ان الأمر من السرية بحيث لا استطيع ان اخاطب فيه احدا غير الوزير شخصيا . وحدقني السكرتير بنظرة ثم التفت الى زوجتي وابني ويبدو انه اعتبرني للحظة مجنونا .. ولعله تساءل :

اذا كان مجنونا فلماذا صحب معه زوجته وابنه ؟

ثم دلف الى مكتب داخلي وسمعته يحادث احدا على الهاتف . وعاد السكرتير ليقول لي :

- الوزير في مكتبه الآخر بمبنى البرلمان وسآخذكم اليه .

ووصلنا مبنى البرلمان وكان لا بد ان امر بسكرتير الوزير هناك . وتكررت

نفس القصة وأخيرا طلب من السكرتير الأول أن يعود بنا الى مبنى وزارة العدل .

وعدنا لنجلس حوالي الساعتين قبل أن يرن جرس الهاتف واذا بالسكرتير يخطرنا :

- لقد تعذر حضور الوزير معذرة ..

ونظرت الى زوجتي فنصحتني بالذهاب للصحيفة مرة أخرى . لعل وعسى . وحين وصلنا هناك لم يكن رئيس التحرير قد حضر وارسلوا صحافية للتحدث معنا . وأخبرتها بتفاصيل القصة من أولها . واستمعت لي جيدا ثم نظرت الى المستندات قبل أن تأخذها الى مكتب رئيس التحرير ثم عادت بعد لحظات لتقول :

- معذرة ...

رددت تلك الكلمة مرة أخرى ، ثم أضافت :

- قصتكم لا تجد اهتماما من التحرير ، فنحن حلفاء لروسيا الآن .

وهنا تحدثت «أنا» متسائلة :

- ماذا تقترحين ؟

واجابت الصحافية قائلة :

- لماذا لا تذهبون الى مكتب النائب العام وتقدمون للجنسية الكندية حتى تامنوا على الاقل عدم عودتكم الى السفارة او موسكو ؟

وأخذنا بنصيحتها وفي مكتب النائب العام الملكي وجدنا الموظفة عن تقديم طلبات الجنسية غير موجودة . خرجت لتناول طعام الغداء .. كانت الساعة قد تجاوزت الواحدة والنصف بعد الظهر .. وتساءلت :

- لا شك انهم افتقدوني هناك ولكن هل يا ترى افتقدوا المستندات ؟

تناولنا وجبة خفيفة من مطعم مجاور .. وتركنا اندريه مع صديقة لزوجتي انجليزية الأصل . وعدنا للمكتب لنملأ طلبات الجنسية وحين طلبت منا الموظفة العودة غدا سألتها :

- كم يستغرق اخذ الجنسية الكندية ؟

اجابت : - لست متاكدة ولكن قد يستغرق الامر شهورا .

واجهشت زوجتي بالبكاء .. وحاولت تهدئتها ورايت في اقصى المكتب سيدة ترتدي فستانا احمر كنا قد تحدثنا اليها ساعة دخولنا فوجدنا منها ترحيبا ،

ولست أدري لماذا ولكني انـدفعت نحـوها وقصصت عليها قصتي كاملة ، استمعت لي في ذهول ثم نهضت وجلبت مقعدين وأجلستنا ، وقرأت على مكتبها اسم : السيدة فيرناندا جوبارن والتفتت الينا لتقول : هذا أمر يجب أن يعرفه العالم . سأحاول مساعدتكما . وبدأت مسز جو بارن سلسلة من الاتصالات بالصحف وبعـد نصف ساعة جاء الى المكتب أحد الصحافيين . ورويت له القصـة وتـرجمت له ما تحـويـه المستنـدات واستوقفني كثيرا عند ترجمة الدوسيه الخاص بالسيد سام كار منظم حزب العمل التقدمي ، وفي النهاية هز رأسه قائلا :

- هذا أمر أكبر من أن تتناوله صحيفتنا . أنه أمر يجب أن يتولاه البوليس أو الحكـومـة الكندية . وأقترح أن تأخذا هذه المستندات اليهما .. وخرج الصحافي وتركنا مع المسز جوبارن التي نصحتنا بدورها بالاتصال بالمسئولين في الحكومة .

وسرنا في وهج الشمس المحرقة ورغم تكاثر العوائق لم يساورني اليأس فقد كنت أؤمن منذ طفولتي بأن المصاعب تكثر لتنتهي الى حل - إن بعد العسر يسرا .. ولكن زوجتي وقد ارهقت لم تزد على أن قالت لي :

- دعنا نذهب الى البيت .

وكنت مرهقا أيضا وبدا لي أن البيت هو المكان المناسب للتفكير في هدوء برغم ما قد يحمله هذا من مخاطر .. وتركتها لتأخذ ابننا اندريه من جارتها الانجليزية ودلفت الى شقتنا وأشرت اليها لتحضر بعد ان وجدت الشقة خالية .

بعد ان ارتحت قليلا وقفت عند النافذة انظر الى الشارع وأحسست بأن قلبي قد توقف ، إذ لمحت رجلين يجلسان على أريكة في الحديقة المقابلة وبين الحـين والآخر ينظران الى نافذة شقتنا دون غيرها . ابتعدت عن الستارة . وحـين هممت بدعوة زوجتي لتنظر من خلف الستارة سمعت طرقا على باب شقتي . وتوالت الطرقات ثم سمعت صوتا يناديني من خلف الباب باسمي :

- جوزينكو .

عرفت في الصوت الاجش سائق العقيد زابوتين .

وظللنا في مكاننا لانتحرك ولا نرد على الطارق ثم سمعنا وقع خطواته وهو يهبط الدرج . ونظرت من النافذة ولم يكن الرجلان قد بارحا الاريكة بعد ..

كانت الساعة قد تجاوزت السابعة بقليل وتذكرت أن جارنا الرقيب أول «مين» بالقوات الجوية الملكية سيكون هذه الساعة في داره وأسرعت الى الشرفة الخلفية لشقتنا ورأيت الرقيب أول مين وزوجته على شرفة شقتهما وخاطبته قائلا بلا مقدمات :

هل يمكن أن نترك ابننا أندريه معكما إذ أننا نخشى أن يصيبنا مكروه ؟

نظر الي بدهشة وطلب أن أحضر لأخبره بالامر وحدثته بالموضوع . لم أخف عليه شيئا وصدقني خاصة بعد أن أبصر بالرجلين اللذين يراقبان شقتنا . ثم طلب مني أن أترك أندريه ووالدته معهما ، وارتدى هو ملابسه على عجل ليذهب ويخطر البوليس . وصعدت الى الشرفة مرة أخرى لأبعث بزوجتي وأندريه الى شقة الرقيب أول مين ولكنهما خارج الشقة وقفا ليحدثا جارتنا السيدة فرانسيس اليوت بالقصة فطلبت أن نظل جميعا معها حيث أن زوجها وابنهما ليسا موجودين . ورحبت بالفكرة وانتقلنا ثلاثتنا عندها .. ولم يمض من الوقت الكثير حتى سمعنا وقع أقدام اتضح فيما بعد أنها للرقيب أول مين ولرجلين من رجال البوليس كان قد احضرهما معه . وروينا القصة كاملة للمرة السابعة وبعد القاء أسئلة على السيدة اليوت اخطراها بأنهما سيضعان رقابة على شقتها المقابلة مباشرة لشقتنا - طوال الليل واخطراها أيضا بترك نور الحمام مضيئا اذ أنه يرى من الشارع حتى اذا ما أحست بالخطورة يبقى عليها أن تطفيء النور لتكون علامة لتدخلهم المباشر .

واستسلمنا للراحة في شقة السيدة اليوت وكانت الساعة حوالي العاشرة . وفيما بين الساعة الحادية عشرة والنصف والثانية عشرة عند منتصف الليل سمعنا طرقا على باب شقتنا فنهضت مسرعا ومن ثقب الباب نظرت . ورايت عند باب شقتنا بافلوف رئيس البوليس السري السوفييتي وبصحبته روجوف وانجيلوف وكاتب شفرة بافلوف .. ويبدو ان الطرق أيقظ الرقيب أول مين إذ سمعته يسألهم عما يريدون ثم يجيب :

- ان أسرة جوزينكو ليست موجودة بالشقة .

وشكره بافلوف وهبطوا الدرج . وحين هممت بأن ابتعد عن الباب أوقفتني زوجتي ، وفجاة سمعنا وقع أقدام الاربعة الذين هبطوا يصعدون الدرج ثانية في هدوء ونظرت ثانية من ثقب الباب لأرى بافلوف وهو يستخدم عتلة (مخل) لفتح باب شقتنا عنوة وسرعان ما فتحوه ودلفوا الى الداخل .

اقتربت مني السيدة اليوت لتهمس :

- لقد أطفأت نور الحمام مرارا ولكن رجال البوليس لم يحضروا ماذا أفعل ؟

قلت لها :

- إتصلي هاتفيا بالبوليس .

وأمسكت الهاتف لتبلغ الشرطة أن هناك من يحاول السطو على الشقة المقابلة لشقتها (شقتنا بالطبع) .

وفي وقت جد قصير ظهر رجلا البوليس السابقان وفتحا باب شقتي دون أن يطرقا الباب ليجدا ٤ رجال يعبثون بأدراج مكتبي .

واسترقنا السمع وكان بافلوف يرد على البوليس بقوله :

- هذه الشقة لزميل لنا يعمل بالسفارة السوفيتية إسمه إغور جوزينكو وقد سافر الى مدينة تورنتو في مهمة وسمح لنا بأخذ مستندات ، تركها لنا هنا .

وقال رجل البوليس :

- وهل سمح لكم زميلكم هذا أيضا بكسر الباب ؟.

ولبرهة تسمر بافلوف ولم يستطع أن يرد ثم تمالك نفسه ليقول :

- كيف تجرؤ على التحدث معي بهذه اللهجة . كان لدينا مفتاح للشقة الا أننا فقدناه . وهذا القفل الذي كسرناه ملك للحكومة السوفيتية آمركما بترك هذه الشقة .

ولكن رجلي البوليس لم يبارحا وأصرا على انتظار مفتش المباحث وطلبا من الاربعة ابراز هوياتهم الشخصية .. وأخيرا جاء مفتش المباحث ماكدونالد وبعد التحري سمح للاربعة بالانصراف ..

في الرابعة صباحا سمعنا طرقا خفيفا على باب شقتنا وقبل ان نعرف الطارق قد ذهب .

وفي الصباح الباكر جاء الى شقة السيدة اليوت حيث قضينا الليل مفتش مباحث آخر من بوليس مدينة أوتاوا وأخطرنا بأن البوليس الكندي الملكي يود لقاءنا في مبنى وزارة العدل . وتنفست زوجتي «أنا» الصعداء .. ثم قالت لي :

- أخيرا يا إغور وجدت من يعطيك أذنا صاغية .

كان استقبالي هذه المرة بمبنى وزارة العدل يختلف كثيرا عن سابقيه فقد قوبلت هذه المرة بحفاوة ولمدة ٥ ساعات كاملة ظللت أجيب على أسئلتهم .

واهتموا كثيرا بالمستندات بعد ان استمعوا للترجمة .

وحين ابلغتهم بأن احدا لم يصدقني من قبل أجاب الضابط الممثل للنائب العام :

- «لم نهمل موضوعك تماما كما خيل اليك . ثم لاتنس انني وصديقي هنا قد جلسنا الساعات الطوال في الحديقة المقابلة لشقتك نراقب نافذتك بصورة دائمة» .

وحين عدت بزوجتي وابني لوزارة العدل مرة ثانية ظللنا لساعتين ننتظر ، ويبدو أن وزارة العدل ووزارة الشئون الخارجية كانتا تفكران فيما يجب فعله طوال هاتين الساعتين - وتمت استشارة ماكينزي كنج رئيس وزراء كندا واستقر الرأي على وضعي تحت الظل - والمراقبة لبضعة ايام حتى يتأكدوا مما اذا كنت منشقا حقيقة أم مجرد رجل مهووس يرعبه اللون الاحمر .

وأخيرا صدقوني ، وبقيت مشكلة كيفية أخفائي وزوجتي وابني خاصة وان زوجتي كانت حبلى .. وخشيت أن يراقب من يطالب برقبتي مستشفيات الولادة ووجدنا الحل في أن تمثل زوجتي دور بولندية مهاجرة برفقة زوج بولندي يتحدث بلغة انجليزية ضعيفة وأخذ دور الزوج احد رجال البوليس الكنديين وفي احدى مستشفيات الوردة وضعت زوجتي طفلة ، وبعد يومين من مولدها وقفت احدى الممرضات أمام سرير زوجتي وصاحت قائلة :

- هالو الا تذكريني لقد أشرفت على ولادتك السابقة في مدينة اوتاوا حين وضعت صبيا ..

وأصرت زوجتي على أنها بولندية ولم تشهد اوتاوا في حياتها ولم تصدق الممرضة حتى جاء رجل البوليس الذي كان يقوم بدور الزوج وهنا ايقنت الممرضة أنها لابد وأن تكون قد أخطأت .. وانتهى الموضوع بسلام ..

وظللت لأكثر من عشرين عاما متخفيا وان ظهرت في اكثر من ٢٠ قضية تجسس لادانة العملاء الكنديين الذين تضمنت اسماءهم الدوسيهات والمستندات التي حملتها من السفارة في يوم اربعاء ساخن مشبع بالرطوبة . كنت أحضر هذه القضايا في حراسة مشددة .

وبعد ، ما زلت أعيش في كندا متخفيا وعلى امل ان استطيع في يوم من الايام الخروج الى النور لاعايش الناس في الطرقات واشاركهم حياتهم الطبيعية انا وأسرتي .. بلا خوف .. ■

جاسوس القرن يعترف

في ربيع عام ١٩٤٦ كشف هروب المنشق ايغور جوزينكو الى الغرب عن معلومات قيمة حول نشاط المخابرات السوفييتية في حقل الذرة بكل من أمريكا وبريطانيا وكندا ، وبناء على ذلك بدات المخابرات في هذه الدول الثلاث البحث عن جواسيس الذرة مستفيدين مما ورد في وثائق وتصريحات المنشق جوزينكو .

في عام ١٩٤٩ كان المسئولون البريطانيون قد حصروا اسماء المشتبه فيهم من العلماء وورد من بين الأسماء القليلة اسم كلاوس فوكس وكان هذا الأخير قد ترك العمل في أمريكا ليلتحق بالمركز النووي البريطاني في هارويل ومنح منصبا عاليا كباحث فيزيائي . ووضعت المخابرات البريطانية عالم الفيزياء فوكس على رأس القائمة فقد كان لديها من الأدلة ما يوحي بالخيانة الا انها لم تكن تعرف أي حد قطع في هذا الطريق . كان لا بد من حسم الموضوع حتى يتقرر استمراره في عمله أو الاستغناء عنه أو محاكمته .

وكان الضابط الذي كلف بالتحري كما يحدثنا الكاتب المعروف الان مورهيد ضابطا غير عادي وقد نجح في كثير من حالات التقصى عن جواسيس سابقين والايقاع بهم .

ورغم احساس رجال المخابرات البريطانيين أن مجرد اشتباه فوكس في أنه مراقب قد يشجعه على اللجوء الى الاتحاد السوفييتي كما فعل غيره من الجواسيس أمثال جرينجلاس وسوبل وروزنبيرج وغيرهم الا أنهم كانوا على علم بمدى ارتباط الرجل بزملائه في العمل وحبه لعمله الجماعي المشترك معهم الأمر الذي قد يشجعه أكثر على البقاء ورأوا إستغلال هذا الضعف فيه بمحاولة جره الى الاعتراف مع اتباع الاسلوب الذي يتفق وطريقة تفكيره كعالم

وشعوره بالذنب على ما اقترف .

لاداء هذه المهمة كلف بها ضابط الأمن ذو الخبرة الطويلة ويليام سكاردون .

في منتصف شهر ديسمبر عام ١٩٤٩ تقرر استجواب فوكس مباشرة بحجة طلب كان قد تقدم به فوكس نفسة لتعيين والده في منصب بمدينة لاينبرج الألمانية التي كانت في ذلك الوقت (وما تزال) تحت سيطرة المعسكر الشيوعي - وأختير سكاردون للقيام بذلك .

في ٢١ ديسمبر ذهب سكاردون الى هارويل بناء على موعد سابق والتقى بالعالم فوكس وعرفه بنفسه وبدأ بتوجيه أسئلة روتينية لفوكس حول موضوع والده ورغبته في العمل بلاينبرج . ولساعة وربع ظل فوكس يتحدث عن عائلته بصراحة فائقة ، فقال إن لديه أختا تعيش في أمريكا وأخا في سويسرا وأنه في عام ١٩٣٢ صوت لصالح مرشح شيوعي الا أن حزبة الاشتراكي أبعده فانضم للمعسكر الشيوعي وذكر أول عائلة تعرف عليها عند حضوره الى انجلترا عام ١٩٣٣ وكيف ظل يعيش معها لاربع سنوات وذكر انه التحق في برستول بلجنة للدفاع عن الديمقراطية الأسبانية خلال الحرب الأهلية في أسبانيا ثم تحدث عن رحلته الى أمريكا عام ١٩٤٣ وزيارته لاخته هناك في عيد الميلاد ثم في الربيع .

وهنا قاطعه ضابط الأمن سكاردون بصورة مفاجئة متسائلا :

- *ألم تكن على صلة بمسئول سوفييتي او ممثل لهم وانت في نيويورك ؟ أولم تمدهم بمعلومات تتعلق بعملك في حقل الذرة ؟*

فغر فوكس فاه دهشة ثم ابتسم وقال :

- *لا أعتقد ذلك .*

ومضى سكاردون يسأله :

- *لدي معلومات دقيقة توضح اتصالك بالروس وتجسسك لصالحهم إبان تواجدك في نيويورك .*

وهز فوكس رأسه ثم راح يسأل بدوره سكاردون :

- *لا افهم ما ترمي اليه ، علك تستطيع ان تخبرني عما لديك من معلومات أو ادلة . فانا لم افعل شيئا من هذا القبيل ؟*

ولم ييأس سكاردون وراح يسأل :

- هل سمعت بالبروفسور هالبرين ؟
- نعم ، عن بعد . اذ كان يبعث لي ببعض الدوريات العلمية من كندا ولكني لم التق به رغم ذهابي مرة الى مونتريال (كندا) .

واستمر الحوار بين الرجلين لاربع ساعات عاد بعدها سكاردون الى لندن .

حقق اللقاء الأول بعض النجاح ولكن فوكس لم يقل مايكفي لاعتقاله بتهمة التجسس وقد عرف الآن وجهة نظر السلطات . ترى ماذا سيفعل ؟

اذا كان جاسوسا حقيقة فقد يفكر بعد أن كشف أمره في مغادرة انجلترا - او قد يفكر في الانتحار .

وكان من راي سكاردون أن فوكس يقاوم مشكلة أخلاقية تختلج في نفسه - ازمة ضمير - فاذا منح الوقت ومد له طوق النجاة فقد يتشبث به طمعا في الخلاص من تأنيب ضميره ويعترف ، وليس هناك من وسيلة غير الصبر .. ثم إنه بدون هذا الاعتراف لا يكون لدى السلطات البريطانية أية أدلة تدينه .

وانتظر سكاردون حتى ٣٠ ديسمبر ١٩٤٩ بعد احتفال فوكس بعيد ميلاده الثامن والثلاثين بيوم واحد ليغادر لندن الى هارويل . ووجد فوكس هادئا . ومرة اخرى واجهه بالاتهام ومرة أخرى أنكر فوكس .

في ١٠ يناير عام ١٩٥٠ تلقى فوكس رسالة رسمية من المسئولين يخطرونه بوجوب تقديم استقالته من هارويل اذا أراد الموافقة على سفر والده الى لا ينبرج مع امكانية التحاقه هو باحدى الجامعات .

في ١٣ يناير كان سكاردون في هارويل للقاء ثالث مع فوكس وبدأه الأول بالسؤال عن عنوان شقته التي كان يقطن بها في نيويورك قبل ٦ سنوات خلت (عـام ١٩٤٤) ومع الاستعانة بخريطة للمدينة الكبيرة تذكر فوكس أنه كان يعيش في شقة بشارع ٧٧ - غرب - بالقرب من الحديقة العامة المركزية .

وحين اخطره سكاردون بأن رجال الأمن يجرون بعض التحريات حول هذه الشقة ومسائل اخرى لم يبد فوكس اي اهتمام بالموضوع ثم عاد وأنكر كل التهم التي وجهت اليـه وصرح لسكـاردون قبـل نهاية اللقاء أنه سيضطر لمغادرة هارويل رغم تعلقه بها وسيلتحق بأحدى الجامعات اللندنية الا أنه يود ان يأخـذ اجـازة أولا . وهنـا قال له سكاردون أن المخابرات لا تسعى لتحطيمه ومن المستحسن أن يبوح بما فعل في نيويورك أيام الحرب ليريح ضميره وليواصل جهده في المركز النووي في هارويل وذهنه صاف خاصة وانه

رجل يصعب الاستغناء عنه ، وبمجرد معرفة أسرار هذه الحقبة يمكن تدبير عودة فوكس لمزاولة عمله الهام في هارويل .. ويغلق الملف .

وكان فوكس يعلم ان رجال الأمن لم يثبروا غور خيانته ولا عرفوا بطول الفترة التي ظل يقدم فيها خدماته للسوفييت . وقد راح يفكر :

- *هل اعترف بجرمي وهل يسمح لي بعدها بالبقاء في هارويل ، ولكن كيف اضمن لنفسي ان سمح لي بالبقاء ان اقطع صلتي كلية بالروس ؟*

وكما قال فوكس فيما بعد :

- *رحت اتساءل . اذا تركت هارويل فسيضار المركز النووي وستضار سمعة اصدقائي وزملائي .*

كان فوكس يفكر في مصلحة العمل ومصلحة زملائه ونسى أن ما قدمه للسوفييت قد يحيل الكرة الأرضية كلها الى دمار بما فيه هارويل وأصدقاءه - هذا لم يفكر فيه كان دائما يشغله ويتملكه وضعه الأخلاقي والشخصي .

الصائد والضحية :

بعد لقاء ١٣ يناير أحس سكاردون أنه اكتسب ثقة كلاوس فوكس وانه لن يقدم على اية خطوة دون استشارته وكان غريبا أن تنشأ هذه الصلة ، هذه الثقة ، بين الصائد والضحية ، وكان العنكبوت ينتظر في صبر سقوط الذبابة على الشبكة .

في يوم الأحد ٢٢ يناير إتصل فوكس هاتفيا برئيسه المباشر أرفولد الرجل الوحيد الذي كان على علم بلقاءاته بضابط الأمن سكاردون في هارويل . واتفقا على لقاء . واثناء تناول طعام الغداء تحدثا في السياسة بصفة عامة ثم قال فوكس لارنولد :

- *إني اعترض على الطريقة التي تطبق بها الشيوعية حاليا في روسيا ثم أضاف اود لو تحدد لي موعدا مع ضابط الأمن سكاردون - اذ لدى ماأود قوله له .*

في ٢٤ يناير تم اللقاء بين الرجلين ، العالم ورجل الأمن ولاحظ سكاردون بعد ١٠ أيام من آخر لقاء أن فوكس قد تغير تماما وراح الأخير يحدثه عن أيام شبابه الأولى حين كان يعمل مع المقاومة في برلين وعن والده الذي غادر الى

لاينبرج وعن أصدقائه في هارويل وحاجتهم اليه وبعد ساعتين من الحديث في الماضي والحاضر الذي سمعه سكاردون من قبل توقف فجاة ليقول له :

- *لن تجبرني على الحديث عن شيء لا اود البوح به .*

ورد سكاردون :

- *لا باس عليك دعنا نذهب لتناول طعام الغداء .*

ووافق فوكس واقترح الذهاب الى مدينة أبنجدون ، وأستقلا معا سيارة فوكس الرمادية اللون وانطلق يقود بصورة فيها الكثير من اللامبالاة وشبهة من تهور لا يناسبه ، الا أن الأمر برمته كان يعكس ما يختلج في نفسه من أحاسيس ومايدور في ذهنه من أفكار ، وعند باب فندق برنسبال توقفت السيارة ودلفا الى المطعم وانتبزا ركنا قصيرا وجلسا ياكلان ويتحدثان عن هارويل وفجاة تطرق سكاردون لموضوع بروفسور إسكنر وسبب ارتحاله عن هارويل ثم سأل فوكس :

- *من ترى سيحل محله أو تعرف ذلك ؟*

وحين أجاب فوكس بالنفي عاد سكاردون يتساءل في مكر :

- *أنت الرجل الثالث الآن في مركز هارويل النووي أليس كذلك ؟ أليس من المحتمل أن يعهد اليك بمنصب بروفسور إسكنر ؟*

أجاب فوكس :

- *يحتمل .*

وهنا هز سكاردون رأسه وراح يوحي له بأن هذه فرصته ليقفز للمركز الثاني في هارويل ولكن لا بد من الاعتراف لاسدال ستار على الماضي وفتح صفحة جديدة ..

وفجاة نهض فوكس واقفا وقال لرفيقه :

- *دعنا نعود من حيث أتينا الى هارويل .*

وقطعا مسافة الخمسة أميال في مدة طويلة وهما في طريق العودة وسار فوكس خلف عربة ثقيلة لم تكن سرعتها لتزيد عن العشرة أميال في الساعة .

كان يفكر ويفكر .. وبمجرد وصولهما الى هارويل أعلن فوكس لاسكاردون :

- أود أن أعترف .

ومضى فوكس ليقول إن ضميره لا يؤنبه على شيء ولكنه قلق على زملائه في هارويل وما قد يفكرون فيه بعد أن يعلموا بما فعل .

فوكس يعترف :

- متى بدات ؟

هكذا ساله سكاردون ليسوقه الى الحديث .

وأجاب فوكس :

- *بدات الحكاية كلها في منتصف عام ١٩٤٢ واستمرت الى ما قبل عام مضى (١٩٤٩) .*

هذه مدة طويلة - ٧ سنوات . هذه الفترة غطت كل مراحل اختراع وتفجير القنبلة الذرية . الفكرة والمشروع وهو يكتمل والتجربة الأولى . غطت سنوات تواجده في كل من انجلترا ونيويورك ولوس الاموس .

كانت تلك أول صدمة تلقاها سكاردون ، اذ تبين له أن الأمر ليس كما تصوروا مجرد تسريب لبعض المعلومات والأرقام هنا وهناك بل إنها الخيانة العظمى في أكبر حجم ولمدة جد طويلة .

والآن وقد بدا فوكس يذوق طعم الاعتراف ويحس بالراحة النفسية انطلق يدلي بحقائق لا تكاد تصدق .

كانت هناك لقاءات كثيرة مع مسئولين سوفييت وان لم تكن منتظمة أو بداية اللقاء بمبادرة منه شخصية فقد تحدث الى وسيط نظم له اللقاء الأول وبعده ولسبع سنوات ظلت اللقاءات تتم بصورة منتظمة وبناء على اتفاق سابق دائما .

في البداية اخطر فوكس الروس عن افكاره هو حول القنبلة الذرية كعالم ولكن مع مرور الزمن نقل اليهم كل ما عرف من اسرار نووية . وكان إتصاله يتم في بعض الأحيان مع مسئولين سوفييت مباشرة واحيانا عن طريق جنسيات اخرى وكان يحس بانه يحمل حياته بين يديه ، ولكنه كان قد استفاد من خبرته السابقة في العمل السري بالمانيا . تحدث فوكس عن لقاءاته في نيويورك وابان عمله في مركز لوس الاموس النووي ومؤخرا في لندن الا انه توقف منذ أن أخلف موعدا ضرب له في فبراير من عام ١٩٤٩ وبعدها لم يحاول الروس من جانبهم الاتصال به .

كانت كل المقابلات قصيرة يمد فيها الطرف الآخر بوثائق غاية في السرية

ويحدد معه موعدا للقاء قادم وفي بعض الأحيان كان يجيب على أسئلة توجه اليه من الطرف الآخر يحملها اليه من علماء أو فنيين في الحقل الذري .

ظل سكاردون ينصت في ذهول ثم سأل فوكس :

- *ماذا أعطيت الروس على وجه التحديد ؟*

وتلقى سكاردون الصدمة الثانية ! إذ قال له فوكس :

- *لقد أعطيت الروس سر صناعة القنبلة الذرية .*

الآن انكشفت الحقيقة المرة ولم يكن هناك أسوأ مما قيل . وأي فرصة بعد هذا الاعتراف لبقاء فوكس في هارويل قد أصبحت مستحيلة . المكان الوحيد الذي أصبح مناسبا للرجل هو السجن .

لم يبق الا استدراج فوكس ليقول كل ماعنده . وحاول سكاردون أن ينهي اللقاء مؤقتا ليتصل بالمسئولين ليتلقى أوامره ولكن فوكس كان يود أن يقول كل شيء ، مرة واحدة ، واستطرد فوكس يقول لمحدثه :

- *لم يكن باستطاعتي أن أفعل أكثر من اخطار الروس بأسس صناعة قنبلة ذرية . فعليهم كانت تقع مهمة انتاج معداتهم اللازمة لذلك ، وقد دهشت حين علمت في أغسطس الماضي (١٩٤٩) بأنهم استطاعوا أن يصنعوا قنبلة ذرية ويفجروها بنجاح - فقد كنت أعلم انهم متقدمون علميا ولكني لم أكن أعتقد أنهم بهذا المستوى من التقدم صناعيا وتجاريا حتى سمعت بالنبأ .*

وأضاف فوكس :

- *خلال العامين السابقين قل تدريجيا ما كنت أقدمه لهم وذلك لاني بدأت أشك في سلوكيات وأخلاقيات النظام ومع أني لا أزال أعتقد في الشيوعية إلا أن هذا النوع الموجود والمطبق حاليا يجب أن يحارب ..*

ومضى فوكس في اعترافه ليقول :

- *قررت أن أعيش في انجلترا . وأحب أن أوضح شيئا بالنسبة لاختي التي تعيش بأمريكا فهي لم تكن تعرف باتصالاتي مع السوفييت وان كانت قد لاحظت بعض غرابة في تصرفاتي فلا بد أنها عزتها لنشاطي السابق في العمل السري بالحزب الشيوعي الألماني .*

وقال فوكس إنه تطوع بمعلوماته ولم يتلق أي أجر عليها سوى هدية في حدود ١٠٠ جنيه استرليني قدمت له مرة واحدة كابداء لشعور طيب تجاهه من قبل الطرف الثاني .

وافترق سكاردون وفوكس على موعد للقاء في ٢٦ يناير ١٩٥٠ .

عاد سكاردون الى لندن ليحمل الى المسئولين تفاصيل أغرب اعتراف يدلي به جاسوس عن نفسه وبمحض ارادته . أما فوكس فقد كانت وصيته الى سكاردون أن ينهي الموضوع مع المسئولين على جناح السرعة حتى يعود هو الى عمله في هارويل ويفتح صفحة جديدة كان فوكس يبعد ألف ميل عن فهم خطورة الاعتراف الذي أدلى به .

٣ اختيارات :

في يوم ٢٦ يناير ١٩٥٠ التقى الرجلان في هارويل . ووضع ضابط الأمن سكاردون أمام فوكس ثلاثة اختيارات :

■ *ان يكتب الاعتراف الذي ادلى له به شفاهة بخط يده ، او أن يمليه على سكرتيره الخاص ، او يمليه عليه .*

واختار فوكس الأخيرة بدون أي تردد .

وأتفقا على أن يلتقيا في اليوم التالي في وزارة الحربية (الدفاع) البريطانية في لندن .

كان التفاهم بين الرجلين كاملا وقد سقطت الذبابة تماما في بيت العنكبوت .

وكانت تلك فرصة أمام فوكس ، أن يجلس بعد حوالي ثماني سنوات من الصمت الى رجل يثق فيه ليحدثه عن أسرار ظل يحتفظ بها طوال هذه السنوات لنفسه ، وليعود بعدها فيعيش حياة واحدة بدلا عن الحياة المزدوجة التي كان يحياها .. لكم تمنى أن يحدث ذلك ، وضربا موعدا للقاء جديد .

في ٢٧ يناير تم اللقاء في وزارة الحربية وحين سأل سكاردون فوكس عما اذا كان يود أن يعترف بارادته أجاب الأخير بأنه يود أن يفعل ذلك وجلس سكاردون وراح يكتب الاعتراف المثير وفوكس يملي عليه :

- *أنا المساعد الأول للمسئول العلمي بمركز أبحاث الطاقة النووية في هارويل ..*

هكذا بدأ الاعتراف . وأضاف فوكس :

- ولدت في رسلزهايم في ٢٩/١٢ عام ١٩١١ وكان والدي قسيسا بروتستانيا وكنت سعيدا في صباي وكان من تعاليم والدي التي تاثرت بها ان يفعل الواحد منا مايراه صحيحا حتى وان اختلف في الراي مع غيره .

وسجل فوكس اعترافه الذي تحدثنا عنه بالتفصيل موضحا كيف نقل للروس سر القنبلة الذرية .

وختم اعترافه بقوله :

- أعلم اني لاستطيع التراجع الآن عما فعلت واعلم ان كل ما استطيع فعله حاليا هو محاولة إصلاح ماسببته من ضرر واول الأشياء الاطمئنان الى ان هارويل لن تضار بسببي ويشغلني حاليا زملائي بالمركز النووي ولا استطيع ان افكر في شيء سواهم . واعلم ايضا ان على ان اذكر بالتفصيل كل ما قدمته للروس من معلومات وان افعل كل ما من شانه أن يوقف غيري ، ممن لا يزالون يمدون السوفييت بالمعلومات فانا حين بدات كنت اعتقد ان كل ماساخطر به الروس هو ان دول الغرب تعمل على انتاج قنبلة ذرية ومن ثم ركزت في البداية على نتاج عملي بصفة خاصة ، في هذا الحقل ، ولكن في لوس الاموس فعلت اسوا مايمكن فعله اذ قدمت للسوفييت اسس انموذج ومبادىء صناعة قنبلة البلاتونيوم . ومؤخرا في هارويل بدات اتحفظ فيما اقدمه من معلومات للروس وكان آخر وقت قدمت فيه للروس اسرارا شهر فبراير او مارس ١٩٤٩ . وقبل التحاقي بالعمل في مركز هارويل كان معظم من التقيت من الوسطاء البريطانيين من اليساريين وكانت لديهم نفس الفلسفة التي كنت اؤمن بها . ومنذ ان التحقت بمركز هارويل النووي التقيت بشتى صنوف البشر ووجدتهم مختلفي المشارب ولكنهم جميعا يعيشون حياة مستقيمة ورغدة في ذات الوقت» .

وبعد ، لقد قرا على اعترافي واقر بان ماجاء فيه هو الحقيقة .

- التوقيع كلاوس فوكس ..

وكان لدى كلاوس فوكس تحفظ تجاه سكاردون فقد رفض أن يملي عليه الأسرار الفنية لصناعة القنبلة الذرية والتي كان قد قدمها للروس وقال إن سكاردون ضابط امن فعلا ولكن ليس من المفروض ان يعرف هذه التفاصيل الفنية الدقيقة وقرر أن هذا الجزء من اعترافه سيدلي به الى شخص مختص مثل العالم مايكل بيرين الذي كان يعرفه منذ عام ١٩٤٢ .

واتفقا على تحديد موعد آخر وعاد فوكس الى هارويل ليزاول عمله كالمعتاد وبدون رقابة بوليسية قد تدفعه متى احس بها لمحاولة الهرب أو الانتحار .

بيرين يلتقي فوكس :

في ٣٠ يناير اخذ فوكس القطار الى لندن حيث التقى بالعالم بيرين . وقال فوكس في بداية اللقاء إنه تذكر الآن أن هناك عددا من العلماء يقدمون أسرارا في الذرة للروس حتى تاريخه ، ثم جلس ليحدث بيرين عن السنوات السبع العجاف التي مرت به موضحا من مذكرات كانت معه مواعيد اللقاءات السابقة وماقدمه في كل لقاء بداية من تقاريره التي كان يرفعها حين كان يعمل في بيرمنجهام عام ١٩٤٢ ثم في نيويورك حيث قدم للروس نظرية الانتشار الغازي ثم في سانتا في حين قدم أسس انتاج قنبلة البورتونيوم وأخيرا في هارويل حيث قدم تقريرا عن مدى تطور المشروع البريطاني النووي بعد الحرب العالمية الثانية .

استمر اللقاء لحوالي الساعتين ذهبا بعده لتناول طعام الغداء . ثم عادا وأكلاه في الرابعة من بعد الظهر .

افترق الرجلان وعاد فوكس مرة أخرى الى هارويل بينما عكف بيرين على مراجعة الأوراق والوثائق الكثيرة الخطيرة وطباعة تقريره على الآلة الكاتبة .

قرار إلقاء القبض :

الآن قد عرفت السلطات ما لم تكن تحلم بمعرفته وبقى اصدار قرار بإلقاء القبض على كلاوس فوكس لمحاكمته بتهمة الخيانة العظمى .

كانت الانتخابات على أشدها - وهي الانتخابات التي انتهت باعادة حزب العمال الى الحكم عام ١٩٥٠ بأغلبية ضئيلة وكانت الاجراءات القانونية معقدة .

كان لابد من احاطة رئيس وزراء بريطانيا آنذاك - المستر أتلي باعتراف كلاوس فوكس ثم كان لابد من الاتصال بالنائب العام السير هارتلي شوكروس الذي كان موجودا في شمال انجلترا وتم الاتصال به وعاد الى لندن وظل يقرأ

قضية فوكس في القطار ويعجب بينما كان رجال اسكتلنديارد - الفرع الخاص يبحثون عن صيغة مناسبة للتهمة التي توجه الى العميل كلاوس فوكس واستغرقت هذه الامور يومي ٣١ يناير وأول فبراير

في يوم ٢ فبراير بدأ التحرك وقرر رجال الامن عدم إلقاء القبض على فوكس في هارويل ومن ثم أخطر بيرين للاتصال به وتحديد موعد للقاء في لندن وقال بيرين لرجال الأمن

- *اذا كان لابد من إلقاء القبض على الرجل في مكتبي فاني أفضل أن أكون غائبا حين يتم ذلك*

في الساعة الثالثة والثلث من بعد ظهر يوم ٢ فبراير وصل فوكس الى مكتب بيرين وحالما قدمه الأخير الى ضابط البوليس الذي أوكل اليه أمر الاعتقال اعتذر ليغيب دقائق

في هذه اللحظات قرأ الضابط ليونارد بيرت على فوكس التهمة الموجهة وأخطره بأمر إلقاء القبض عليه لم يعلق فوكس إلا أنه طلب رؤية بيرين قبل أن ينصرف وحين واجهه بيرين قال له وفي الوجه حيرة مشوبة بدهشة

- *أنت تدري أثر هذا كله على هارويل أليس كذلك ؟*

سجل ضابط البوليس الملاحظة وأخذه ورفاقه الى نقطة بوليس شارع باو

السجن أم الاعدام ؟

في ختام محاكمة العميل كلاوس فوكس في أول مارس ١٩٥٠ قال القاضي لورد جودارد مخاطبا المتهم

- *إن أقصى عقوبة فرضها البرلمان على هذه الجريمة هي السجن لمدة ١٤ عاما وأنا احكم عليك بأقصى العقوبة ١٤ سنة سجنا*

في انجلترا لا تعتمد تهمة الخيانة العظمى التي يعاقب عليها بالاعدام إلا على الخائن الذي يقدم أسرارا للعدو .

كلاوس فوكس قدم أسرارا لحليف .

أثناء الحرب العالمية الثانية كانت روسيا حليفة للغرب ضد النازية والفاشية .. ■

الرجل الذي لم يكن

■ *من اساليب الخداع التي لجأ اليها الحلفاء في الحرب العالمية الثانية مد العـدو بالمعلومات عن قصد لتضليله عن هدف بعينه وتقديم هذه المعلومات إليه بصورة غير متوقعة وطريقة توحي له بأنها ضربة حظ ساقها القدر اليه . من اشهر هذه الأساليب الخداعية ماتبعه الحلفاء في عملية اطلق عليها في حينها إسم : «عملية لحم مفروم» .*

تم القيام بهذه العملية بافتعال حادثة بدت طبيعية للعدو ، ضربة حظ ، حصل العدو بموجبها على معلومات كان من المستحيل عليه ان يحصل عليها ..

في ربيع عام ١٩٤٣ قذفت الأمواج الى شواطىء أسبانيا بجثة ضابط بريطاني برتبة رائد سقطت طائرته في البحر الأبيض المتوسط وأغرقته الأمواج وكانت بالحقيبة الصغيرة التي وجدت بحوزته رسائل هامة من القيادة العامة في لندن موجهة الى الفيلد مارشال اليكسندر في تونس وكانت الرسائل الهامة تشير الى أن الحلفاء يخططون لغزو جنوب أوروبا من ساردينيا واليونان بدلا من صقلية .

التقط الجثة الملقاة على الشاطىء الاسبان كما كان متوقعا او مدبرا من الجهة التي أعدت خطة الخداع وحملت الأوراق الهامة التي وجدت بحوزة الرائد البريطاني مارتن الى السلطات الالمانية وتنقلت الى أعلى حتى وصلت في النهاية الى القيادة العسكرية العليا في المانيا النازية ، واخذت القيادة الأوراق بعد دراستها على محمل الجد وبدات تعد دفاعاتها على اساس ما ورد بالرسائل من خطط عسكرية ولم تقم القيادة الالمانية بذلك إلا بعد أن قتلت الموضوع بحثا وتقصت اوراق الرائد مارتن الثبوتية ..

والآن نعود لنقص الحكاية من أولها :

الحقيقة التي نود ايضاحها من البداية أن الرائد مارتن لم يكن في حقيقته سوى جثة لاحد الموتى المدنيين البريطانيين وقد حملت في درجة برودة عالية في صندوق «مثلج» بوساطة غواصة بريطانية الى نقطة - ما - قرب الشاطىء الاسباني ثم قذفت بها الغواصة لتطفو الجثة فوق الماء ومع حركة المد تندفع وتظهر على الساحل تماما .. والأوراق الثبوتية التي كانت في حوزة الجثة هي اوراق قام بتزويرها خبراء المخابرات البريطانية اما الرسائل العسكرية التي اريد لها أن تقع في ايدي قيادة الخلفاء كان لا بد وأن تتفق واستراتيجيتهم الحقيقية في الغزو عبر صقلية .

يقول اوين مونتاجو :

- منذ بداية الفكرة ومن أول محاولات جرت لوضعها موضع التنفيذ تحول الرائد مارتن من شخصية وهمية على الورق الى شخص حقيقي ليحس من يتفحص الجثة فيما بعد أن صاحبها شخص حقيقي يدعى الرائد مارتن وكلما بدا الشخص حقيقيا كانت القصة المختلقة اقرب إلى الصدق .

ويضيف أوين :

- كنت موقنا ان مسالة بهذه الاهمية لا بد وان تخضع لفحص دقيق من الالمان مع اهتمام بالتفاصيل لايجاد اي خطا مهما كان صغيرا قد يكشف عن سر «الغريق» وقد ثبت هذا بالفعل فيما بعد إذ علمنا من مخابراتنا لدى العدو انهم راجعوا كل شيء حتى تاريخ تذاكر السينما التي كانت في جيب سترة الغريق .

لقد قررنا ان يكون الرائد مارتن ضابطا المعيا ذكيا فطنا اكتسب ثقة رؤسائه ، ومع هذا فقد عمدنا الى ان تكون هناك بعض الاخطاء في سلوكه

كفقدانه لبطاقة اثبات شخصيته وعدم تجديده لجواز المرور الذي يسمح له بالدخـول الى غرف العمليـات الحـربية المشتركة في القيادة العامة . وبينا شخصية الرائد ماترن من خلال ما سيوجد بحوزته من اوراق ومستندات إذ أن هذه هي الطريقة الوحيدة التي تمكن الالمان من التعرف على شخصيته .

وقررنا أن يكون الرائد مارتن من محبي الحياة ومن ثم وضعنا في حوزته بطاقـة دعوة موجهة له لزيارة ناد ليلي ثم اوضحنا كيف ان إسرافه في طلب الملذات والانفاق عليها قد جعل حسابه في البنك تحت الخط الأحمر ومن ثم وضعنـا في جيبـه خطابـا من بنكه الخاص ينبهه لهذه الحقيقة ثم وضعنا إيصالا يوضح انه قضى اياما في احد اندية الخدمات الخاصة اثناء وجوده في لنـدن . وبدات شخصية الرائد مارتن تتضح وكانه شخص حقيقي ، ولكن كيف نـخرجه بالفعل للحياة ؟

الطريقـة الوحيدة لذلك كانت بوضع خطابات في جيب سترته توحي لمن يقراها بانه كاي ضابط آخر - من البشر - يتلقى خطابات خاصة من الأهل والاحباء ووجدنا ان انسب خطاب يمكن أن يحمله رجل معه ويعكس في ذات الوقت جانبـا من حيـاته الخاصة هو خطاب موجه من خطيبة ذلك الرجل تحدثه فيه عن فرحتها بالخطوبة وعن استعداداتهما المستقبلية التي تحدثا عنها قبل أن يفترقا والخاصة بالزواج . ومن ثم قررنا ان زواجا لا بد وان يتم تنظيمه بين الرائد بل مارتن واحدى الفتيات .

وهكذا التقى الرائد مارتن بفتاة جميلة تدعى بام في ابريل عام ١٩٤٣ وتقدم لخطبتها فأعطته صورة ليتذكرها بها والبسها هو خاتم الخطوبة وفي جعبته خطابان غراميان منها كتبت احدهما له في عطلة نهاية الاسبوع والثاني في عجلة من امرها وهي بالمكتب في غيبة رئيسها في العمل وفي الخطابين تبثه لوعتها بعد أن علمت بسفره المفاجيء لتكليفة بمهمة ما في الخارج . ولا بد من وضع إيصال خاتم الخطوبة غير المدفوع الثمن بجيبه ايضا مع خطاب آخر من والده المحافظ الذي يعبر له فيه عن عدم رضاه لمحاولة زواجه اثناء الحرب ويطلب منه في الخطاب كتابة وصية إذا كان مصراً على الزواج احسسنا بأن الخـطة هكـذا تبدو محكمة ولكن لمزيد من الاحكام كان لا بد من الاستعانة بالخبراء لكتابة هذه الخطابات ولتجنب الوقوع في اية اخطاء .

كانت بطاقة الدعوة لناد ليلي قد وصلت لاحدنا دون ذكر اسمه فوضعنا

عليها اسم الرائد بل مارتن . ولكن خطاب مدير البنك عن الحساب تطلب منا الاتصال بمدير بنك لويد . وحصلنا منه على خطاب بتاريخ ١٤ / ابريل يطالب فيه الرائد مارتن بدفع فرق الحساب والبالغ قدره ٧٩ جنيها استرلينيا و١٩ شلنــا وبنساً ووقع الخطاب بالفعل السيد وايتي جونز المدير العام لبنوك لويدز بعد أن طبع على الآلة الكاتبة بمكتبه شخصيا وارسل الخطاب بالبريد - بالاتفاق مع البنك - باسم الرائد بل مارتن بعنوان نادي ضباط الجيش والبحرية وكتب المسئول بالنادي لدى وصول الخطاب - أن الاسم المذكور غير معروف في هذا العنوان .*رجاء إرساله الى النادي العسكري البحري في بيكاديلي* ..

هذه الملحوظة التي كتبت على الخطاب جعلته يبدو أكثر اقناعا ومن ثم قررنا أن يضع الرائد مارتن هذا الخطاب داخل المظروف في جيبه

واتصـل أحـدنا بالنادي العسكري البحري واقنعهم باستخراج فاتورة بتاريخ ٢٤ ابريل باسم الرائد بل مارتن توحي بانه قضى الليالي بين ١٨ و٢٣ ابـريل بالنادي الأمر الذي يؤكد أيضا أن الرائد حتى تاريخ ٢٤ ابريل كان مايزال بلندن

كانت هناك صعوبة في استخراج فاتورة خاتم الخطوبة غير المدفوع الثمن واختـرت محـل مجـوهـرات بشارع بوند لعلمي أن المحل يتعامل في تجارة المجوهرات عالميا ولاحتمال أن تكون للمحل معاملات سابقة مع رجال أعمال في ألمانيا يمكن للسلطات هناك أن ترجع اليهم لمقارنة فاتورة الرائد مارتن بما لدى الآخـرين واقتنــع أصحاب المحل وتسلمت الفاتورة باسم الرائد بل مارتن تحمل تاريخ ١٩ ابريل (نيسان) مع اشارة الى أن الخاتم تم شراؤه بالفعل في ١٥ ابريل .

بالطبع لم نستطع أن نصارح من أخذنا من عندهم الخطابات والفواتير بالقصة الحقيقية ولكنا أخطرناهم أن الأمر يتعلق بمهمة سرية فحواها أن جاسوسا يترقب الضباط ليعرف من كان منهم معسراً لتجنيده لمصلحة دولة أجنبيـة ونحن نود أن نضع كل هذه الأوراق في غرفة ضابط نثق فيه حتى يقترب منه ذلك الجاسوس ونتمكن من مراقبة تصرفات الأخير .. هذه القصة أقنعت الجميع ولم يتحدث عنها أحد مخافة أن يكشف سراً

والآن وقـد جمعنــا المستندات والأوراق المطلوبة بقي تدبير أمر رسالتي

خطيبة الرائد بام وصورة لها . بالنسبة للصورة جمعنا صور العديد من الفتيات اللاتي كن يعملن معنا بالمخابرات واخترنا واحدة منهن وأخبرناها بالأمر فوافقت على استخدام صورتها ثم طلبنا من أخرى كتابة الخطابين أو تكليف من يكتبهما فقامت بتكليف صديقة لها ودعت بالفعل خطيبا لها ليقاتل بالخارج ولم تخبرنا باسم هذه الفتاة ولكنها كتبت رسالتين غراميتين رائعتين وبتوقيع الخطيبة بام وعلى الترويسة كتبت عنوانها - واخترنا أن يكون عنوانا انجليزيا صرفا : *«مانر - هاوس - أجبورن - سينت جورج - مارلبورو وتاريخ هذه الرسالة ١٨ ابريل»* ومكتوبة بأناة بينما الرسالة الثانية فيها طابع السرعة وكأن الخطيبة -- الموظفة - تخشى عودة رئيسها في العمل من تناول طعام افطاره ولا تود أن يراها وهي تكتب رسائل خاصة في المكتب وآخر سطور بدت بخط رديء وكأنها سمعت وقع أقدام رئيسها في العمل عائدا للمكتب ..

وهذه الرسالة بتاريخ ٢١ ابريل وتقول فيها ضمن ما تقول ان خاتم الخطوبة ما يزال يشد اعجابي وأنت تعرف مدى اعجابي بالماس أنظر إليه لا أكاد أتوقف عن النظر إليه وتختمه بقولها : *ها قد حضر «الكلب البوليسي»* تعني رئيسها*فوداعاً* .. والتوقيع ..*بام* ..

وكان الخطابان نموذجيين وبما أن الرائد مارتن لا بد وان يكون قد قرأهما مرارا كان لا بد من عمل شيء واكتشفت أن مجرد تطبيقهما عدة مرات سيكشف الأمر ومن ثم وضعت نفسي في محل الرائد مارتن وقرأتهما مرارا وأعدتهما أيضا بجيب سترتي مرارا ثم ضغطتهما على ملابسي ليبدوا قديمي عهد - لم يكتبا لتوهما .

خاتمة :

في يوم ٣ مايو تلقينا رسالة بالشفرة من ملحقنا البحري في مدريد مفادها : *ان جثة الرائد مارتن ، من البحرية البريطانية ، قد التقطتها السلطات الاسبانية عند الساحل في ٣٠ ابريل* ١٩٤٣ ..

ورتب الألمان خطتهم الدفاعية على ماحملته الجثة من خطط عسكرية وكانت هذه أحد عوامل هزيمة الألمان في الحرب العالمية الثانية من قبل الحلفاء ..

حقيقة الصاروخ المشاكس»

■ *إن إجراء الألمان لاختبارات على صواريخهم في بولندا خلال المرحلة الأخيرة من الحرب العالمية الثانية لتفادي اكتشافها داخل المانيا مكن المقاومة البولندية من مراقبة هذه الاختبارات والتشاور بشأنها مع المخابرات البريطانية التي كانت على صلة بالمقاومة .*

كانت التجربة الالمانية في بولندا تركز على الصاروخ أى - ٤ (A 4) وهو نموذج لصاروخ اطلق عليه الحلفاء ف - ٢ (V - 2) بلزنا (وبلزنا هي مدينة في بولندا) . وكان الجنرال دورنبيرجر هو المسئول عن التجارب الصاروخية . ومما يذكر أن مساعده في هذه العمليات الدكتور فيرنير فون براون - هاجر فيما بعد الى أميركا وأصبح أحد أشهر خبراء الصواريخ في أميركا .

في صيف يوليو الحار من عام ١٩٤٤ وبرغم ما أدخل من تحسينات في الصاروخ الالماني - أى - ٤ - فان كثيرا من نماذجه كانت تنطلق لتحترق تلقائيا في الجو قبل بلوغها الهدف المراد ضربه بحوالي الميلين .

واقترح دورنبيرجر على الدكتور فون براون ان يذهب الى جنوب بولندا ويقيم له هناك قيادة تكون بمثابة قاعدة لاجراء التجارب على الصواريخ ، قريبا من نقطة الهدف الحقيقي .

وفي أول تجربة للصاروخ في جنوب بولندا وقف دكتور فون براون في أحد الحقول ينظر الى ساعة توقيت انطلاق الصاروخ المثبتة على برج المراقبة عندما أنطلق صاروخ أي - ٤ من على بعد مئتي ياردة منه فقال :

«وطرت في الهواء من قوة الانفجار وكانت معجزة أن راس الصاروخ المتفجر لم يحلني الى رماد» .

كان الصاروخ قد تحسن من ناحية الدقة في التصويب ولكن فون براون وطاقمه لم يكونوا الوحيدين الذين يراقبون تحسنه وتطوره عن قرب كانت هناك أيضا المقاومة البولندية . ومنذ أن أبلغ البولنديون عن تجربة الصاروخ في جنوب بولندا بدأوا ينفذون تعليمات المخابرات البريطانية لمعرفة كل ما كان يدور في المنطقة . وكانت المعلومات التي نقلتها المقاومة البولندية للمخابرات البريطانية ذات قيمة وخاصة تلك المتعلقة بتجربة القنبلة الطائرة - ف - ١ - في بلزنا مع الصاروخ أى - ٤ - ولكن رغبة المخابرات الملحة في الحصول على نموذج صاروخ طويل المدى أو اختطاف خبير صواريخ الماني أو حتى الحصول على اجزاء من صاروخ متفجر كانت بعيدة المنال ولم تكن المقاومة البولندية بقادرة على تحقيقها . كانت المقاومة تنقصها الأسلحة وسرعة الحركة . فالرجال الاكفاء الذين هربوا من معتقلات الأسرى الألمانية أو من معسكرات العمل الاجباري كانوا قلة . وحتى هذه

القلة لم تكن بكليتها مشاركة في «العاصفة» - الحملة الوطنية التي شكلتها حكومة بولندا في المنفى - بلندن - في مواجهة زحف الجيش الأحمر على شرق بولندا . مع ذلك فإن بعض وحدات المقاومة البولندية كانت تقوم بدوريات في جنوب بولندا حيث كان الألمان يركزون على تجاربهم الصاروخية وينقلون ملاحظاتهم وما يرويه لهم الفلاحون الى المخابرات وكانت المقاومة على علم بكل تفجير صاروخي يحدث ولكنها لم تكن لتنافس الدوريات الألمانية التي كانت تصل بعد كل تفجير لتجمع البقايا ثم تنطلق بسياراتها عائدة . وظلت المقاومة البولندية لأشهر تقوم بمهمة المراقب فحسب ذلك لأنها لم تكن تملك الأسلحة لتتصدى للدوريات الألمانية .

وحدث في أحد الأيام أن سقط أحد الصواريخ عند شاطىء نهر «بق» قرب قرية سارناكي في منطقة وارسو ولم ينفجر رأس الصاروخ وأرسلت وحدة ألمانية لالتقاطه وصادف أن كانت هناك وحدة من المقاومة قريبة من المكان فسبقت الوحدة الالمانية اليه ورأى البولنديون الصاروخ بكامل هيئته لم ينفجر ولكن لم تكن لديهم الوسيلة ولا الوقت الكافي لأخذه قبل وصول الالمان وكانت تلك أكثر لحظة محرجة بالنسبة لهم منذ أن بدأوا يراقبون هذه التجارب في يناير من عام ١٩٤٤ . وخطرت لاحد البولنديين فكرة وسرعان ما تم تنفيذها حين قام ٢٠ من رجال المقاومة بدحرجة الصاروخ ألى داخل مياه نهر - بق - الضحلة . وبقيت مشكلة فالصاروخ يمكن رؤيته عبر مياه النهر الصافية وهنا قام البولنديون بإحضار قطيع من الابقار من مزرعة مجاورة وانزلوه الى النهر وحين جاءت فرقة البحث الالمانية لم تر في النهر سوى قطيعا من البقر يروى ظمأه من النهر الجاري وكانت الابقار قد عكرت صفاء الماء وحولته من زرقته الصافية الى اللون الطيني البني . وأنطلق الالمان لجهة أخرى يبحثون عن صاروخهم الضائع . وعاد رجال المقاومة البولندية في المساء بأدواتهم ولورياتهم وعدد من المهندسين العاملين بالمقاومة وأخرجوا الصاروخ من الماء وأعملوا فيه أدواتهم لتفكيكه مستعينين باضواء المشاعل تحت أغطية جلبوها لهذه الغاية . وكان الراس غير المتفجر يمثل مشكلة عويصة اذ كانت الراس تحتوي على عشرة أطنان من مادة الاماتول (AMATOL) شديدة الانفجار ومع هذا ظلوا يعملون وهم يعلمون أن أقل خطأ سيودي بحياة الجميع - وعند الفجر تحركت اللوريات الثلاثة محملة

بالشحنة الخطيرة التي لا تقدر قيمتها بثمن .

تم الاتصال اللاسلكي بالمخابرات البريطانية واخطرت بأن المقاومة لديها صاروخ ألماني طويل المدى وفي حالة جيدة . وجاء رد المخابرات البريطانية : *«نود نقل الصاروخ الى انجلترا بأي ثمن»* .. ولكن كيف يمكن نقل صاروخ زنة ١٢ طن ، بطول ٤٦ قدما من بولندا المحتلة الى مؤسسة الطيران البريطانية الملكية في فارنبورج ؟ جاءت الفكرة هذه المرة من بريطانيا . وأبرقت المخابرات الى المقاومة بخطة لنقل الصاروخ تنبأت لها بالنجاح اذا ما توافرت العوامل المطلوبة .

وجاء في الخطة البريطانية أن قاعدة القوات الجوية الملكية الموجودة في برنديسي بإيطاليا لا تبعد أكثر من ٦٠٠ ميل طيران وكانت القوات الجوية الملكية قد بعثت قاذفة قنابل بريطانية محملة بالمؤن وبالاسلحة للمقاومة لتهبط في احد المطارات الألمانية المهجورة في بولندا . وحين هبطت القاذفة فرغت في بحر ١٠ دقائق من حمولتها وعادت الى برنديسي دون أن تلفت نظر القوات الجوية .

هذا المطار المهجور الذي يطلق عليه البولنديون الاسم «الحركي» - موتيل وتعني بالبولندية الفراشة اختارته المخابرات البريطانية ليكون نقطة تجمع الصاروخ المخطوف بعيد المدى واخطرت لندن المقاومة البولندية بأن تحميل القاذفة بالصاروخ الألماني في مدة أقصاها عشرون دقيقة حتى لا تلفت نظر الالمان إذ من المؤكد أن أية حركة تدوم أكثر من ٢٠ دقيقة ستثير شك القوات الالمانية .

ووافقت المقاومة البولندية على هذا الشرط ولكنها عجبت من كيفية نقله الى داخل الطائرة أيا كان حجمها ولكن الخطة البريطانية لم تكن تدعو لنقل الصاروخ كاملا ومن ثم عادت لندن لتبرق المقاومة بأن الأجزاء الضرورية في الصاروخ هي التي سيتم نقلها وبعثت برسومات فنية توضح المطلوب . ولهذا ظل الاتصال جاريا على امتداد ثلاثة اسابيع وضع خلالها مهندس ومصمم طائرات بولندي من المقاومة يدعى كوجان رسومات للاجزاء الهامة وقام بقية المهندسين باختبارها ووضعها داخل صناديق معدة للشحن .

في صباح ٢٥ يوليو ١٩٤٤ اتصلت المخابرات البريطانية بالمقاومة عن طريق الراديو أن ساعة الصفر لحمل الشحنة المعدة مساء هذا اليوم .

واستغل البولنديون هطول أمطار كثيفة وأخذوا الصناديق المحملة بأجزاء من الصاروخ الالماني بعيد المدى الى مكان قريب من مطار «الفراشة» المهجور وصحب الشحنة ٤٠٠ مقاتل مسلحين ببنادق قديمة الصنع وتمركزوا في الغابات المحيطة بالمطار وكان رجال المقاومة على علم بأن قوة ألمانية تابعة للقوات الجوية الالمانية قوامها ٤٠٠ رجل متمركزة في قاعدة تبعد ميلا واحدا من المطار وأن سربا من الفرسان قد اتخذ مقرا له في قرية تبعد حوالي الميلين عن المطار المهجور .

في الساعة الرابعة والنصف من بعد ظهر نفس اليوم توقف هطول الامطار ودهش رجال المقاومة حين أبصروا مقاتلة ألمانية تهبط فجأة في المطار المهجور وبعد خمس دقائق هبطت مقاتلة ألمانية أخرى وبدا لهم أن خطتهم قد كشفت وزاد من حيرتهم وخوفهم رسالة من لندن تفيدهم أن طائرة داكوتا تابعة لسلاح الجو البريطاني الملكي في طريقها الى المطار المهجور - قادمة من برنديسي .

توقفت الطائرتان المقاتلتان الالمانيتان حتى غروب الشمس ثم طارتا فجأة وتباعا كما هبطتا وتنفس رجال المقاومة الصعداء وأدركوا أن الطائرتين كانتا في حالة طيران تدريبي روتيني .

كانت أمسية صيف ٢٥ يوليو هادئة لايقطع هدوءها إلا أصوات المدافع الروسية البعيدة وهي تشن هجوم يوليو الروسي على شرق بولندا .

وعند منتصف الليل سمع البولنديون أصوات طائرة قادمة تجاههم واندفعوا الى ممر المطار المهجور وأضاءوا المشاعل لتسهيل مهمة هبوط القاذفة القادمة من برنديسي ووضعوا سهما من الانوار الحمراء لتحديد اتجاه الرياح وهبطت طائرة الداكوتا بسلام وصعد على ظهرها المهندس كوجان مع مائة وعشرة من الارطال هي زنة أجزاء الصاروخ الالماني وقد حمل معه التصاميم والرسومات الفنية .

أخذت عملية الشحن بكاملها ١٠ دقائق لم تتوقف محركات الطائرة خلالها ولكن الطائرة حين همت بالسير على الممر تمهيدا للتحليق لم تستطع إذ غاصت إطارات الطائرة في سطح المطار الذي بللته الامطار وحاول الطيار مرة ثانية وانتهت فترة العشرين دقيقة المحددة والطائرة ما تزال قابعة في الوحل تئن بلا جدوى وتكررت المحاولات ومضت ساعة كاملة اقترح بعدها الطيار تفريغ

اجزاء الصاروخ واخفاء الصناديق في الغابة المجاورة وحرق طائرة الداكوتا ولكن البولنديين رفضوا الاقتراح وهرولوا للقرية المجاورة وعادوا بمعاول وادوات ومواد وحفروا خندقا متدرجا في الممر أمام الداكوتا وملأوا الخندق الضحل بالقش والتبن والألواح الخشبية . وبعد ساعة ونصف من هبوطها تحركت الداكوتا الى الامام في بطء ثم زادت من سرعتها وما لبثت ان ضاعفت السرعة وحلقت فوق رءوس الاشجار بينما ذاب رجال المقاومة بعد أن اطمأنوا لتحليقها في الغابة . ومن عجب ان الالمان لم يحركوا ساكنا إما لأنهم لم يريدوا الدخول في اشتباك ليلي مع المقاومة لمجرد تواجدهم في مطار مهجور وإما لأنهم كانوا في تعب من تدريباتهم الشاقة اثناء النهار ولم يحسوا بشيء .. كما أن الداكوتا لم تتعرض لأي هجوم او مطاردة جوية حتى القت بثقلها في مطار برنديسي ومنها حملت الشحنة طائرة أخرى الى انجلترا .

وبما ان المهندس كوجان أول فني في جانب الحلفاء كان يعرف عن تركيب الصاروخ الالماني قبل وبعد فك أجزائه ومن ثم درسه عن قرب فقد انهالت عليه الاسئلة وظل يجيب عليها لاسبوع كامل في مؤسسة الطيران الملكية البريطانية في فارنبورج . وقد طلب من كوجان البقاء في بريطانيا ولكنه أصر على العودة الى بولندا ليزاول نشاطه ضمن رجال المقاومة وقد كتب ونستون تشرشل بعد الحرب :

«الرجل الشجاع كوجان أبى إلا أن يعود الى بولندا وقد القى عليه الجستابو القبض فيما بعد واعدم في وارسو في ١٣ اغسطس عام ١٩٤٤» ..

وكان للمعلومات التي امد كوجان بها المخابرات البريطانية الفضل في التعرف على الصاروخ الالماني وما كان متوقعا منه قبل نهاية أغسطس عام ١٩٤٤ واطلق البريطانيون على الصاروخ الالماني اسما حركيا تمهيدا لتحطيمه .. كان الاسم «بق - بن» الساعة البريطانية المشهورة .. لعلهم ارادوا بذلك ان يتذكروا أن كل مرة يلتقي فيها عقربا الساعة تدق «بق بن» معلنة مرور ساعة ، ومع كل ساعة يقترب الصاروخ بعيد المدى من الانطلاق لضرب الاهداف العسكرية والاقتصادية للحلفاء .. وكان لابد من وضع حد - اى - ٤ - بق بن .

وقد حدث .. وكان هذا احد عوامل انتصار الحلفاء .. على دول المحور في الحرب العالمية الثانية . ■

الاوركسترا ROTE KAPELLE
الحمراء

■ عرفت كل من الاستخبارات العسكرية الالمانية ABWEHR والجستابو بوجود شبكة جاسوسية سوفييتية في اوروبا الغربية بعد حصول الجهازين الالمانيين من خلال عملائهما على حوالي ٥٠٠ رسالة منقولة بالشيفرة في عام ١٩٤١ . كانت رموز الشيفرة غامضة بدرجة مذهلة ولم يستطع افضل الخبراء الالمان في هذا المضمار فك طلاسم هذه البرقيات اللاسلكية وشهد العملاء الالمان لعبقرية كبر وحجم وتطور الاجهزة السوفييتية التي تستخدمها شبكة الجاسوسية المزروعة في قلب اوروبا .

كان الاسم الرمزي الذي اطلقه السوفييت على جهاز الارسال ذى الموجة القصيرة «صندوق الموسيقى» واطلقوا على موظف اللاسلكي «الموسيقار» ولهذا اطلق الالمان على هذه العملية اسم Rote Kapelle اي الاوركسترا الحمراء .

وكان الالمان يشبهون شبكة التجسس السوفيتية الغامضة بمجموعة من

العازفين المقتدرين الذين يعملون تحت قيادة قائد فرقة موسيقية موهوب .

في برلين كاد مدراء البوليس ورجال الاستخبارات أن يفقدوا أعصابهم . وكانوا يحسون بأن الروس يمتهنون كرامتهم حين يبثون على مسامعهم رسائل ينقلها المذياع موجهة لعملاء روسيا في داخل المانيا تحمل بين طياتها أسرارا حربية المانية ولا يستطيع فك طلاسمها سوى العملاء أنفسهم .

وظل الألمان لفترة طويلة يحاولون معرفة مقر هذه الشبكة دون جدوى فقد كانت معدات تعقب البث وتحديد الاتجاه عندهم ما تزال غير دقيقة وبطيئة وأثناء ذلك تكونت وتراكمت لدى الالمان رسائل لا حصر لها في مكاتب التصنت بالاستخبارات العسكرية وغيرها من المكاتب وكلها طلاسم لا تقرأ .

وفي خريف عام ١٩٤١ نتيجة لبحث طويل وتحقيقات متواصلة استطاع مكتب التصنت أن يتوصل الى معلومة هامة مفادها أن جهاز الارسال الرئيسي موجود بالغرب وعلى وجه التحديد في بلجيكا . وبعث الالمان بعض ضباط من الاستخبارات العسكرية الى بروكسل ، وكانت برلين العاصمة غاضبة كما يروي هاينرتش هوفمان أحد رجال الاستخبارات العسكرية الالمانية :

كان يصل في كل يوم عدد من الضباط الى بروكسل لحثنا على مواصلة البحث . ولكن دون جدوى وقد أضعنا وقتا كبيرا حتى استطعنا التغلغل في أوساط الحزب الشيوعي البلجيكي وكانت النتيجة تخوف أعضاء الحزب منا دون وصولنا لأية نتيجة . وبدأنا نبحث في العديد من المدن البلجيكية الاخرى ولم نصل ايضا الى شيء يذكر ، ثم أرسلنا عملاءنا ليختلطوا بالناس في المقاهي والمنتديات ولم نكن نعرف في حينها أن عملاء السوفييت كانوا يلتقون في المنتزهات العامة والمحلات التجارية بل وعند (...) العامة وفي كل مكان إلا في المقاهي .

وفي هذه الاثناء والبحث على اشده بدأ جهاز كشف الاتجاه يحقق بعض النجاح واكتشفنا ان جهاز الارسال السوفييتي يعمل لفترة ٥ ساعات كل مساء وكانت تلك غلطة خطيرة ارتكبوها ، وبدأنا عملية البحث عن مصدر البث من منتصف الليل الى الخامسة صباحا والتركيز على خمس ساعات جعل عملنا سهلا في التتبع ، وجاء خبير ذو مستوى رفيع من برلين واستطاع مما حصلنا عليه من معلومات ان يحدد ٣ منازل رحنا نضيق عليها الرقابة .

وفي مساء ١٣ ديسمبر عام ١٩٤١ قررنا مهاجمة المنازل المذكورة ومن ثم

هاجمت ثلاث مجموعات من رجال الجيش والبوليس المنازل الثلاثة في وقت واحـد ووجـدوا محطة الارسال السوفيتية ذات الموجة القصيرة في الطابق الثاني لأحد هذه المنازل . واعتقلوا المدعو ميخائيل ماكاروف ، وريتا أرنولد ، وآنا فيرلندين ووجدوا في مخبأ مجاور مجموعة وثائق مزيفة وحبرا سريا رفيع المستوى ومحايات .. الخ . ويبدو ان العملاء السوفييت قبل القاء القبض عليهم استطاعوا حرق كتاب فك الشيفرة .

ومن العجيب ان واحـدا من اكبـر العمـلاء السوفييت ويدعى «الرئيس المتشامخ» دخل الى هذا المنزل في ساعة تفتيشه فأطلق سراحه ، فخرج مسرعا واستطاع ان يحذر بقية العملاء السوفييت في بلجيكا .

وعند التحقيق مع المقبوض عليهم رفض ماكاروف ان يعترف وانتحرت آنا فيرلنـدين امـا ريتـا ارنولد فقد حاولت أن تنقذ حياتها بالموافقة على الادلاء ببعض المعلومات وأعطت اسماء بعض العملاء السوفييت كما وأنها عرضت على رجـال الاستخبـارات الألمـان صورة للرئيس المتشـامخ . ونتيجة لهذه المعلومات التي قدمتها سمح لها بالعيش في أحد الفنادق بدلا من حبسها في احد السجون النازية ، ولكن بعد اشهر وبعد ان حصلوا على كل ما استطاعت ان تقدمه لهم من معلومات اعدموها . وكانت ريتا أول عميلة روسية تعمل للألمان ضد السوفييت ثم تبعها آخرون على هذا الطريق . غير أن ما قدمته من معلومات لم يكف للكشف عن تفاصيل جهاز التجسس السوفييتي فقد كان السوفييت يقسمون عملاءهم الى مجموعات كل مجموعة لاتعرف عن الأخرى شيئا . وريتا كانت تعرف ما هي واجباتها كعميلة والرجال الذين تعمل معهم وبعض العناوين المتعلقة بعملها فحسب . وظل رجال الاستخبارات الالمانية فيما عدا ما افشت به ريتا لايعرفون شيئا . ظلوا في الظلام .

بين الركام الذي وجده الالمان بالمنزل المشار اليه وجد رجال الاستخبارات العسكـريـة بعض قصاصات من الورق عليها بعض ارقام وحروف غامضة وإتضـح منها ان المجموعة المقبوض عليها كانت تقوم بعمليات الشيفرة . ولأكثـر من ٦ اسابيع ظل الخبراء الالمان من المتخصصين في فك الشيفرات الروسية يعملون ذهنهم في هذه الوريقات ولم يخرجوا من كل هذا الجهد الا باسم واحد : «بروكتر» وكانوا قد استجوبوا ريتا قبل اعدامها مرة اخرى عن عناوين الكتب التي وجدت داخل الادراج وفوق الارفف فقالت بان هذه الكتب

قد اشتروها من احدى المكتبات .

كان احـد هذه الكتب يحمل الاسم «بروكتر» واتضح للخبراء ان في هذا الكتـاب سر الشيفرة الروسية وقبل أن ينتهوا من فك طلاسمه في ربيع عام ١٩٤٢ كان السـوفييت قد غيروا الشيفـرة القـديمة وعاد الالمان مرة أخرى يبحثون عن مخرج جديد لفك طلاسم الرسائل السرية الجديدة .

كان السـوفييت قد سدوا الثغرة التي احدثها الالمان في جهاز تجسسهم بالغـرب ، فبعـد هروب تربـر وسـوكولوف تولى الجهاز الجديد قسطنطين يغريموف . وكان هذا الاخير ضابطا روسيا أشقر وسيم الطلعة يبدو اصغر من سنه (٢٨ عاما) ، وكان مخلصا لبلاده متعلقا بوالديه وزوجته - مهندسة القـطارات الحديدية . وكان أهم رفاقه في شبكة الجاسوسية المدعو جوهان ونتزل الملقب بـ «البروفسور» وهو المسئول عن جهاز الارسال في هذه الوحدة وفي المقابل تحركت الاستخبارات الالمانية بدورها لتبحث عن المقر الجديد .

وبعد بحث ألماني مضن استطاع الالمان اكتشاف مقر جوهان ونتزل والقى القبض عليه في ٣٠ يونيو عام ١٩٤٢ ورفض ونتزل التعاون مع الالمان ، ولكن حين عرضـوا عليـه الملف الخـاص بنشـاطاتـه السـابقـة المعـروفـة لدى الاستخبارات الالمانية وخيروه بين التعاون او الموت إختار التعاون . وادلى بتصريحات شملت رؤساءه وزملاءه في المهنة ، كما كشف عن الشيفرة وتنظيم الجهاز السوفييتي للتجسس بكامله . وبما أنه كان عميلاً روسيا لفترة طويلة وفي منصب كبير فقد وجد الالمان في معلوماته فائدة لاتقدر بثمن .

وكشف جوهـان ونتزل «البروفسور» فيما كشف أسرار الشيفرة الجديدة المستخدمة وأصبحت مهمة الاستخبارات والجستابو بفضل اعترافاته أكثر من سهلة .

واستطاع الالمان بأجهزة التصنت التقاط العديد من الرسائل السوفيتية المـوجهـة لعمـلائهم في الغـرب وفك رموزها بما لديهم من مفاتيح للشيفرة الروسية أهداهم إياها - باعترافه - البروفسور الجاسوس .

ومن الرسائل الموجهة استطاعت الاستخبارات أيضا اكتشاف وجود جهاز للجاسوسية في برلين - العاصمة - مما سهل فيما بعد اعتقال مجموعة كان يرأسها الملازم أول هارو شولتز (بالقوات الجوية) وغيره .

وفتـح اعتـراف البـروفسـور أبـواب الفيضان ومنذ ذلك الحين وجهت الاستخبارات الغربية ضرباتها المتوالية الى شبكة «الاوركسترا الحمراء» من برلين الى باريس .

ومع اعتقال كل مجموعة يجد الالمان من يتعاون معهم خوفا أو طمعا ويقدم لهم أسماء جديدة .

ومن بين العملاء الذين وجهت اليهم الاتهامات خبير مجموعة بروكسل في تزييف الوثائق المدعو : ابراهام رايشمان ولكن البوليس لم يستطع أن يثبت عليه اية تهمة .

وكان ابراهام قد جند احد رجال البوليس في بروكسل - وهو المفتش مايثو - ذو الاصل الالماني فكان يمده بما يشاء من جوازات سفر موقعة ومختومة من البوليس .

في يوليو ١٩٤٢ احضر رايشمان الى المفتش مايثو صورة للعميل الروسي قسطنطين يغريموف رئيس جهاز شبكة التجسس الروسية في بلجيكا الذي كان في حاجة الى جواز سفر بلجيكي . وفي ٣٠ يوليو ١٩٤٢ القى القبض على قسـطنـطين وهـو يتسلم جواز السفر المزيف من مايثو . ورفض قسطنطين الروسي التعـاون مع رجـال الاستخبارات ولكنهم حين عرفوا بحبه لوالديه وتعلقـه بزوجتـه هددوه بأن يتصلوا بهم في روسيـا عن طريق عملاء المان ويحدثونهم عن خيانته لرفيقه ونتزل البرفسور ومع انه لم يكن قد خان رفيقه الا انـه تخـوف من ذلك وبدات مقاومته تضعف حتى تمكنوا منه واصبح متعـاونـا من الدرجـة الاولى . وكـان من بين الاسرار المهمـة التي وردت في اعتـرافـاتـه أن خلفه في رئاسة شبكة التجسس في بلجيكا سيكون العميل الروسي انتون دانيلوف - رفيقه الروسي الجنسية الذي تقرر سلفا ان يحل محله في حالة القبض عليـه .. وهـكـذا استـطاعت الاستخبارات العسكرية الالمـانيـة بمسـاعدة الجستابو الالماني القبض على اهم شبكات التجسس الروسية في الغرب واستخدام رجالها كمتعاونين ضد من أرسلوهم في البداية .

■■■

ومن عجب أن المانيا الاتحادية ما تزال حتى كتابة هذه السطور وبعد ٤٢ عامـا تكتشف بين صفـوفهـا عمـلاء للسوفييت .. وليست اسباب استقالة المستشار الالماني السابق ويلي براندت ببعيدة عن الأذهان ■

الكهان والقساوسة

■ *كان الكاثوليك يأملون خيرا في ظل حكم الملك جيمس الأول ملك بريطانيا بعد أن سمح لبعض المنفيين منهم بالعودة من الخارج ولكن استبقاء الملك لوزيره الأول روبرت سيسل ، والاحتفاظ له بادارة الخدمة السرية ورصد ميزانية لها مع انتشار التشكيك وانعدام الثقة في مذهبهم الكاثوليكي ، جعلهم يفكرون في التخطيط للخلاص من الملك ، غير أن الخلافات فيما بين المؤسسات والمنظمات الكاثوليكية نفسها دفعتها الى كشف مخططات بعضها لبعض .*

أحد هذه المخططات مولها السفير الفلمنكي بنصف مليون كراون (أي بمليونين ونصف مليون شلن انجليزي) لمفاجأة صاحب الجلالة ولكنها فشلت كغيرها .

وشـكـا إليـه ما يقـوم به القسـاوسـة من مؤامـرات مع استثارة للفتن في مواعظهم الدينية ...



وتحدث روبرت سيسل الى السفير الفينيسي وشكا اليه ما يقوم به القساوسة من مؤامرات مع استثارة للفتن في مواعظهم الدينية وأضاف :

«*نحن نراقبهم وسنسلط المزيد من العيون لمراقبتهم*» .

كما طلب سيسل من عملائه في الخارج مراقبة الكاثوليك المنفيين وراح يراقب ما يبعثون به من رسائل الى داخل انجلترا . ولم يلق القبض على عدد كبير منهم وفضل ابقاء من تحوم حولهم الشبهات تحت المراقبة ، ولكن سيسل أخطأ فيما يتعلق باثنين من عملائه .

مؤامرة بارود البنادق :

عين روبرت سيسل توماس جيلبس مديرا للجمارك في ميناء لندن تقديرا لخدماته بعد أن تقاعد الأخير من وظيفته السابقة كخبير للشفرة ولم يكن في هذا الأمر خروج على العادة فقد تم تعيين نيكولاس بيردن ، العميل السابق ، بعد تقاعده متعهدا لتوريد دواجن المطابخ الملكية .

بعد اكتمال تعيين فيلبس ظل يستضيف رفاقه القدامى في الخدمة السرية ببيته الجديد عند الميناء . وما لبث أن كتب الى سيسل يطلب اعادة تجنيده في الخدمة السرية كعميل وقوبل طلبه بالرفض الا أن العجوز المتقاعد استطاع من خلال لقاءاته وأحاديثه في وسطه الجديد أن يشتم رائحة مؤامرة جديدة تحاك في الظلام ضد الملك وبدأ يعمل مستقلا عن الجهاز الذي رفض اعادته وراح يخاطب بعض من يشتبه فيهم ليصل الى حقيقة المؤامرة ولكن ، ولسوء حظه وقعت احدى رسائله في يد أحد المراقبين فأبلغها سيسل الذي أمر بالقاء القبض على فيلبس ، ولو ان هذا لم يحدث لاستطاع فيلبس بمثابرته واستجواباته أن يصل الى قلب مؤامرة بارود البنادق .

عميل آخر هو انتوني ستاندن راقب سيسل مراسلاته وألقى القبض عليه ووضعه في برج لندن فيما كان سيسل في أمس الحاجة اليه اذ باتصالاته أيضا كان من الممكن أن يكشف عن مؤامرة أخرى تحاك ضد الملك الا أن سيسل باستغنائه عن خدماته افتقد عميلا هاما وان خدمه الحظ في اكتشاف المؤامرة ولكن بعد وقت طويل .

عملاء سيسل في فرنسا التقطوا خيوطا تشير الى احتمال مؤامرة يسبقها تقديم عريضة من قبل الكاثوليك يطالبون فيها باتباع سياسة ما سمى بالتسامح الديني .

كتب العميل ولاستون خطاب تحذير الى سيسل يخطره فيه أن العريضة المزمع تقديمها غير شرعية ونصحه قائلا :

«من الضروري أن تأخذ حذرك فهناك من يريد بك وبرئيس القضاء شرا وليحفظ الله الملك من ان يتعرض أو أحد ابنائه لسوء» .

وعاد «ولاستون» ليخطر سيسل فيما بعد أن الكاثوليك الذين يمولون ويرعون «العريضة» في طريقهم الى العبور لانجلترا متنكرين في هيئة تجار اسكتلنديين واضاف بأن الجهد الذي بذل لتلقي هذه المعلومات كلفه ٢٥ جنيها استرلينيا ، ورغم انذاره الا أن القساوسة المتنكرين في ثياب تجار استطاعوا دخول انجلترا دون أن يتعرف عليهم أحد .

وكما يقال في الامثال*«ويأتيك بالاخبار من لم تزود»* فقد صادف أن وجد أحد المواطنين صندوقا خشبيا صغيرا بداخله مذكرة موجهة للملك من قبل أحد القساوسة ويبدو أن الصندوق سقط من حامله .

وكان كاتب المذكرة غير راض عن الخيانة وغير موافق على الاغتيالات ومن ثم رأى أن يكتب مذكرة عن المؤامرة التي دبرت ليلا لاغتيال كل من الملك وسيسل ورئيس القضاء وغيرهم .

وكشفت نتائج التحقيق في المؤامرة عن ابعادها فاتضح أن السير/ادوارد ديجبي أحد الاثرياء قد تحول من المذهب البروتستانتي الى الكاثوليكي وبحماسة كل من يتحول لمذهب جديد اتفق مع بعض المقربين اليه في المذهب الكاثوليكي على تحرير انجلترا من الملك والبرلمان بضربة واحدة مع السيطرة في نفس الوقت على البلاد لصالح الكنيسة الكاثوليكية . وتقرر بناء عليه ترك ادارة وتنظيم مؤامرة «بارود البنادق» لروبرت كاتسباي بينما ترك التمويل بكامله على السير ادوارد ديجبي .

وما كاد كاتسباي وصحبه يعلمون أن أمرهم قد انكشف حتى فروا شمالا تجاه ويلز يسرقون الخيول واستطاعوا بهذا أن يضاعفوا من سرعتهم الى الحد الذي قطعوا فيه ثمانين ميلا في ثماني ساعات ولكن رغم ذلك استطاعت قوات الملك أن تلاحقهم وقتل منهم من قتل وأسر من نجا من القتل منهم ■

أستاذ الجواسيس

ريتشارد اتسورجا

الجاسوس الذي كرمه السوفييت

- منحوه لقب بطل الاتحاد السوفييتي
- أسموا سفينة وشارعا باسمه
- جعلوا صورته على طابع بريد

■ في شهـر سبتمبر (أيلول) من عام ١٩٣٣ وصل الى طوكيو رجل يدعى ريتشـارد اتسورجا وكان حريصا بمجرد وصوله على تقديم نفسه الى سفارة ألمانيا لدى عاصمة اليابان فدلف اليها وقال يعرف نفسه عند استقباله :

- أنـا ، ريتشـارد اتسـورجـا مراسل صحيفة فرانكفورتر(١) وهكذا دخل اتسورجا بخطوة واحدة الى عالمي الصحافة الاجنبية والوسط الدبلوماسي في طوكيو دون أن يثير أي ريبة .

وكان ريتشارد اتسورجا في حقيقته عميلا محترفا للاتحاد السوفييتي وقد ظل يعمل بهذه الصفة في طوكيو لثماني سنوات .

نروي هنا قصة هذا الرجل :

- كيف مهد لاستقباله وقبوله في المجتمع الجديد ؟
- كيف تغلغل في أعلى دوائر السلك الدبلوماسي ؟
- كيف اكتسب ثقـة كبار رجالات الدولة ، وكيف استطاع أن يساعد في تغيير مسار الحرب العالمية الثانية قبل الساعات الأخيرة من خلاصه ؟

■ طويـل القـامة ، أنيق المظهر ، وسيم الطلعة ، ولبق ، توحي ملامحه بانتمـائه للعرق السلافي ويسير في وقار المفكرين ويخاطبه من يعرفه بلقب : السيد ، الدكتور .

لم يكن إتسورجا قد جاوز بعد السابعة والثلاثين من العمر ، وهو وإن كان قد تقدم لنيل عضوية الحزب النازي إلا أنه لم يكن يبدو - قطعا - كأحد أولئك النازيين الراديكاليين وانما كانت تميزه كياسة في السلوك تدلل على ثقافة رفيعة تتنـاسب والجو الرصين الذي يسود وسط سفارة المانيا لدى طوكيو حيث ينـظرون الى النظام النازي الجديد منذ صعوده للحكم قبل ٧ أشهر ببرود ملحوظ وبخاصة تجاه تعصب الحزب النازي .

كانت صلات إتسورجا الصحفية جوهرية بالنسبة لمهمته ذلك لأن صحيفة

فرنكفـورتـر الالمانية التي تستخدمه قد أخضعت مؤخرا الى سيطرة النازية وظلوا يعتبرونها أفضل صحف الرايخ الثالث . وقد ترك اتسورجا انطباعا طيبا لدى القائم بأعمال السفارة حين استقبله ولا غرابة فللصحافة سحرها والرجل من حملة الدكتوراه ويمثل أفضل الصحف وأشهرها ..

خلال الاشهر القليلة من مقدمه عمل اتسورجا بجد ليثبت كفاءته كمراسل للصحيفة وليقنع كل من حوله بأن هذا هو عمله الاساسي دون غيره كان قد تعـرف في أحـد الايـام بالسفارة الالمانية الى صحفي ياباني يدعى أريتومي متسـوكادو ، وإرتبط به الأخير وقدم له العديد من الخدمات ثم راح يلازمه كظله ، ولم يمانع اتسورجا لكيلا يثير شكوكا ولكنه وحتى قبل أن يحدثه مدير الفندق الذي اختار له أريتومي غرفة فيه بأن صديقه الياباني قد كان جاسوسا للجيش اليـابـاني يوما ما . كان اتسورجا قد استنتج من تصرفات صديقه الجديد الخدوم أنه يعمل للبوليس الياباني الذي كان يضع كل قادم لليابان تحت المراقبة كاجراء روتيني لا يستثنى منه أجنبي .

كان اتسـورجـا يتابع مراقبة اريتومي الفجة له بازدراء لاعب الشطرنج الممتـاز الذي كتب عليـه أن يقبـل تحـدى صبي في العاشرة وهو ينازله في ميدانه ، فريتشارد اتسورجا عميل روسي محترف من الطراز الأول .

ميلاد جاسوس :

ريتشـارد اتسـورجـا ولد في روسيـا من أم روسية وأب ألماني كان يعمل مهنـدسـا ، وحـين بلغ من العمر ثلاث سنوات أرتحلت الأسرة الى برلين - عاصمة ألمانيا - وكان لا يزال بالمدرسة حين نشبت الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ فالتحق بالجيش الالماني وشارك في القتال حيث أصيب ثلاث مرات .

وفي خلال فتـرة النقـاهـة راح اتسورجا يطيل التفكير في أسباب النزاع السياسية والاقتصادية واغرق نفسه في الادب اليسارى ليخرج من الحرب ماركسيا مقتنعا بنظريات كارل ماركس نبي الشيوعية .

وحصـل اتسـورجـا بعد الحرب على الدكتوراه في العلوم السياسية من جامعة هامبورج والتحق بالحزب الشيوعي وخدمه باخلاص من خلال عمله في عدة مهن كعامل مناجم ، جامع تبرعات ، داعية ، مدرس ، وأخيرا كصحافي .

في عام ١٩٢٤ طلبـوا منه المساعدة في تأسيس جهاز للمخابرات بالمكتب الرئيسي للتنـظيم العالمي الشيوعي (كومنتيرن) بموسكو وأبدى استعدادا وقـابليـة لهذا العمل وانضم للحزب الشيوعي السوفييتي وأصبح مواطنا سوفياتيا في السر فالتكتم في كل شيء من شيمة العملاء وبعد الحاقه بالجيش الأحمر تم نقله الى شنغهاي حيث أدار جهازا للمخابرات فيها .

في عام ١٩٣٣ استدعى الى موسكو وكلف بتأسيس شبكة للجاسوسية في اليابان . وكانت المهمة تجريبية اذ لم يعرف عما اذا كان بالامكان القيام بمثل هذا العمل هناك . كانت مجرد محاولة .

وكـانت مهمة اتسورجا الذهاب الى طوكيو - كصحافي - اذ يمكنه بهذه الصفـة التواجد في أي مكان ولقاء من يشاء والتوجه بأي سؤال والاختفاء لاسابيع والظهور فجأة من حيث لا يدري أحد دون أن يثير ذلك أية ريبة . أليس هذا ما يفعله الصحفيون . كان عمله الصحفي يمثل خير غطاء لعمله المستتر كعميل . وكان لا بد من عودته الى المانيا ليحمل معه الى اليابان أوراق إعتماد ووثائق تثبت هويته الصحافية مع تجميع توكيلات ليمثلها في الخارج .

كانت موسكو تعلم أن العودة الى المانيا بعد صعود هتلر الى السلطة يشكل خطورة لكل من ينتمي لحزبها الشيوعي فهتلر قد أعلن عدم شرعية الشيوعية وأحـرق وثائق الحزب وأطلق يد الجستابو GESTAPO (٢) في القبض على الشيـوعيين وحبسهم وتعذيبهم . وقد كان اتسورجا عضوا نشطا في ألمانيا ويكاد يكون معروفا في معظم شوارعها وباراتها وقد يكون إسمه في القائمة السـوداء التي توضـع للمراجعة عند الحدود الالمانية ولكن مع استخراج المستندات «المزورة» اللازمة استطاعت موسكو أن تدخله بسلام الى المانيا أرض أجـداده VATERLAND أرض النازية والشعارات والفرق النحاسية وأصحاب القمصان البنية اللون والرايات ذات الصليب المعكوف .

ومن داخـل ألمـانيـا استـطاع استخـراج جواز سفر جديد ألماني وجمع خطابـات توصيــة الى العديد من ذوي النفوذ في طوكيو واتفق مع صحيفة فرانكفـورت وغيرها على أن يراسلها من هناك . وكانت أصعب المشاكل التي واجهها هي قبوله عضوا عاملا في صفوف النازية .

قرأ اتسـورجا عددا كبيرا من كتيبات الدعاية النازية وحفظ كل شعارات

الحزب النازي وأرهق نفسه بقراءة كتاب «كفاحي» MEIN KAMPF للفوهرر أدولف هتلر حتى أصبح يحفظ صفحات منه عن ظهر قلب ثم راح يناقش كبار النازيين مرددا كلمات هتلر أمامهم بطلاقة أذهلتهم وسرعان ما أصبح واحدا من أصحــاب الصليب المعكـوف «سـواستكا»(٣) وأفسحوا مكانا بينهم لهذا المجند الجديد المتعصب للنازية . ولم يستبينوا الرشد الا ضحا الغد .

وحين قدم اتسورجا طلبا للانضمام الى الحزب النازي كعضو عامل أمسك بأنفاسه وهو يقدم الطلب إذ كان من عادة الجستابو تقصي الحقائق عن كل من يتقدم بطلب للالتحاق بالحزب لمعرفة كل ما يمكن عنه قبل منحه العضوية وخشى اتسورجا أن ينبشوا بعيدا وطويلا فيصلوا الى مالا يجب أن يصلوا اليه ، ولكن اتسورجا كان محظوظا إذ في زحمة الطلبات التي كانت تنهال لنيل عضوية الحزب النازي استطاع عميل سوفييتي في الجستابو من سحب كل أوراق اتسورجا التي تثير حوله الشكوك من ملفه الخاص .

وسرعان ما منح اتسورجا بطاقة الحزب وان لم تسلم له الا بعد وصوله الى اليابان بعام كامل .

وهكذا هيأ اتسورجا نفسه لكل الاحتمالات وقدم الى طوكيو بعد أن حصل على كل الاوراق والوثـائق التي لا تثبت انتماءه لالمانيا كمواطن فحسب بل وتثبت عمله كصحــافي يمثـل كبريات الصحف كما تثبت ترشيحه لعضوية الحزب النازي الحاكم ..

وفي طوكيـو وضع نفه في خدمة الجالية الالمانية وتحت تصرف السفارة وجاهد ليفوز بصداقة العاملين بالسفارة وثقتهم وراح يحضر كل اجتماعات الاندية والجمعيات الالمانية ليفرض وجوده على المجتمع الالماني هناك ومن ناحية أخرى أجهد نفسه ليفهم اليابان فأثرى مكتبته الخاصة بكل ما يتعلق بتـاريــخ واقتصــاد وآداب وسيـاسة اليابان وبدأ يكتب رسائله من طوكيو للصحافة الالمانية من موقف العالم بالأمور في عالمه الجديد وسرعان ما اكتسب الثقة كصحافي محترف مدرك لما يدور حوله وكمراسل حسن الاطلاع .

بعــد هذا ، بدأ ريتشارد اتسورجا في تنفيذ مهمته التي غادر موسكو من أجلها وكانت البداية وضع الأساس لشبكة الجاسوسية ..

الأوامر التي صدرت من موسكو الى إتسورجا : اقامة خلية جاسوسية خلال عامين ، ولهذا فلم يضيع الوقت وشرع فورا في إتصالاته .

كان أول من قدم إليه نفسه ألماني يدعى «بيرنارد» خريج مدرسة موسكو للاسلكي وكانت مهمته في الخلية انشاء جهاز لاسلكي سري وتشغيله لاستقبال ونقل الرسائل بالشفرة الى الاتحاد السوفييتي .

ثم جاءه يوغسلافي يدعى برانكو دو - فوكيلتش متخفيا وراء وظيفة مصور لمجلة فرنسية .

أما الشخص الثالث فقد جاء بناء على رغبة اتسورجا نفسه في الاستعانة بعميل ياباني الجنسية يتحدث الانجليزية بطلاقة يكون همزة وصل بينه وبين موسكو وهكذا ظهر مياجي يوتوكو ، رسام في الثلاثين من عمره هاجر الى كاليفورنيا (أمريكا) حين كان في السادسة عشرة من العمر وانضم للحزب الشيوعي هناك .

كانت الاتصالات تجري في حذر شديد ، فمثلا ، حين تم الاتصال بمياجي يوتوكو في كاليفورنيا من قبل السوفييت أعطوه «دولارا أمريكيا» ليسهل عملية التعرف عليه بين الملايين من أبناء شعبه في طوكيو وطلبوا منه متابعة صحيفة «الاعلانات» لاشارة بعينها ووصل الى طوكيو عن طريق موسكو وما كاد يقرأ اعلانا ذات صباح يقول : *«مطلوب رسام للفن الياباني القديم»* حتى استجاب للاعلان ليلتقي باليوغسلافي دو فوكيلتشي وقدم إليه ورقة الدولار فأخرج الثاني ورقة أخرى واتضح من مقارنة الدولارين أن أرقامها متتالية . وصحب مياجي رفيقه اليوغسلافي لمقابلة إتسورجا ، وبعد حديث لم يستمر طويلا اتفقا على أن يلتقيا في رحلة سياحية صباح اليوم التالي . ولم يطمئن اتسورجا للعميل الياباني الجنسية الا في هذا اللقاء ومن ثم قدم الأول للأخير بعض المعلومات التي استطاع الحصول عليها خلال الأربعة أشهر الماضية في اليابان فما كان من العميل الياباني الا أن قدم مظروفا لاتسورجا كان يحوى نقودا تكفي لنفقات الشبكة لبضعة أشهر قادمة . وتلك الطريقة الوحيدة التي ظل يتصل من خلالها اتسورجا بموسكو لتمويل عملياته : رحلات متقطعة يقوم بها مياجي يوتوكو بين كاليفورنيا وطوكيو مرورا بموسكو في الذهاب وفي الاياب ..

في عام ١٩٣٤ قام إتسورجا بخطوتين دفعتا بالعمل التجسسي خطوات الى الامام : قام أولا باستئجار منزل شبه مهجور سيء الطلاء تحيط به حديقة تزخر بالاعشاب والطفيليات مما يتناسب ومزاج صحافي بوهيمي واستأجر

خادمة عجوزة لتقوم على خدمته فتأتي في الصباح وتنصرف في الثالثة بعد الظهر الموعد الذي يبدأ بعده عمله السري . وكان المنزل الذي اختاره لسكنه قريبا من أحد مراكز البوليس ليبعد الشبهة عنه ، إذ من كان يتصور أن يتخذ جاسوس أي جاسوس سكنا له بالقرب من أحد مراكز البوليس !

وبجهده الخاص جند إتسورجا عميلا يابانيا آخر وضمه للخلية وكان أوزاكي هوتسوفي ، وهذا هو إسمه ، قد سبق وعمل معه في مهنة الصحافة في مدينة شانغهاي . وكان يعلم عن خبرة أن أوزاكي البدين ، ذكي ، حذر ، وشيوعي المذهب الى حد الهوس . وصدق حدسه فقد أصبح أوزاكي من أقيم أعضاء شبكته .

في مايو عام ١٩٣٥ استدعى اتسورجا الى موسكو وسافر عن طريق نيويورك حيث اعطى هناك جواز سفر مزيف حتى لا تبين تأشيرة دخول الاتحاد السوفييتي على جواز سفره الأصلي فيثير الريبة في طوكيو لدى عودته . وأخذ معه وثائق هامة برغم التحذيرات التي وردت اليه بعدم المجازفة بحمل أية معلومات قد تدينه . وفي موسكو حياه رئيس الاستخبارات العسكرية بحرارة واظهر تفاؤلا حول مستقبل خلية التجسس في طوكيو بعد هذا اللقاء .

والآن وقد انتهت المرحلة الأولى باقامة هذه الخلية السرية في قلب اليابان بقى على اتسورجا أن يركز في البحث عن اجابة لسؤالين :

١ - *هل تنوي اليابان مهاجمة الاتحاد السوفييتي ؟*

٢ - *اذا كانت ستفعل فهل هي معدة عسكريا للقيام بهذا العمل ؟*

كان أول ما فكر اتسورجا في توفيره بمجرد عودته الى طوكيو البحث عن فني لاسلكي ليحل محل بيرنارد الذي لم يكن راضيا عنه اذ تأخر لشهور قبل أن يجهز المعدات ثم ظل يبعث برسائل متقطعة مخافة أن يكتشف أمره . وكان يرتعد خوفا مع كل إرسال ثم بدأ مؤخرا يكثر من احتساء الخمر ليتغلب على خوفه ومخاوفه . مما أضطر اتسورجا ساخطا لابعاده معيدا إياه الى موسكو .

كبديل لبيرنارد طلب مده بالفني ماكس كلاوسن الذي سبق أن عمل معه في شنغهاي ، ووافقت موسكو برغم أن فني اللاسلكي الجديد كثير المشاكل بسبب علاقاته مع النساء ففي شنغهاي كون علاقة غرامية مع أرملة تدعى أنا فالينيوس ولكنهم غفروا له هفواته أو تناسوها لكفاءته غير العادية في حقل الالكترونيات . ووصل ماكس بنهاية نوفمبر ١٩٣٥ الى طوكيو ، ولم تبدأ

الخليــة عملهــا الفعلي الا بعد أن لعب باصابعه الذهبية الماهرة في أجهزة الارسال وفتح الخط مع موسكو .

التجربة الأولى :

جاءت أول تجربة اختبار للخلية الجاسوسية التي يرأسها اتسورجا في بداية عام ١٩٣٦ حين وقع في طوكيو تمرد غريب ففي ٢٦ فبراير إحتل ١٤٠٠ جنـدي عددا من المبـاني الحكومية بينما شرعت مجموعات من العسكر في البحث عن كبار موظفي الدولة في منازلهم . وقتل اثنان من الوزراء ونجا رئيس الوزراء باعجـوبة حين أطلق الجنود النار على نسيبه بالخطأ ، يحسبونه رئيس الوزراء .

كان الوضع برمته محيرا ، وكلف اتسورجا الفريق العامل معه بمساعدته لتحليل الوضع الجديد . وكان الفريق قد انتشر كالاخطبوط في المجتمع الياباني .

فواكليتش لم يعـد مجرد مصور بل أصبح مراسلا صحفيا لوكالة أنباء فرنسية رسمية مما فتح امامه الكثير من أبواب الاتصالات . والفنان ، الرسام ، مياجي الذي لم يكن يعرف شيئا عن التجسس أظهر فيما بعد موهبة فذة في ادائه كعميل متخصص في موضوعات عسكرية : كحجم القوة ، التسليح ، المعنـويـات ، تحركات وتنقلات الوحدات اليابانية المقاتلة وأصبح مع من يعاونونه في هذا يشكلون خلية فرعية للجاسوسية .

أمـا أوجاكي فقد استطاع أن يحصل على وظيفة استراتيجية كباحث في مشروع للابحاث تموله احدى الصحف المحلية يتناول دراسة علاقات اليابان بالصين ومنشوريا وكان من بين الاعضاء المشاركين في المشروع اخصائيون في اقتصـاد اليـابـان ، ومحللون سياسيون ، ومندوبون من وزارة الخارجية والقوات المسلحة (الجيش والبحرية على وجه التحديد) بالاضافة لمن كانوا يمثلون رجال الصناعة اليابانية .

وبينما راح رفاق اتسورجا الثلاثة يدرسون ويحققون في انقلاب ٢٦ فبراير من زواياهم الخاصة قام هو بمحاولة فهم سر وكنه النظام الجديد بتجنيد اعضـاء السفـارة الالمـانية لهذا الغرض عارضا مساهمته في تقييم الوضع

الجـديد مع اقتراح بتحليل آراء الجميع وصولا لفهم موحد ورحب أعضاء السفارة باقتراحه نسبة لما يكنونه له من احترام وتحمس له بصفة خاصة الملحق العسكري الالماني العقيد «أوت» لأنه كان قد ارتبط معه بعلاقة صداقة خاصة . واستطاع اتسورجا باقتراحه أن يحصل على معلومات هامة تتعلق بالوضع العسكري الياباني وأن يطلع على وثائق مختلفة ونشرات متعددة وتحليـلات مكتوبة . وكانت هذه الوثائق وغيرها مما حصلت عليه السفارة الالمانية ذات أهمية كبرى دفعت اتسورجا ليصورها جميعها صفحة صفحة ليبعث بها الى موسكو .

واتضح أن تحليل مياجي للوضع دقيق للغاية فقد أخطر اتسورجا بأن الحركة العسكرية غير مكتملة النمو وليس لها ما يسندها في القمة أو القاعدة وتنبأ بنهايتها في وقت قريب - حدده بأيام وسرعان ماانتهت الحركة كما تنبأ خلال أيام .

اليابان لن تهاجم :

وفي تقـريـر لاحق أشـار ميـاجي الى أن سيـاسـة اليـابان تجاه الاتحاد السوفييتي ستعتمد على نوعية من سيتولى السلطة بعد أن تهدأ عملية انهاء الحركة الجديدة تماما وأكد أن من يصعد الى السطح من القادة العسكريين سيملي على الساسة السياسة الخارجية لليابان وتنبأ مياجي بأن المعتدلين سيتولون السلطة الأمر الذي يعني أن الاتحاد السوفييتي لن يكون عندئذ في خطر من مهاجمته .

وقـام اتسـورجـا بضم تقـريـر ميـاجي الى تقـرير أوزاكي ورفعهما بعد تلخيصهمـا الى السفارة الالمانيه . وقام العقيد أوت بارسال نسخة من هذا التقرير الى رؤسائه في برلين فأعجبوا به مطالبين بالمزيد من مثل هذه التقارير الرائعة الامر الذي اعطى اتسورجا سببا مقبولا لاستغلال مصادر السفارة في أبحاثه المستقبلية بعد أن اكتسب مزيدا من الثقة والتقدير .

وهكذا نجح اتسورجا في أول إختبار قوة كجاسوس سوفييتي في طوكيو واثبت التقـريـر الذي بعث به لرؤسـائه هناك أنهم راهنوا على فرس رابح وباشرت الخلية مهامها بكفاءة واندفاع لخمس سنوات - قادمة ..

اختيار مكان مناسب للارسال :

طلب ماكسي كلاوس فني اللاسلكي تأجير منزل مناسب ليواصل منه الارسال الى موسكو واشترط أن يكون المنزل الجديد من الخشب لأن حديد التسليح يشوش على الارسال وان يكون المنزل من طابقين لأن الارتفاع يسهل من الارسال و في منطقة مأهولة بالسكان ليصعب على البوليس اكتشاف المكان اذا ماأشارت أجهزتهم البدائية لمنطقة الارسال ، وكانت الرسائل تبث بالانجليزية اذ أن استخدام اللغة الروسية كان سيحرج الاتحاد السوفييتي اذا ما استطاع اليابانيون كشف وحل الشفرة ولم تستخدم اللغة الالمانية خشية أن تهدد مكانة اتسورجا في السفارة الالمانية .

كان ماكسي قد تزوج الأرملة آنا ، ورغم معارضتها للنظام في الاتحاد السوفييتي الا انها كانت تعينه حين كان في شنغهاي بمراقبة الشارع أثناء الارسال وقرر اتسورجا أن يستخدمها كحاملة رسائل بين موسكو وطوكيو ولم يستخدم صديقته اليابانية في أية مهمة رغم أنه كان يغدق عليها الدولارات وكانت إيشى هاناكو لا تعرف شيئا عن عمله السري .

كانت اليابان في قبضة هوس البحث عن خلايا الجاسوسية وكان كل رجل أبيض مثار شبهة لديهم ما لم يثبت العكس وكان أي خطأ يقع فيه اتسورجا أو ماكسي كلاوسن أو فاوكليتش يعتبر خطأ انتحاريا ومع هذا وقع المحظور

في أحد الأيام انتابت كلاوسن حالة من الرعب حين اكتشف ضياع محفظته وكان بداخلها بالاضافة الى ٢٣٠ يناً ورخصة القيادة التي بها صورته ، تقرير مالي يكشف عن عمليات الخلية وقد كتبه بالانجليزية وبخط يده اتسورجا نفسه . وخشى كلاوسن اخبار اتسورجا وراح يطمئن نفسه بأن من وجدها لا بد أنه قد أخذ النقود وألقى بها .

ثم ارتكب اتسورجا نفسه خطأ فاحشا بمثابة الكارثة . فقد كان يحب السرعة وركوب المخاطر ولهذا ما أن فتحت احدى الوكالات الالمانية لبيع الدراجات البخارية أبوابها في طوكيو حتى أسرع لاقتناء واحدة وأصبح ركوبها هوايته الوحيدة . و في منتصف ليلة ١٣ مايو ١٩٣٨ بعد أن تجرع بعض كئوس من الخمر انطلق بدراجته البخارية ليصطدم بأحد الجدران ، وسقط على الارض وهو يحس بألم شديد في رأسه ولا يستطيع حراكا وقد فقد بعض اسنانه وحمله بعض المارة الى أقرب مستشفى ولكنهم حين حاولوا

ادخاله الى غرفة العمليات تمالك نفسه ورفض وهو يصيح : *أريد كلاوسن أريد كلاوسن* وراح يقاوم الاغماء باعجوبة فقد كانت تشغله التقارير السرية التي كان يحملها في جيب سترته وهي معدة بالانجليزية للارسال الى موسكو . ومع اصراره جرى الاتصال هاتفيا بماكس كلاوسن الذي وصل الى المستشفى سريعا ليفاجأ باتسورجا الجريح الذي طلب من الاطباء مبارحة الغرفة لينفرد بصديقه للحظات و في هذه اللحظات كان كلاوسن قد أفرغ ما في جيوب صديقه من تقارير وبارح المستشفى ، وسرعان ماأصيب اتسورجا بالاغماء على يد أطبائه . وهكذا نجا إتسورجا من كارثة ليشتري سيارة صغيرة لتنقلاته تاركا هوايته الوحيدة : الدراجات البخارية .

إزداد وضع اتسورجا رسوخا في السفارة الالمانية بطوكيو ويعود الفضل في هذا – الى حد ما – الى رفيقه أوزاكي فقد حدث أن غزت اليابان الصين في يوليو عام ١٩٣٧ وكان أوزاكي قد كتب دراسة حول الحرب تتنبأ بأنها ستكون حربا طويلة . ولم يكن أحد من اليابانيين يتوقع ذلك الا انها استمرت فعلا شهرا بعد شهر واتضح أن توقعات أوزاكي كانت صادقة وكان إتسورجا قد حمل وجهة نظر أوزاكي الى السفارة الالمانية .

وكان الحظ عاملا آخر في زيادة نفوذ اتسورجا وتقديره داخل السفارة ففي عام ١٩٣٨ تم تعيين صديقه العقيد أوجين أوت سفيرا لدى اليابان بعد أن خلا المنصب بسبب مرض السفير دير كسن . وكان اتسورجا والعقيد (الذي أصبح الآن جنرالا) يشتركان في أكثر من هواية بينها لعبة الشطرنج وكان إتسورجا وبإذن من موسكو قد قدم معلومات دقيقة الى صديقه أوت فتحت أمامه مغاليق الشئون اليابانية العسكرية منها والسياسية مما اكسبه ثقة رؤسائه في المانيا وكان هذا أحد عوامل ترقية أوت من وظيفة الملحق العسكري الى منصب السفير بصورة استثنائية .

وكسفير أصبح أوت يعتمد اعتمادا كبيرا على صديقه إتسورجا في تحليل كل ما يصله من تقارير سرية ، بل وكان الملحقان العسكري والبحري يستشيرانه في كل كبيرة وصغيرة .

من جهة أخرى فان تعيين الأمير كونوى فوميمارو رئيسا لوزراء اليابان في منتصف عام ١٩٣٧ أفاد خلية اتسورجا كثيرا إذ أن مياجي كان صديقا حميما لمدير مكتب وزير خارجية كونوي كما أن مجلس الوزراء الجديد وافق على

تعيين أوزاكي كمستشار للمجلس للشئون الصينية الأمر الذي مهد له ليكون عضوا في مجموعة الافطار الشهيرة «آساميشى كاى» التي كانت تضم في عضويتها مجموعة مستشارين لرئيس الوزراء يجتمعون على مائدة الافطار مرتين في الشهر لمناقشة المشاكل الجارية وكانوا مصدر معلومات لا غنى عنها للعميل أوزاكي .

مثل هذه الاتصالات مكنت اتسورجا من أن يرسل الى موسكو احصائيات حول حجم المحصول الزراعي وقدرات التصنيع الحربي الياباني ونوايا اليابان السياسية مما جعل موسكو أكثر عواصم العالم إلماما بأمور الشرق الاقصى .

ورغم سقوط حكومة كونوى بعد ١٨ شهرا الا ان أوزاكي ظل عضوا في المجموعة الشهيرة واتخذ لنفسه وظيفة اضافية في السكك الحديدية كانت أكثر أهمية إذ ان القوات المسلحة اليابانية كانت على صلة كبيرة بادارة السكك الحديدية وكانت كل تنقلاتها وتحركاتها تتم عن طريقها . وكان أوزاكي في وضع يمكنه من معرفة أي خطوة قد تتخذها اليابان لمهاجمة الاتحاد السوفييتي .

وفي سبتمبر ١٩٣٩ عندما أشعل هتلر نيران الحرب في أوروبا بهجومه على بولندا أصبح الجو في السفارة الالمانية بطوكيو مليئا بالحساسيات وحتى لا يكون اتسورجا مجرد صديق للسفارة طلب منه السفير أن يلتحق بالسفارة في وظيفة ملحق صحافي اذ لا غنى للسفارة عن سيل المعلومات الذي كان يقدمه وهي أكثر حاجة اليه الآن بعد نشوب الحرب .

وخشي إتسورجا أن يقيده المنصب ويحد من نشاطه بدوام رسمي يفرضه العمل الدبلوماسي ويعرضه لمراقبة البوليس السري الالماني ولارضاء صديقه السفير عرض عليه أن يعمل كمتعاون مع السفارة دون دوام على أن يمدهم بالمعلومات .

في اكتوبر ١٩٣٩ بدأت شعبة البوليس السري الخاصة بمراقبة النشاط الهدام «توكو» بمراقبة إتسورجا . لم يكونوا يشتبهون فيه ولكن ، من وجهة نظرهم ، كانت هناك ثلاثة أسباب قوية تستدعي المراقبة ، فهو أجنبي ، وصحافي ، وكثير التردد على السفارة الالمانية . وعينوا لمراقبة إتسورجا عميلا يابانيا شابا في الثامنة والعشرين من عمره يدعى ساتيو هاروتسوجو . وبدأ

يحصى على إتسورجا - في هدوء - خطواته وبمعدل ساعتين أو ثلاثة يوميا حتى لا يلفت انتباهه .

موسكو تبرق

بعد نشوب الحرب بدأت موسكو تكثر من إرسال برقياتها اللاسلكية طلبا لمعلومات عن الجيش الياباني ، وصناعة الطائرات وانتاج المدفعية ، وظل ماكس كلاوسن خلال عام ١٩٣٩ مشغولا لايكاد يخلو اسبوع من ارسال معلومات بالشفرة الى موسكو وكان مع كل رسالة يعيش حالة من الهلع والرعب والقلق . بل ظل يعيش في خوف دائم من القبض عليه ويعايش الخوف وهو يعد الرسالة وهو يبثها على جهاز الراديو وهو يستمع الى طارق يطرق بابه وهو ينصت لكل دقة من جرس الهاتف واستمر ماكس على هذه الحال ٤ سنوات كاملة وفي عام ١٩٤٠ أصيب بنوبة قلبية أمره الطبيب على أثرها بالبقاء في الفراش بلا حراك لأربعة أشهر ولكن إتسورجا اضطره ضغط العمل لأن يبث الرسائل العاجلة وهو في السرير .

تحذير موسكو

مع بداية عام ١٩٤٠ وصل مندوب من الحكومة الالمانية في برلين الى طوكيو وكان موفدا للاجابة على سؤال واحد :

- الى أي مدى تستطيع اليابان مشاركة المانيا في شن الحرب على روسيا .

وكان يحمل خطاب توصية موجه الى اتسورجا من قبل سفير المانيا السابق لدى اليابان ليساعده في مهمته وسرعان ما اكتسب اتسورجا ثقته ولهذا لم يتردد المندوب في البوح بأن الحرب الالمانية الروسية حقيقة واقعة لا محالة وتود المانيا عن طريقها تحقيق ثلاثة مكاسب : احتلال منطقة أوكرانيا السوفيتية الزراعية الغنية بالبقول ، وأسر مليون روسي لاستخدامهم في الزراعة والصناعة الالمانية ، وانهاء مخاطر الجبهة الشرقية الالمانية . وكان هتلر يحس بأن المانيا ان كانت تود شن الحرب على روسيا فهذا هو الوقت المناسب .

واستطاع اتسورجا أن يجمع مزيدا من أسرار هذه الحرب من بعض الدبلوماسيين فعرف أن موعد شن هذه الحرب ضد روسيا سيبدأ في ٢٠ يونيو وان الاعداد لها قد إكتمل وسيتم قريبا حشد ١٧٠ الى ١٩٠ فرقة دبابات أو اليات وسيكون الهجوم بطول الجبهة وستوجه القوة الرئيسية أولا الى موسكو ولينينجراد وأخيرا تجاه أوكرانيا وسيجرى الاعلان عن الحرب دون انذار مسبق بعد أن تبدأ المعركة بالفعل وستقوم القوات الغازية بفتح خطوط سكك حديد سايبيريا للاتصال باليابان .

كانت هذه الاخبار مثيرة اذ أن هتلر كان قد وقع معاهدة عدم اعتداء مع ستالين عام ١٩٣٩ اتفقا بموجبها على تقسيم بولندا بينهما سريا . كان لابد من تحذير موسكو من غدر هتلر ، لهذا قام إتسورجا بابلاغ كلاوسن وأمره بارسال هذه المعلومات الخطيرة على جناح السرعة الى موسكو . وراح ينتظر رد موسكو . ولدهشته لم تصله أية تهنئة أو أوامر بمواصلة معرفة تفاصيل الموضوع . كان كل ما تلقاه من رسائل رسالة واحدة مقتضبة تشكك في صحة معلوماته ، ولكن هتلر هاجم روسيا في ٢٢ يونيو تماما كما خطط وفاجأ الروس تماما

بدأ القلق يساور الروس بعد الهجوم الألماني وراحوا يتساءلون : *هل خططت اليابان بدورها للاستفادة من حالة روسيا اليائسة بطعنها من الخلف وتوجيه ضرباتها الى سايبيريا ؟*

ما هو القرار الذي اتخذته الحكومة اليابانية ؟

وأبرقت موسكو الى اتسورجا تبحث عن اجابة لسؤال :

– *هل تقوم اليابان بتحريك أية قوات تجاه حدودنا ؟*

اتسورجا لم يجد الاجابة لدى السفارة الالمانية بالرغم من أن اليابان حليفة المانيا الا انها لم تكن تود أن تفيد من الموقف الذي خلفته حليفتها ، وحين حاول السفير الالماني «أوت» اقناع اليابان بالهجوم على روسيا من الشرق عمد اليابانيون للمراوغة . وأثار خوف ألمانيا توقيع اليابان مع روسيا على اتفاق عدم اعتداء من الجانبين . وتساءل «أوت» : *هل ترى اليابان نفسها مقيدة بهذا الاتفاق ؟*

أوزاكي لم يستطع اكتشاف نوايا اليابان مباشرة بالرغم من حضوره لاجتماع «فريق الافطار» المشهور . فقد كانت الآراء متضاربة ، ولكن هذا لم

يمنع اليابان من اعلان التعبئة العامة مع احتمال قيامها بمهاجمة روسيا فيما بعد .

البوليس يقترب من الخلية :

لم يعد الوقت في صالح خلية اتسورجا وحدث ما لم يكن يتوقعه أحد - فقد لفت ماكس انتباه أحد رجال البوليس السري «توكو» مصادفة إذ أن أحد رجالهم ويدعى أوياما كان يحقق في قضية أخلاقية تخص ضابطا فرنسيا يسكن بجوار العميل ماكس وكان أوياما يتردد على منزل ماكس ليسأل خادمته عن جارها الفرنسي وعن الذين يقطنون بالجوار وفي يوم تشعب فيه الحديث قالت له الخادمة عرضا إن سيدها «ماكس» يستيقظ أحيانا في منتصف الليل ليتلاعب بماكينة ما تحدث أصواتا غريب ولما كان أوياما من هواة اللاسلكي فقد لفت نظره وصف الخادمة لهذه الآلة التي يتلاعب بمفاتيحها سيدها وتذكر فجأة كيف أن أحد أصدقائه قد سأله عما اذا كان على علم بأن شخصا ما يرسل رسائل لاسلكية غير مسجلة بتلك المنطقة وبدأ «أوياما» يهتم اهتماما خاصا بالمدعو ماكس كلاوسن ، ويراقبه عن بعد ، ولكن ما لفت النظر الى خلية اتسورجا كان شخصا آخر هو مساعد أوزاكي في سكك حديد منشوريا فقد قبض عليه باعتباره شيوعيا واستجوبوه عن مدى معرفته بشيوعيين آخرين تم ابعادهم من أمريكا الى اليابان . فذكر لهم اسم امرأة تدعى كيتا بايبشى تومو تدير مدرسة لتفصيل الملابس في طوكيو وصادف ان كانت هذه السيدة في لوس انجلوس في عام ١٩٣٢ وقد أجرت حجرة في منزلها لرسام شاب يدعى مياجي يوتوكو (أحد عملاء اتسورجا) .

الرسالة الأخيرة :

كان إتسورجا قد ركز كل جهوده للاجابة على السؤال :

- *ماذا تنوي اليابان فعله ؟*

وأرسل بالشفرة كالعادة رسائل عن التعبئة العامة وبعض تحركات القوات تجاه حدود سايبيريا وحين ابلغه أوزاكي بقرار المؤتمر الامبراطوري الذي

عقد في الثاني من يوليو ١٩٤١ بأن اليابان ستتحرك جنوبا لضرب الهند الصينية والملايو وجزر الهند الشرقية (الهولندية) والفلبين حيث يوجد البترول وغيره من المواد الخام والتي تمس الحاجة اليها لبناء الامبراطورية اليابانية مع احتمال ضرب الاتحاد السوفييتي اذا استدعت أحداث الحرب ذلك سارع اتسورجا لابلاغ موسكو بالقرار الخطير الذي يجعل لغزو الجنوب الاولوية .

وفي هذه الأثناء لاحظ اتسورجا أن سحب العاصفة تتجمع فوق سماء العلاقات اليابانية الامريكية وان احتمال نشوب حرب بينهما أمر غير مستبعد ووصل الى نتيجة ان اليابان وهي تعد لضرب أمريكا لايمكن أن تهاجم في نفس الوقت الاتحاد السوفييتي .

وحدث ما يثبت وجهة نظره في العشرين من اغسطس حين اجتمع كبار قادة القيادة العليابقادة الجيش الياباني لمناقشة امكانية اشعال نار الحرب على جبهتين . وكان من رأي قادة جيش كوانتونج عدم الهجوم على الاتحاد السوفييتي ، ووصل نبأ القرار الى أوزاكي الذي نقله بدوره الى إتسورجا . ولم يتوقف أوزاكي عند حد الابلاغ بالقرار الهام بل استفاد من وظيفته بخط سكك حديد منشوريا في مراقبة تحركات القوات : كما أجرى اتصالا بصديق له يشغل منصب مدير المكتب الرئيسي للسكك الحديدية بفرع «هوتين» وقد ابلغه هذا الاخير بأنهم أمروا باعداد عربات لنقل ١٠٠ الف طن من المعدات العسكرية يوميا ولفترة ٤٠ يوما متتالية بمجرد اعلان التعبئة العامة مع اعداد ٣ الاف عامل استعدادا لشن هجوم على الجيش الروسي الا أنهم عادوا وطلبوا انقاص عدد العمال من ٣ آلاف الى ١٥٠٠ عامل ونقص العدد وفقا لاوامرهم تدريجيا الى الف ثم الى ١٥٠ عاملا وأخيرا استعانوا بعشرة عمال فحسب .

وكان هذا أول دليل فعلي على قرار بشن هجوم على روسيا ثم العدول كلية عن قرار الهجوم .

في ٤ أكتوبر ١٩٤١ الموافق لعيد ميلاد اتسورجا السادس والاربعين قام ماكس كلاوسن بارسال هذه المعلومات الخطيرة من منزل فاوكليتش الى موسكو ومعها تأكيد اتسورجا الاخير بأن الاتحاد السوفييتي لن يهاجم من قبل اليابانيين وراح يخاطب رؤساءه :

«اطمئنوا بالا فان اليابان لن تهاجم حدودكم الشرقية على الاقل حتى موسم الشتاء ، ولن تهاجم اليابان الا في حالتين :
١ - اذا نقلتم كل او معظم جنودكم من سايبيريا .
٢ - اذا نشبت حرب اهلية في سايبيريا تستدعي تدخلهم .

ويصعب ، حتى الآن ، تحديد اثر واهمية وقع هذه المعلومات على الاستراتيجية السوفيتية ولم يعلن الاتحاد السوفييتي حتى تاريخه كمية القوات التي شجعته هذه الانباء على نقلها من الجبهة الشرقية الى الغربية لمواجهة هتلر هناك . الامر الذي لاشك فيه ان هذه المعلومات قلبت كل الموازين وانها لقيت عناية خاصة في قمة السلطة في الاتحاد السوفييتي وقد كانت تلك بحق لحظة تاريخية اثرت بكل دقائقها وما استتبعها على تاريخ روسيا لفترة طويلة .

بنهاية عام ١٩٤١ كان الاتحاد السوفييتي قد نقل أكثر من نصف فرقه العسكرية من حدوده في الشرق الاقصى للقتال في الغرب ، وكانت هذه القوات كافية لتغيير موازين الحرب لصالح الاتحاد السوفييتي بعد أن بدأت القوات الالمانية الزاحفة تطرق أبواب عاصمته موسكو ..

كانت هذه المعلومات التي جعلت نقل القوات من الجبهة الشرقية ممكنا آخرَ معلومات تبعث بها خلية اتسورجا للجاسوسية من طوكيو .. بعد هذه الرسائل لم يكتب للخلية بعث أية رسائل ، كانت تلك هي الرسالة الاخيرة - قبل الخلاص .

في ذلك المساء ذهب اتسورجا وهاناكو للاحتفال بمرور ست سنوات على أول لقاء لهما ، وبعد احتفال قصير شابه قلق مبهم ودع اتسورجا صديقته اليابانية خوف المراقبة التي بدأ يشعر بها وقال لها مودعا : اذا سارت الأمور على ما يرام سأتصل بك لنلتقي . وحين ودعته هاناكو لم يخطر ببالها انها لن تراه مرة ثانية .

محاولة انتحار :

قرر البوليس السري «توكو» القاء القبض على السيدة كتاباياشي تومو لأستجوابها واسترعى الانتباه وجود عملات ورقية امريكية معها وعند

سؤالها اشارت الى صديق الأسرة الرسام مياجي يوتوكو ثم اعترفت باعتناقهما للشيوعية في امريكا . وسرعان ما قام البوليس بالاطلاع على ملف المذكور ليتبين انه غير ميسور الحال .

- من اين لهذا الفنان الفقير الدولارات الامريكية والهدايا التي يغدقها على السيدة تومو ؟

تساؤل ساقهم للقبض عليه لاستجوابه هو الآخر ..

وطرق ثلاثة عملاء باب الفنان مياجي وطلبوا منه مصاحبتهم لاستجوابه ولم يمانع فقد ظل ينتظر لشهور هذه اليد توضع على كتفه . وبينما كان يرتدي ملابسه راحوا يفتشون غرفته .

كانت هناك وثائق ملقاة بلا إكتراث وحين نظروا الى الأوراق كادت أعينهم تقفز من محاجرها ، إذ فوجئوا بدراسة كاملة توضح على وجه التحديد نسبة احتياطي البترول في منشوريا مما يعتبر سريا للغاية في ظروف الحرب تلك .

البترول شريان حياة اليابان ، المادة العزيزة التي تكاد توزع بالقطارة في وقت الحرب وها هي ذي أدق المعلومات عنها في غرفة معتمة وقد سجلت البيانات باللغة الانجليزية وعلى آلة كاتبة .

في هذه اللحظة تكشفت للبوليس خطورة المسألة ، وطبيعة ما هم بصدده . لقد سعوا لاصطياد سمكة «المنوة» فاذا هم يقبضون سمك القرش

في مركز البوليس استجوبوا مياجي لثلاث ساعات فاعترف أن الوثائق له وأجاب على أسئلة حول ماضيه في اليابان وامريكا . وفي صباح اليوم التالي واجه مياجي ٦ أشخاص راحوا يمطرونه باسئلتهم وكان يجيب بلا اكتراث حين يكون السؤال عاما اما حين يمس السؤال من طرف الجاسوسية كان يصر على الكتمان . واستخدموا معه كلمات بذيئة ثم راحوا يتملقونه بكلمات معسولة دون جدوى .

وتوقف الاستجواب لتناول طعام الغداء وانطلق ٤ من رجال البوليس لقاعة الطعام تاركين اثنين منهم لحراسة مياجي ، وحين عاد اثنان من الغداء لمبادلة الحارسين الآخرين وفي اللحظة التي فتحا فيها الباب غافلهما مياجي واندفع بسرعة نحو النافذة وقفز يريد الانتحار من علو ٣٠ قدما وجرى خلفه الحارس تاماتشو ثم قفز خلفه ليستقرا معا على ارض الشارع وحين وصل

إليهما بقية الحراس وجدوا الصائد والطريدة على قيد الحياة وان أصيبا بجروح .

وهكذا لم تنجح محاولة مياجي في الانتحار لسقوطه على أرض تكسوها الشجيرات . وسرعان ما عاد الحراس به لاستجوابه من جديد .

كان العائد من الموت للحياة قد تغير ، أصبح مياجي رجلا آخر ، لقد قفز من النافذة على الطريقة اليابانية التقليدية للانتحار المشرف متوقعا أن تكون القفزة انتقالا لعالم آخر واذا به يعود لعالمه وقد تأثر معنويا من وقع الصدمة . وأحس كأنه بعث من جديد كما شعر بحاجته للاعتراف ليبدأ صفحة جديدة .

وفي غرفة الاستجواب راح مياجي يتحدث والبوليس في دهشة مما يسمع .

القط عند جحر الفأر

اعتقل البوليس السري أوزاكي بمنزله في ١٥ اكتوبر وبعد ١٨ ساعة متواصلة من الاستجواب وعدهم بان يعترف على ان يتركوه يوما بلا استجواب ليستعيد ذكرياته .. ووافق البوليس فبدون اعترافه لم يكن ليستطيع القبض على ثلاثة أجانب لديه اسماؤهم : رتشارد اتسورجا ، برانكو دور فاوكليتش وماكس كلاوسن .

كان اتسورجا قلقا حين زاره بمنزله ماكس كلاوسن فاعطاه آخر مجموعة رسائل لبثها بالشفرة . وكان يشعر بأن مهام الخلية قد انجزت تماما فقد بعثوا الى موسكو بمعلومات لا تقدر بثمن مفادها أن اليابان لن تهاجم الاتحاد السوفييتي ، وكان إتسورجا يحس برغبة في العمل خارج اليابان ولهذا كانت من بين الرسائل الموجهة لموسكو رسالة حول اعضاء الخلية هل يعودون لموسكو أم يبدأون مهمة جديدة في المانيا ؟

قلب كلاوسن الرسائل ثم اعادها الى اتسورجا طالبا تاجيل إرسالها لوقت آخر مؤكدا ان الوقت مبكر لارسالها ، وأحس اتسورجا من رد رفيقه انه ليس على ما يرام ثم اكتشف قلقه لغياب اوزاكي ومياجي عن موعد كانا قد ضرباه له ، وتساءل : هل ألقي القبض عليهما ؟

إتضح فيما بعد أن أوامر البوليس السري لعميلهم سايتو الموكل بمراقبة

اتسورجا بعد اعتقالهم لرفيقيه كانت تتلخص فيما يلي :

- *لا تدع اتسورجا يهرب ، لا تدعه ينتحر ، لا تدعه يحس بأننا على وشك أن نقبض عليه .*

وقام سايتو باستئجار منزل مقابل لمنزل اتسورجا في يوم ١٥ اكتوبر وراح من هناك يراقبه مراقبة القط للفأر .

كانت أوامر البوليس تأجيل أمر القبض حتى لا تحرج حكومة كونوي بالكشف عن شبكة تجسس سوفييتية في طوكيو ولكن بسقوط حكومة كونوي في ١٦ اكتوبر أصدرت الحكومة الجديدة أمرا بالقاء القبض على الاجانب الثلاثة امعانا في احراج الحكومة السابقة .

وفي ١٨ اكتوبر تنفيذا للأمر قام النائب العام يوشيكاوا بأخذ اذن وزير العدل ثم انطلق رجاله ليوقظوا كلا من اتسورجا وكلاوسن وفاوكليتش من نومهم .

وداعاً لصديق :

أحدث القاء القبض على اتسورجا رد فعل عنيف لدى السفارة الالمانية خاصة وان اليابانيين لم يعلنوا التهم الموجهة اليه . وارسل السفير اوت احتجاجا رسميا لوزارة الخارجية اليابانية مع طلب لزيارة اتسورجا ، ولكن النائب العام طلب تأجيل الزيارة حتى يحصل على اعتراف من اتسورجا بتهمة التجسس .

ولم يتاخر اتسورجا كثيرا واضطر للاعتراف لأن أصدقاءه جميعا كانوا قد اعترفوا وكشفوا كل الأوراق غير انه طلب اعفاءه من مقابلة السفير الألماني وجها لوجه . الا أن النائب العام خاطبه - ناصحا اياه : قد تكون وصديقك السفير على طرفي نقيض سياسيا ، ولكن لا بد من أن تلقاه وتودعه كصديق ..

وتم اللقاء واحس السفير وهو يتلقى اعتراف اتسورجا بالتهم الموجهة له أن عمره هو قد زاد في لحظات عشرين عاما . وكاد السفير أن يتحول الى حجر صلد صامت . وفجاة وقف اتسورجا يودع صديقه اللدود : السيد السفير ، وداعا ، يبدو انه آخر لقاء . وعاد اتسورجا الى زنزانته بينما رجع السفير الى السفارة ليقدم استقالته من منصبه وليترك طوكيو وهو محطم القلب .

مكافأة لجاسوس :

عاش اتسورجا في سجنه في مستوى يحسده عليه اليابانيون خارج اسوار السجون فقد كان القانون الياباني يسمح للمسجون بإنفاق ما وجد معه من نقود ساعة القبض عليه وكان مع استورجا الف ين ياباني وما يعادل ١٥٠٠ جنيه استرليني بالعملة الامريكية .

المحاكمة :

في مثل هذا الشهر (مايو) من عام ١٩٤٢ نشرت الصحف خبر قصة التجسس . وفي مثل هذا الشهر (مايو) من عام ١٩٤٣ اي قبل ٤١ عاما تقريبا بدأت المحاكمة . واختلفت مصائر أعضاء الخلية :

- *الفنان مياجي مات بمرض الدرن وهو ينتظر محاكمته .*
- *المصور والصحافي اليوغسلافي فوكليتش حكم عليه بالسجن مدى الحياة ومات بالسجن بعد ١٦ شهرا بمرض فقر الدم .*
- *ماكس كلاوسن حكم عليه بالسجن مدى الحياة بينما حكم على زوجته آنا بالحبس ٣ سنوات وقد اطلق سراحهما الامريكان عام ١٩٤٥ بعد ان انهزمت اليابان في الحرب واطلق سراح كل المسجونين السياسيين ويعيشان معا في المانيا الشرقية .*
- *السيدة كتيباياشي حكم عليها بالسجن لمدة خمس سنوات .*
- *اتسورجا حكم عليه بالاعدام .*
- *اوزاكي حكم عليه بالاعدام .*

وكما يقضي القانون الياباني فان الحكم بالاعدام يستانف أوتوماتيكيا .

وتقبل اتسورجا الحكم عليه بروح عالية وكان يعتقد انه لن يموت . وتمسك بالأمل في ان يقدم السوفييت على خطوات او اتفاقية لانقاذه واطلاق سراحه ولو انه يعلم أن الدول المعنية تضحي دائما بالجاسوس حتى لا تسبب احراجا لنفسها ، ولكنه كان يضع نفسه في القمة واعتقد أن حالته ستكون استثناء ، فهو اتسورجا الفريد من نوعه ولا يمكن التضحية به . بل

وظل اتسـورجـا يفتخـر امـام زملائه بانه اقيم من أن يضحي به ، فقيمته للمخابرات السوفيتية لا تقدر بثمن ولا بد من أن يعمل ستالين شخصيا على استبداله .

لسوء حظ اتسورجا كان الكرملين مستعدا للتضحية به وبامثاله منعا للحرج .

في السنوات الاخيرة قام السوفييت باكرام اتسورجا . أسموا شارعا في باكو باسمـه ، وتمخـر سفينة تحمل اسمه عباب البحر حتى يومنا هذا ، وتبدو ملامح وجه اتسورجا من خلف طابع بريد يحمل صورته ، كما منحوه لقب بطل الاتحاد السوفييتي .

ولكن في ساعـة الحاجة ، عندما كان بمقدور الحكومة السوفيتية تقديم العون له ادارت وجهها عن عمد الى الجهة الأخرى وانكرت وجود مثل هذه الخليـة اساسا ، بل وراحت تؤكد انها مجرد فكرة من بنات افكار البوليس السري الياباني «توكو» لادانة الاحرار في اليابان ولاحراج الاتحاد السوفييتي .

تنفيذ حكم الاعدام :

في ٧ نوفمبـر عام ١٩٤٤ نفـذ حكم الاعدام شنقا على أستاذ الجواسيس اتسورجا ورفيقه أوزاكي ■

■■ هامش :

(١) فرانكفورتر زايتونج FRANKFURTER ZEITUNG هي صحيفة فرانكفورت التي تصدر في جنوب المانيا من مدينة فرانكفورت وما تزال حتى الآن .

(٢) الجستابو وتكتب ايضا الغستابو GESTAPO تعني البوليس السري النازي .

(٣) سواستكا SWASTIKA الصليب المعكوف صليب يرمز الى الشمس أو الى الحظ السعيد وقد اتخذه هتلر شعارا وشارة للحزب النازي الالماني والرايخ الثالث .

● قصة الجاسوس ريتشارد اتسورجا الحقيقية مترجمة عن عدد فبراير لعام ١٩٦٧ من ريدر دايجست المأخوذة عن كتاب الشهر MASTER SPV لمؤلفه غردون برانج .

● اتسورجا تكتب ايضا سورج SORGE ولكن أصل الاسم عن الالمانية وينطق اتسورجا - ZOR GA .

● مراجع الكتاب ●

المراجع العربية

(١٨) – فن الحرب – الجزء الاول – بسام العسلي .
(١٩) – الاستخبارات الاسرائيلية ومكافحتها – الرائد كامل احمد .

المراجع الأجنبية

(1) SPY AND COUNTER SPY,
STORY OF THE BRITISH SECRET SERVICE
BY: BERNARD NEWMAN
(2) INSIDE STORY
BY: CHAPMAN PINCHER
(3) THE LABYRINTH
BY: WALTER SCHELLENBERG
(4) EPICS OF ESPIONAGE
BY: WERNER LORRY
(5) GREAT TRUE SPY STORIES
BY: ALAN DULLES
(6) THE PROFESSOR WHO SPIED FOR THE KGB
BY: JOHN BARRON
(7) TEN THOUSAND EYES
BY: RICHARD COLLIER
(8) THE ATOM SPIES
BY: OLIVER PILAT
(9) ENGLISH NEWSPAPERS:
THE TIMES, THE SUNDAY TIMES,
THE DAILY TELEGRAPH, ETC.

(10) THE IRON CURTAIN
BY: IGOR GOUZENKO
(11) READER'S DIGEST (1967,1983)
(12) THE TRAITORS
BY: ALAN MOORHEAD
(13) THE MAN WHO NEVER WAS
BY: EWEN MONTAGU
(14) CROSSBOW & OVERCAST
BY: JAMES MCGOVERN
(15) SOVIET ESPIONAGE
BY: DAVID J. DALLIN
(16) THE CASE OF RICHARD SORGE
A: BY F.W. DEAKIN AND G.R. STORRY
B: READER'S DIGEST FEB. 1967
C: MASTER SPY: BY GORDON BRANG
(17) HOTEL KING DAVID'S MOLE
BY: CHRISTOPHER WALKER (L.TIMES 20/8/84)

الموضـــوع	الصفحة

● كلمة شكر وتقدير ●

■■ ما كان لهذا الجهد الذي بين يدي القارىء ليرى النور لولا ان اخا كريما الح عليَّ في إصداره على هيئة كتاب ولم يكتف الاخ الكريم بالعون الادبي والتشجيع المعنوي وإنما اتبع ذلك بعون مادي لاطمئن الى ان الكتاب سيخرج للناس وليسمح لي الأخ (علي سعيد سالم العامري) ان اتقدم له بوافر الشكر والتقدير على اياديه البيضاء التي سلفت .

■■ وما كان لهذا الكتاب ان يصدر بهذه الهيئة الرائعة التي صدر عليها لولا ان اخاً كريماً هو الفنان عبدالحليم البرجيني ابى الا ان يتولاه بعنايته منذ ان كان حرفا بخط اليد حتى تحررت طبعته الاولى بغلافها المميز فقد ظل يعمل فيه بريشته ويودعه من ابداعاته بقدر ما سمح له وقته .. فله مني الشكر والتقدير .



محمد المشرف خليفة

كلمة عن المؤلف :

- ليسانس حقوق من «جامعة القاهرة» .
- شهادة «جامعة كامبردج» .
- عمل «بالرأي العام» السودانية في بداية حياته الصحفية .
- حصل على البعثات الصحفية التالية :

باكستان ـ صحيفة «مورنينج نيوز» المملكة المتحدة ـ «صنداي تايمز» و «ذي جورنال» ألمانيا الاتحادية ـ تليفزيون وإذاعة ألمانيا الاتحادية في «كولونيا» .

- عمل رئيساً لتحرير مجلة «الحياة» السودانية .
- عمل رئيساً لتحرير مجلة «الخرطوم» .
- رئيساً لتحرير مجلة «الرأي العام» .
- حالياً يعمل رئيساً لتحرير مجلة «درع الوطن» (أبو ظبي) .
- كثير الاهتمام بقضايا العرب المعاصرة ، وهو قاص وله إنتاجه الأدبي .

مكتبة مدبولي MADBOULI BOOKSHOP

٦ ميدان طلعت حرب ـ القاهرة ـ ت : ٧٥٦٤٢١ 6 Talat Harb SQ. Tel. : 756421